جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الحجاج في نثر ما قبل الاسلام دراسة في وسائل الاقناع

اطروحة تقدمت بها الطالبة

أسماء محمد صاحب معلة

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. د. ياسر علي عبد الخالدي

١٤٤١هـ ٢٠٢٠ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

((فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ))

صدق الله العلي العظيم

آل عمران / ٦١

اقرار لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه

جامعة القادسية/ كلية:
الدراسات العليا

نقر اننا اعضاء لجنة مناقشة طالب الدكتوراه :--- أسعاد محمد صاحب مهلة ---

قسم :--- اللغة العربية ---اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من قبل الطالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة --- جيدة --- في --- الأدب العربي --- وعليه وقعنا .

اعضاء لجنة المناقشة:

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
1	ا.د. عبد السادة مهلهل	أستاذ		رئيسا
2	ا.م.د. سعد جبار مشتت	استاذ مساعد		عضوا
3	ا.م.د. رفاه علي نعمه العزاوي	استاذ مساعد		عضوا
4	أ.م.د. رهاء نهاس محمد	استاذ مساعد		عضوا
5	أ.م.د. وسام محمد منشد	أستاذ مساعد		عضوا
6	ا.د. ياسر علي عبد	استاذ		عضوا ومشرفا

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

العميـــــد

/ / ٢٠٢٠

Scanned by TapScanner

إقــرار المشـــرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الاطروحة الموسومة بـ ((**الحجاج في نثر ما قبل الاسلام دراسة في وسائل الإقناع**)) المقدمة من طالبة الدكتوراه (**أسماء محمد صاحب معلة**) قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة القادسية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها .

التوقيع

أ.د. ياسر علي عبد الخالدي

التاريخ : / / ٢٠٢٠

اقرار رئيس قسم اللغة العربية :

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة .

التوقيع

أ.م.د. حسام عدنان رحيم

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠٢٠

الإهداء...

الى تلك الكفوف المقطوعة ، التي باتت تجري نهرا من الجنة إلى الأبد

الى تلك اليد التي ربتت على صدر بطلها وقال لي في احلامي (انا لكِ)

الى بطل كربلاء والشجاعة الهاشمية سيدي ومولاي (ابي الفضل العباس) عليه السلام

إلى من لا يشبهه أحد، ولا دنيا تقارن به، ولا وطن يغني عنه...

(ابي الحبيب)

إلى جسر الحبُ الصاعد بي إلى الجنة...

(أمي الغالية)

الى الصوت الحاني الداعي لي وانا أسير للوصول إلى أحلامي...

زوجي العزيز (ابو محمد)

الى رفيقي الطفولة وصديقي الابديين، وسندي وقوتي وعزوتي...

أخواي العزيزان (حسنين وغزوان)

الى من أشبر اعوامه ليكون شابا اطول مني...

الى نظر عيني ووحيدي ولدي (محمد رضا)

اهدي ثمرة جهدي حبا وعرفانا...

الباحثة

الشكر والعرفان...

((ان الله يحب الشاكرين)

الحمد الله على فضله، ونعمة عونه وتوفيقه في إنجاز هذا البحث، فهو المتفضل الوهاب، لذا فأني أود أن اشير الى أن هذا الإنجاز العلمي، شأنه في ذلك شأن أي عمل دراسي آخر هو محصلة فكر وجهد الكثيرين أيا كان نوع وقدر أسهامهم، لذلك فأني أتوجه بالشكر والتقدير الى استاذي ((**أ.د ياسر علي الخالدي**))، وهذا واجب وحق له علينا، لما أبداه من طول بال وأرفدني بالنصائح السديدة القيمة، وأشكر له تشدده في متابعتي، واعتذر له عن كل تقصير، ولن أنسى ما قاله لي يوماً، ((سأساعدك ولو بقيد شعرة))، جزاه الله عني خير الجزاء ورزقه الصحة والعافية.

وللطريق مناراته ومساراته... التي اهتديت بها في الوصول الى الحقائق العلمية وتذليل العقبات وازاحة العثرات...

كما أخص بالشكر استاذي الفاضل (**أ.د شاكر هادي**) اذ كان يبث فينا روح الطمأنينة من اجل ان الوصول الى هدفي وغايتي.

والشكر موصول الى أساتيذ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة القادسية، لهم مني وافر الشكر والاحترام، لما أبدوه من جهد وطاقة ليرفعوا عني شعور الغربة.

وأقدم شكري وتقديري الى أساتيذ اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى (**د. عايد جدوع، د. محمد فليح،**

د. علي هاشم طلاب، د. باسم خيري، د. أحمد حسين، د. فوزية لعيوس)، الذين كانوا خير عون وأخوة صادقه جزاهم الله خير الجزاء.

وكلمة شكر الى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة كل باسمه على تفضلهم وتجشمهم عناء القراءة وعناء السفر لمناقشة موضوعنا ما زاد من حظونا في الدرس والتحصيل وشرف لنا أن ما خطوه من انتقادات علمية تضفي او تكسب أطروحتنا صفة العلميّة فلهم منا أسمى عبارات التقدير والاحترام وخالص الشكر.

كلمة شكر لا بد ان تقال الى موظف أعطى من وقته الكثير الكثير، وزاد من وقته الى خارج عمله (سيد كاظم) موظف الدراسات العليا، جزاه الله أفضل الجزاء.

ولم أنس اخي الغالي (تكليف كامل) الذي كان سندا في اصعب المحن، اذ لم يتركني فله مني وافر شكري واعتزازي وتقديري.

جزى الله خيراً كل مَنّ مدّ يد العون لي وجعلني أخط وأكمل عملي هذا على صورته تلك.

بارك الله في الجميع، وجزاهم خيراً وفتح الله عليهم.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
المحتويات	
المقدمة	أ – و
التمهيد: مفهوم الحجاج قديما وحديثاً	١–١١
الفصل الاول: الخطاب الحجاجي والمؤشرات اللغوية	١٢–٤٧
المبحث الاول: الخطاب الحجاجي	١٢ – ١٩
أولاً: مفهوم الخطاب	١٢–١٦
ثانياً: الخطاب في الثقافة العربية	١٦–١٧
ثالثاً: الخطاب في الثقافة الغربية	١٧
رابعاً: الخطاب الحجاجي	١٨–١٩
المبحث الثاني: المؤشرات اللغوية	٢٠ – ٣٥
أولاً: القرائن المقامية والحالية	٢٠–٢٤
ثانياً: الشك	٢٤–٢٧
ثالثاً: الجملة الاعتراضية	٢٧–٢٨
رابعاً: العطف والتوكيد	٢٨–٣٤
خامساً: التلطيف.	٣٥–٣٦
المبحث الثالث: الروابط والعوامل الحجاجية	٣٧ – ٤٨
أولاً: الروابط الحجاجية.	٣٧–٣٩
ثانياً: العوامل الحجاجية.	٣٩–٤١
ثالثاً: التعليل / سبب ونتيجة.	٤١–٤٤
رابعاً: الترتيب والتنظيم	٤٤–٤٨

الفصل الثاني: بلاغة الصور الحجاجية	٤٩ – ٨٧
توطئة	٤٩–٥٠
الصور الحجاجية	٥١ – ٥٢
اولاً: شعرياً	٥٢–٥٣
ثانياً: نثرياً	٥٣
المبحث الاول: المجاز	٥٤ – ٦٦
أولاً: المجاز لغة	٥٤
ثانياً: المجاز اصطلاحاً	٥٥
ثالثاً: المجاز عند الأئمة العرب	٥٥–٥٥
رابعاً: أنواع المجاز	٥٥–٥٦
خامساً: ألوان الخطاب الحجاجي	٥٦–٦٢
سادساً: اغراض المجاز	٦٢–٦٦
المبحث الثاني: حجاجية التشبيه	٦٧ – ٧٥
أولاً: ماهية التشبيه الحجاجي	٦٦
ثانياً: خصائص التشبيه الحجاجي	٦٧–٧٦
المبحث الثالث: الاستعارة	٧٧– ٨٩
اولاً: حجاجية الاستعارة	٧٨–٨٢
ثانياً: خصائص حجاجية الاستعارة	٨٢–٨٧
الفصل الثالث: آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج	٨٨–١٥٩
المبحث الاول: آليات الاقناع	٩٣ – ١٠٨
اولاً: حركية الحوار	٩٤–١٠٥
ثانياً: نقاوة العبارة	١٠٥–١٠٧
ثالثاً: نفي اثبات العبارة	١٠٧–١٠٨
المبحث الثاني: استراتيجيات الحجاج	١٠٩ – ١٣٢

اولاً: بؤرة الحجج	١٠٩-١١٠
ثانياً: حجج متنوعة	١١٠-١١٤
ثالثاً: تتابع الأسئلة بوصفها آليه حجاجية	١١٤-١١٩
رابعاً: المقام والأداء	١٢٠-١٣٢
المبحث الثالث: قصديّة الحجاج	١٣٣ – ١٣٨
اولاً: تفاعل الأطراف	١٣٣-١٣٤
ثانياً: تقدير موقف المستمعين	١٣٤-١٣٥
ثالثاً: نحت رؤية المتلقي والعمل على تطويرها	١٣٥-١٣٨
المبحث الرابع: الحجاج في نثر ما قبل الإسلام تطبيقيا	١٣٩ – ١٦٠
اولاً: الحجاج / الخطبة	١٣٩-١٤١
ثانياً: الحجاج / القصة	١٤٢-١٤٦
ثالثاً: الحجاج / المثل	١٤٦-١٥١
رابعاً: الحجاج / الوصيّة	١٥١-١٥٢
خامساً: الحجاج / سجع الكهّان	١٥٣-١٥٥
سادساً: الحجاج / الرسائل والعهود	١٥٥-١٥٦
سابعاً: الحجاج / الوصف	١٥٦-١٥٩
الخاتمة	١٦٠ – ١٦٣
المصادر والمراجع	١٦٤ – ١٧٨
الملخص باللغة الانكليزية	A

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ على ما أنعمَ، ولهُ الشكرُ على ما الهمَ، والثناءُ بما قدمَ، من عمومِ نعمٍ أبداها وسبوغ آلاء اسْداها، وتمامِ مننٍ والاها، جمَّ عن الاحصاءِ عددُها، ونأى عن الجزاءِ أمدَهُا، وتفاوتَ عن الأداراكِ ابُداها، ونَدَبهُم لاستزادتِها بالشَكرِ لِاتِّصالِها، واستحمدَ الى الخلائق بإجرالها، وثنى بالندب الى أمثالها، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياءِ والمرسلين محمدٍ المصطفى وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، ومن تبعُهم بإحسانٍ الى يومِ الدينِ... اما بعد...

تعد دراسة الحجاج في نثر ما قبل الإسلام عاملا مهما في كشف طبيعة الحياة آنذاك، و رصد العلاقة بين تجربة الناثر ومعالم بلاغته و ثقافته وقدرته الفنيّة على تجسيد رؤيته وأيديولوجيته في تلك الحقبة، وينقسم النثر في اللغة العربيّة على قسمين ؛ الأول هو الكلام المتداول في حياة الناس اليوميّة التي يعبرون به عن حياتهم على السّجيّة، والثاني النثر الفني الذي يعدّ توأم الشعر في الأدب العربي، وفيه يعدّ النثّار والبلغاء ممن حباهم الله رهافة الحس والبلاغة وحسن التصرف بالمفردة اللّغويّة والتراكيب وسعة الخيال والقدرة على الإبداع بلغة فنيّة راقيّة تحمل جمال اللغة وبلاغتها.

وينقسم الفن النثري العربي القديم على ألوان عدة هي: الخطب والقصص، والوصايا، والأمثال والرسائل، والعهود، وسجع الكهّان، والوصف، وقد وقف النثّار في تلك الحقبة على جملة من المعارف بخبرتهم وتجاربهم في مسار حياتهم الداخلي والخارجي.

ولكل بحث هدف ومن هذا المنطلق سأتناول دراسة الحجاج في نثر ما قبل الإسلام، وعبر البحث عن وسائل الإقناع التي استعملها النثّار وهذا هو الهدف الأساس، وفضلاً عن تحقيق أهداف فرعيّة أخرى، منها خدمة اللغة العربيّة والإسهام في تطوير الدراسات الأدبيّة بالكشف عن غطاء الإطار الإقناعي لدى النثّار القدامى، في المساهمة بتزويد المكتبة العربيّة في تسليط الضوء على الإبداع النثري من زاوية لم يتناوله بحث من قبل لإبداع ما قبل الإسلام حجاجيّا، والتركيز على توضيح التأثر والتأثير بين الحجاج بآليّاته واستراتيجيّاته وخطابه وبين الحياة الاجتماعيّة والفكريّة والثقافية في التراث القديم.

وكذلك قصدت فهم تجليّات المؤشرات اللغويّة في الخطاب الحجاجي لدى النثّار بإنارة علميّة منهجيّة وتوضيح رؤية وجهة النقاد والبلغاء في النصوص النثرية القديمة، بمحاولة الكشف عن كيفية توظيف النثّار للآليّات البلاغيّة واللُّغويّة لإقناع الطرف الآخر ومعاينة الأسلوب الحواري الهادف الذي استمله الناثر قديما في حجاجه، وبيان كيفيّة توظيفه كي يلائم مجرى أحداث الحجاج بوصفه: حوارا له قيمة فعاّلة تعمل على استدراج الطرف الآخر.

وتكمن أهمية هذا البحث في بيان تجليّات آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج في نصوص نثر ما قبل الإسلام انطلاقا من أنّ الحجاج هو المحور الأساس الذي قامت عليه النصوص النثريّة في تلك الحقبة، ويظل الحجاج أرضا شبه عذراء للبحث العلمي فيه.

وقد كانت لي دوافع كثيرة اسهمت في اختياري لهذا الموضوع عبر إطار الحاجة العلمية، منها إنّ نظرية الحجاج تعدّ المحور الأساس في توصيل الفكرة وإبراز الحقيقة بالتواصل والتفاعل بين الأطراف، وكذلك ميلي إلى دراسة النثر القديم (النثر الجاهلي) بما فيه من إمكانيّات ذاتيّة متميزة في إثبات الشخصيّة العربيّة القديمة، والإحاطة باستراتيجيّات الحجاج وآليّات الإقناع في جنس أدبي قلت به الأبحاث العلميّة قياساً بالشعر.

كان اختيار عصر ما قبل الإسلام بوصفه كفيلا في أنّ تتجلى به مجمل خصائص المادة النثريّة ومميزاتها الفنيّة الإقناعيّة خصوصا بقرب المسافة الزمنية بينها وبين نزول القرآن، وتعد دراسة الحجاج في هذه النصوص عبر وسائل الإقناع محاولة أدبيّة للإمساك بمقومات ومعتقدات جماعيّة ودينيّة وفرديّة تصدرت الساحة العربية والأدبيّة بتطبيق المنهج العلمي في الإبداع النثري القديم لكشف التقنيات الفنيّة والتعبيريّة بعد التمعن وفي أسلوبهم الخاص في النثر.

وتظل إشكالية هذا البحث في القضيّة التي يتناولها في بُعد معين، وبمفهوم خاص هي الكيفيّة التي تشكلّت بها النصوص النثريّة القديمة قبل الإسلام حجاجيّا عبر وسائل الإقناع والتي يمكن أن تصبَّ في قضية إجماليّة تنبثق منها تساؤلات عدة، وعلى هذا تكون الإشكاليّة الأساس التي يجب الإجابة عنها في إطار البحث هي: كيف تجلّى الحجاج في نصوص نثر ما قبل الإسلام عبر وسائل الإقناع؟ وهو سؤال يفتح نوافذ عدة للإجابة عن إشكاليّات فرعيّة، وهي:

١- كيف أثرّت المؤشرات اللغويّة في الحجاج قديما؟

٢- ما مدى تأثير الخطاب في نصوص ما قبل الإسلام حجاجيّا؟

٣- كيف تجلّت الصور الحجاجيّة بلاغيّا؟

٤- ما تأثير آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج في نثر عصر ما قبل الاسلام؟

وهذه الإشكاليّات لها قابلية الانفراج بالوصف والتحليل عبر منهجية محددة مكونة من **مقدمة** أوجزتُ فيها أهداف البحث وأهميته ودوافعه، وبعض من الدراسات السابقة التي لها صلة بالعنوان، وفي **التمهيد** قدمتُ نظريا عمّا سيتم دراسته في هذا البحث، اشتمل على مباحث عدة وهي النثر القديم في عصر ماقبل الإسلام، والحجاج لغة واصطلاحا، وأهم العلماء و الأدباء الذين تناولوا النقد في هذا الجانب، **أمّا الفصل الأول: (الخطاب الحجاجي والمؤشرات اللغّويّة)** وتم تقسيم الفصل على مباحث عدة: المبحث الأوّل (**الخطاب الحجاجي**) ويتم الحديث فيه عن مفهوم الخطاب في الثقافة العربيّة والغربيّة، ومفهوم الخطاب الحجاجي عربيا وغربيا، والمبحث الثاني (**المؤشرات اللّغويّة)** وتم تقسيمه على القرائن المقاميّة والحاليّة، والشك، والجملة الاعتراضيّة، والعطف والتوكيد، والتلطيف، والمبحث الثالث (**الروابط والعوامل الحجاجيّة**) وتم تقسيمه إلى الروابط الحجاجيّة، والعوامل الحجاجيّة ، والتعليل / سبب ونتيجة، والترتيب والتنظيم.

والفصل الثاني (بلاغة الصور الحجاجيّة) وتم تقسيم الفصل على مباحث عدة بعد التمهيد، المبحث الأوّل (**ماهيّة الصور الحجاجيّة شعريّا ونثريّا**)، والمبحث الثاني هو (المجاز) وتم تقسيمه إلى المجاز لغة واصطلاحا، وعند الأئمة العرب، وأنواع المجاز، وألوان الخطاب المجازي ؛ وتم تقسيمه إلى خطاب أجزاء الجسم، وخطاب الطبيعة، وخطاب الماضي والمستقبل، وخطاب الحيوان، وأغراض المجاز وتم تقسيمها إلى الاتساع والتوكيد، والمبحث الثالث هو **(الاستعارة)** وتم تقسيمه إلى حجاجيّة الاستعارة قديما وحديثا، وخصائص حجاجيّة الاستعارة ؛ وتم تقسيمها إلى تأكيد المعنى، والمبالغة، والمبحث الرابع هو (**التشبيه**) وقُسّمّ إلى ماهيّة التشبيه الحجاجي وخصائص التشبيه الحجاجي، وتم إبراز المعنى.

أمّا الفصل الثالث (آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج)، وقد قسمته على أربعة مباحث: المبحث الأوّل وهو (**آليّات الإقناع**) تحدثتُ فيها عن حركية الحوار، ودلائل القول التي قسمتها على

الضمائر، وأدوار الكلام، وتمديد الحوار، وقسمتّه على تذويب المسافة وتعميق المسافة، وإغلاق الحوار، ونقاوة العبارة والنفي، والإثبات فيها، والمبحث الثاني (**استراتيجيّات الحجاج**) وتحدثتُ عن بؤرة الحجج، وحجج متنوعة وقسمتها الى حجّة الهيمنة ؛ وحجّة سلطة القول، والتعبير المباشر عن الأنا، واستعمال الرمز، حجة النصيحة، وحجة الحقيقة، وتتابع الأسئلة، بوصفها آلية حجاجيّة وقسمتها على مركزية الأسئلة وأبعادها ؛ والأبعاد بُعد التقرير والتجهيز، وأثناء الاحتدام، وذبذبة السؤال بين الدفاع والمواجهة، والمقام في الإقناع فجاء مرة على الرؤية من خارج المقام، وحركيّة النص، والدورة الحجاجيّة، والأداء اما الأداء فقد تم تقسيمه الى المشهد المكاني، والمشهد الحركي، والمشهد الصوتي، والتكرار، والمباشرة في الأسلوب.

أمّا المبحث الثالث: (**قصديّة الحجاج**) وقسمته على تفاعل الأطراف، وتقدير موقف المستمعين، ونحت رؤية المتلقي، والعمل على تطويرها، والمبحث الرابع (**الحجاج في نثر عصر ما قبل الإسلام تطبيقيا**) جاء على دراسة / الخطبة، / القصة، / المثل، / الوصية، / سجع الكهان، / الرسائل والعهود، / الوصف، اما الخاتمة فقد لخصت فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها في ضوء الدراسة.

ولتحقيق مقتضيات البحث اعتمدتُ على مجموعة من المصادر والمراجع التي كان لزاما عليّ التوثيق المتخصص بعنوان هذا البحث منها والنوعي الذي يخدم الحجاج بشكل دقيق.

قديماً قال الأصبهاني : إني رأيت أنه ما كتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده ؛ لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر على النقص عند البشر فالكمال لله وحده .

واتسمت رحلتي في رياض أمهات الكتب بوافر العطاء المعنوي والثراء العلمي، وهذا الثراء جاء من، فيض الله ولطفه، ورعايته، وحسن آلائه، ومن دراستي لمنابع النثر الحقيقية وما تحمل من فصاحة وبلاغة حتى جاء القرآن الكريم معجزاً لتلك البلاغة، والامر الثالث لهذا الثراء، أن يسّر الله لي استاذاً معطاءً فاضلاً كريماً للإشراف على أطروحتي وهو الأستاذ الدكتور ياسر علي عبد الخالدي، إذ تقف كلمات الشكر والثناء عاجزة عن أن توفيه حقّه؛ لما لمست فيه من سعة الصدر، والخلق الكريم، والعلم الغزير الذي لم يبخل عليَّ بوقت أو جهد، وما قدمه من ملاحظات وتصويبات، واستدراكات أتت ثمارها بهذا

الجهد المبارك، فأسال الله ان يحفظه ذخراً لدارسي اللغة العربية، فهذه محاولة جادّة في مجال الدرس الحجاجي وارتباطه بالنثر في عصر ما قبل الإسلام لقلة الدراسة بأدب هذا العصر عامة والنثر خاصة، حرصت ان تكون صحيحة في مضامينها سليمة في مؤادها، فأن إصبت فلله الحمد والمنّة وان كانت الأخرى، فحسبي أني دربة مغرمةٌ في نثر عصر ما قبل الإسلام، أتلمس الصواب، وأنشد الحقيقة، فالكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

التمهيد

مفهوم الحجاج قديما وحديثاً

التمهيد

قبل ان نشرع بدراسة الحجاج لابد لنا ان نخذ نبذة مختصرة عن النثر فالنثر كلام من دون وزن وقافية، وهو الذي تعلو فيه همم أصحابه في لغتهم، والنثر الفني يشمل القصص المكتوبة ويشمل الرسائل الأدبيّة المحبّرة، كان لها دور مهم في حياة العرب فقد كانوا عشّاقاً للحديث عن تاريخهم، وفرسانهم، وملوكهم، ووقائعهم، التي كانوا يقضون فيها أوقاتًا جميلةً [١].

وإن المؤشرات اللغويّة تتشكل على وفق الخطاب واللغة كانت تخضع للتأويل من الباحثين في فرض هيمنتها، أي خطاب يؤول من ناحية ما هو مؤول إليه أو منه بحركة توليديّة للمعنى والقيمة المضمرة فيه.

أنّ الناس في عصر ما قبل الإسلام كانوا يمتلكون نثراً وشعراً أدبياً، حيث يتحلل فيه الناثر من القيود الشعرية التي تلزم الأديب، وكانوا يجددون النثر الأدبي، ويعدّ نزول القرآن هو أكبر دليل لفهمهم له، وكذلك مجادلتهم للنبي – صلى الله عليه واله وسلم – فيما كان يتلوه عليهم، وتحدي القرآن لهم بالإتيان بمثله أو بعضه كان أكبر دليل على وجود النثر، إذ أنّ التحدي لا يكون إلّا إذا كان المتحدي يمتلك النبوغ والقوة والاقتدار.

والنثر في عصر ما قبل الإسلام كان كثيراً، ولكن كان الشعر أوفر حظاً بالاهتمام إذ التناقل والحفظ على مر الأجيال، لأن القافية الموحدة والمقاطع الموسيقية كانت السبب الأهم للعلوق بالذهن، والدوام بالذاكرة، والثبات في الحفظ، والتناقل عبر الأجيال باللفظ والعبارة نفسها ومما سبق يعني أنّ فقدان تلك الخواص الموجودة في الشعر كانت سبباً رئيساً في مشقة الحفظ وقلة دوام الذاكرة وعرضتها للضياع نثرياً، وهذا كله جعل نثر عصر ما قبل الإسلام شديد الحفظ على الرواة [٢]، حتى ولو حفظوا بعضه، ولكن رغم هذا قد بقيت نصوص نثرية كان منها لها حظ الاهتمام فظلّت سليمة وصحيحة حتى تسلّمتها أيدي المراجع وأمهات الكتب فوصلتنا بصورتها الكاملة.

ولا شكّ أنّ ظروف حياة الجزيرة العربية نتج عنها هؤلاء الموهوبين النُثّار من صناع الكلام، ومنهم على سبيل المثال: (حنظلة بن صفوان، وخالد بن سنان، وشعيب بن ذي مهدم حتى قيل عنهم انهم انبياء

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (٤٥٦هـ او ٤٦٣هـ)، تح: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م): ٢٠.
(٢) ينظر: العمدة: ١٩-٢٢.

جاهليون [١] وكذلك مرشد للخير)، وقد كانت للعرب آليّة خاصة وعامة إذ سادت بينهم الاجتماعات، والمنافسات، والمسافات، والخصومات، والمفاخرات، والمنافرات، والتجارب في الحياة.

ونقصد بالنثر القول المؤثر الذي كان يتحدث به شخص ما لقضاء مصالحه ومصالح قبيلته العاجلة وحاجاته اليوميّة إذ يودع هذا الحديث طاقات الإثارة بكل ما تستطيع من إقناع، فكان أهل القبيلة يجتمعون بالليل في مجالس السمر ويستمعون لمن أوتيّ القدرة على الفصاحة وحلو الكلام فكان يسرد القصص الطريفة مستعيداً الحوادث بأسلوب شيّق عن تاريخ الحروب والملوك وأخبار السادة، والكهّان، والعشّاق، والشعراء، والأساطير [٢].

وكان هدف الخطاب في الثقافة العربيّة إثارة المشاعر، وإلهاب العواطف، وعرض الآراء بصورة مؤثرة وفصيحة في مجالس الحُكم والوفود، وكان هدفهم الرغبة في الوصول إلى مقصدهم والإفصاح بقوةٍ وعذوبة للتأثير على القلوب، وهذا كله عمل على تفعيل الخطاب في ذلك العصر.

ويعدّ الحجاج مرتكزا أساساً في توصيل الفكرة، وتحقيق الفهم والتواصل بين المرسل والمستقبل والسياق مضمراً في مكنونه كل وسائل الإقناع والحوار التي تؤثر على المتلقي، وتجعله يغيّر وجهة نظره تجاه موضوع ما.

الحجاج لغةً

يقول ابن منظور (تـ ٧١١ هـ)، في لسان العرب " الحُجّة هي البرهان، وقيل الحجّة ما دُوفع بها على الخصم، وقال الزّهري: الحُجّة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجّه محاجّةً وحجاجّاً: نازعه الحُجّة وهو رجل محجاج أي جَدِل، والتحاجّ: التخاصم، وجمع الحجّة: حُجج وحِجاج، وحجَّه يحجّه حجّاً: غلبه حجّته، وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى: أي غلبه بالحُجّة" [٣].

(١) المفصل: علي جواد، بيروت، ط٨٢، ١٩٧٠: ٦-١٠.
(٢) ينظر: الادب الجاهلي: د. طه حسين، طبع بالقاهرة، مطبعة فاروق (محمد عبد الرحمن محمد)، ط ١٣٥٢،٣-١٩٣٣، ١٠١-١٠٧.
(٣) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (تـ ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م: (مادة حجج): ٢٢٨/٢.

وكلمة الحِجاج في المعجم اللغوي مشتقة من الجذر (ح، ج، ج)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، في كتابه مقاييس اللغة قال: "يقال حاجَجْت فلاناً فحجَجْته أي: غلبته بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج، والمصدر الحِجاج"(١).

ومن التعريفات اللغويّة السابقة يتضح أن مصطلح الحجاج مرتبط بحوارٍ واختلاف في وجهة النظر بين شخصين أو أكثر، يستخدمه أحدهم في التأثير والإقناع مستعملا البراهين، ووسائل الإقناع والأدلة التي تدعّم وجهة نظره من أجل إقناع السامع أو المتلقي إقناعاً كاملاً بدون شك.

وفي كتاب الله قد جاء الحِجاج في آيات عدة منها قوله تعالى ((وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ))(٢) فكلمة الرهان دلت على الفعل الحجاجي، وقوله ((وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)) (٣)، وكذلك في قوله ((وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ)) (٤)، وقد فسّر الزمخشّري في كتابه الكشّاف قوله تعالى (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ) متصلٌ بقولهم: لن يدخل الجنّة إلا من كان هوداً أو نصارى، فقل: هاتوا برهانكم، هلمّوا حُجتكم على اختصاصها بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهم شيء لمذهب المقلّدين، وأنّ كل قول دليل عليه فهو باطل" (٥).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، مج ٢، (مادة حجج) ٣٠.
(٢) البقرة: ١١١.
(٣) الشورى: ١٦.
(٤) غافر: ٤٧.
(٥) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشّري، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة م ر، القاهرة، ٢٠١٠ ، ١٧٦.

قد ورد الحجاج قد ورد في القرآن الكريم بعدة معانٍ منها الجدل و المناظرة و البرهان و الخصومة، و هذا معناه أنّ الحجاج مصطلح قديم و ليس حديثا.

الحجاج اصطلاحا

قد ورد الحجاج بشكل لأفت للنظر في الثقافة العربية قديما و حديثا:

١- **قديما:** قد أولّى العرب الحجاج مكانة كبيرة، وأهمية فائقة خصوصا في العصر الجاهلي والإسلامي، وبين أصحاب المذاهب والديانات المختلفة ، وذلك من مسمّيات البرهان، والجدل، والمناظرة، ومن أبرز العلماء الذين اتبعوا هذه الاستراتيجية:

- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتابهِ (البيان والتبيين) تعرّض لمعنى البيان حسب وجهة نظره إذ قال: " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع " [١]، و قد تحدّث عن الحجاج تحت مسمى البيّان ذكره صفات المُلقي المؤثرة في إيصال المعنى والرسالة المراد إيصالها إلى نفس المتلقي، لم يسّموه حجاجاً، بل وضفوه من دون المصطلح.
- ابن وهب (ت ٣٣٥ هـ) في كتابه (البرهان في وجوه البيان) قد تحدّث عن النثر قائلاً " أمّا النثر فلا يخلو أن يكون خطاباً أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه" [٢]، وهنا قد وظّف ابن وهب الحجاج بمعنى الجَدَل وذلك في قوله " أنّه قول الغرض منه إقامة الحُجة فيما اخُتلف فيه بين المتجادلين كما قسّمه إلى جدل محمود ومذموم مثل تقسيمات أرسطو، فالمحمود هو الذي يقصد به الحق، والمذموم هو ما يقصد به الغلبة " [٣].
- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الفروق اللغويّة) قد حدّد تحديداً للمصطلح، وذلك بالإتيان لمفهوم الدلالة والحُجة والبرهان من خلال قوله " والدلالة تكون بالعقل والحُجة وتكون بالنظر لتحديد المغايرة ، والبرهان يكون قولاً يشهد بصحة القضية المطروحة للنقاش، أي يكون بالقول،

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧، ١٩٩٨ ، ج١: ٧٦.
(٢) البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، م ر، عابدين، د.ت: ١٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٧.

ويمكن أن يكون بالفعل، فالقول: كأنْ أُقسم على صحة القضية، والفعل: تقديم دليل مادي على صدقِها " [١].

- المفكر الحجاجي ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) المشهور في التراث القديم بالمناظرة والجِدال إذ اشتهر في موسوعته (الفصل في الملل و الأهواء و النّحل) إذ اعتمد فيه على الأدلة العقلية و كل الحجج الممكنة في حديثه عن القرآن الكريم و الفرق المخالفة له حتى يوصل الخصم إلى طريق لا يجد أمامه إلا الاستسلام و التصديق بما يقول [٢].
- ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) فقد قال:" و الجدل واحد من المتناظرين في الاستدلال و الجواب، يرسل عنانه في الاحتجاج، و منه ما يكون صوابا و منه ما يكون خطأ، و يكون الجدل عنده في النهاية: معرفة بالقواعد من الحدود والآداب والاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه.. إلخ" [٣].

ومما سبق أنّ مصطلح الحجاج ارتبط بالجدل عند القدماء مثل ابن وهب و ابن خلدون فكل منهما يرى أنه صورة من صور الجدل، وقد ارتبط الحجاج بعلم الكلام إذ تكون غايته الدفاع عن العقيدة مستخدمين أدوات المنطق و الفلسفة مثل ابن حزم الأندلسي و الجاحظ و لهذا سموا بالمتكلمين، انن الحجاج من منظور العرب لم يكن يعني فنّ الإقناع بل كانوا يريدون به الغلبة على الخصم بالبراهين، والمخاصمة، والمغالبة، والمنازعة.

٢- **حديثاً:** قد عرّف عدد من النُقّاد الحجاج ومن أشهرهم:

- الدكتور محمد العمري في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) و (البلاغة العربية أصولها وامتدادها) إذ عرّف الحجاج بوصفه خطاباً إقناعياً محاولاً تتبع آثاره في التراث العربي في القرن الأول الهجري إذ " حصر الحجاج في صورٍ ثلاث هي: القياس المضمر القائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، والمثل هو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين والمراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى الأخرى، و الشاهد من الحجج الجاهزة كالشعر و الأحاديث إلخ " [٤].

(١) القراءة الثقافية: محمد عبد المطلب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ١١٢.
(٢) ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم: ٨٧.
(٣) المقدمة: ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ج٢، ٢٠٣.
(٤) في بلاغة الخطاب الإقناعي : محمد العمري، دار إفريقيا، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢، ٩٤.

❖ الدكتور أبو بكر العزاوي الذي انطلق من فكرة الخطاب الحجاجي إذ قصد التكلم بالتأثير، كما يؤكد أنّ كل قول لغوي يحمل في مضمره وظيفة حجاجية ، فعرّف الحجاج على أنه " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أي أن الحجاج مؤسس على بُنية الأقوال اللغوية وحركتها داخل الخطاب " (١).

❖ عرّفه الدكتور طه عبد الرحمن أنّه " كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها " (٢)، وهنا تتميز كتاباته بالطابع الفلسفي المُستنِد إلى المنطق والفلسفة إذ قسّم الحجاج إلى تجريدي وتوجيهي وتقويمي في كتابه (أصول الحوار وتجديد علم الكلام) مُبرِزاً الحوار بوصفه الميزة التي تميّزَ بها الخطاب الحجاج.

اذن معنى الحجاج يتمحور بين ثلاث عناصر هي: المحاجج ، والمتلقي، والخطاب، وكذلك يدور الحجاج حول قضية خاصة معينة إذ يبرز المحاجج كل آرائه وبراهينه وحججه ووسائل إقناعه من إقناع المُستمع له ، إذ أنّ المحاجج المخضّرم هو الذي يستطيع استمالة المستمع بإقناعه بوجهة نظره معتمداً على أدلة بلاغية ومنطقية ولغويّة، وكل آراء النقّاد السابقين المذكورين آنفاً أنّهم يتفقون على هدف الحجاج رغم اختلاف زاوية المعالجة لكل واحد منهم من ناحية استعماله للطابع الفلسفي أو المنطقي أو البلاغة العربية القديمة.

والنثر تختلف قراءته من متلقٍ إلى آخر، وفي كل الأحوال القارئ وحده هو الذي يمد النص بالحيويّة، إذ يكشف عن دلالاته المتنوعة بآليات القراءة والتأويل، وهذا يعني أنّ قراءة كل قارئ له وجه واحد من الوجوه المتعددة في النص دلالياً ، ومن هنا فإن قراءة الحجاج في نثر عصر ما قبل الإسلام هو إنتاج ثانٍ لهذا النثر كما يقول آيزر: " فعل القراءة بوصفه تفاعلاً ديناميّاً بين النص والقارئ، إذ النص يجاوز نفسه ممتداً إلى القارئ" (٣)، ومن هنا النثر لا يولد ولا يرى النور إلا عندما تتم قراءته ، وفي حال إهماله يفقد روح الحياة فيه، ومن أهم العناصر التي تبرز علاقة النص النثري بالقارئ إرساء جماليّات التلقي بعناصرها الأساسية، إذ تجعل أثر الانعكاس الأدبي لهذا الحجاج بوصفه كياناً قائماً بذاته يتضمن

(١) اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، ١٦.
(٢) اللسان والميزان: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩، ٢٢٦.
(٣) نقد الحقيقة: علي حرب، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ٢٥.

العديد من الحقائق في مضمونه مقترناً بالذات القارئة ، وتلك هي عملية تفاعليّة حيويّة تعمل على خلق حجاج متنامٍ في النثر، ويتمُّ ذلك من خلال علاقة النثر بالقارئ الذي ينبثق عنه هذا الحجاج.

ومن يمعن النظر في نثر ما قبل الإسلام يجد أنّه دستور الأمة في هذا الجيل، إذ يعد مصدرا أساسيا للحياة أو المعرفة بأنواعها، ويكون الهدف في هذا البحث هو تلمُّس مواضع القوة والضعف في الحجاج، ومحاولة قراءة ما بين السطور في آليّات وسائل الإقناع.

وعند النظر في النثر الجاهلي نجد تجليات الحضارة العربية تظهر مدى تأثير الثقافات الأخرى في هذا النثر ؛ خاصةً الثقافة اليونانية ومؤلفات أرسطو، إذ استوعبت نثر ما قبل الإسلام كثيراً من المباحث الحجاجيّة ثم عَرَبتْها بمعنى تمَّ تطويعها لملائمة الأنساق الثقافية في الحياة العربية على مدار الزمن الجاهلي، ودون ان يعي الناثر الجاهلي ذلك، وقد شارك مجموعة من الفلاسفة المسلمين في هذه المهمة التوفيقية، أمثال: الفارابي، ابن رشد، ابن سينا، وهو ما جعل للحجاج حضوراً لافتاً في مجمل أدب الأمة العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مثالين أنموذجاً على النص النثري في عصر ما قبل الإسلام:

- الأوّل: ما كان من هاشم بن عبد مناف في خزاعة وقريش حين نفرتا إليه، فقال" :أيها الناس، نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة، وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب والنسب، ومعدن المجد، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم. يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة، أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يصان إلا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه. أيها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجلس يعمر ناديكم، وحابوا الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق

بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيّة، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ."فأذعن له الفريقان بالطاعة، وتصالحا " (١).

- الثاني: ما حدث من هرم بن قطبة الفزاري حين نفر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريان، فقد روي :أن عامرا وقف لعلقمة يوما، فجعل ينازعه الشرف في قومه، وتفاقم بينهما الأمر، فكان مما قاله عامر :والله لأنا أشرف منك حسبا، وأثبت منك نسبا، وأطول قصبا! قال علقمة : وأنا أشرف منك أمة، وأطول قمة، وأبعد همة. وطال بينهما الكلام، فتواعدا على الخروج إلى من يحكم بينهما، وجعلا يطوفان الأحياء، وهاب الناس أن يحكموا بينهما خيفة أن يقع في حييهما الشر حتى دفعا إلى هرم بن قطبة الفزاري – وهو غير هرم بن سنان المري ممدوح زهير – فلما علم بأمرهما، أمر بنيه أن يفرقوا جماعة الناس تفاديا للفتنة، وجعل يطاولها، ويخوف كل واحد منهما من صاحبه حتى لم يبق لواحد منهما هم سوى أن يسوي في حكمه بينهما، ثم دعاهما بعد ذلك، والناس شهود، فقال لهما :أنتما كركبتي البعير، تقعان إلى الأرض معا، وتقومان معا ."فرضيا بقوله، وانصرفا عنه إلى حييهما" (٢).

الدراسات السابقة

بعد التقصي والبحث والاستقراء قدر الإمكان وجدتُ تلك الدراسات التي بحثت في الحجاج من وجوه متعددة والتي سأعرض مضمونها بجمل قصيرة وهي:

١– أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة منذ أرسطو إلى اليوم: إشراف: حمادي صمود، جمع فيها أربع مؤلفات، قدّم أوّلها عبد الله صولة و يتحدث فيها عن الحجاج و علاقته بالخطابة والاستدلال، أمّا الثاني بعنوان (نظرية الحجاج في اللغة) قدمه: شكري المبخوت، والثالث يتحدث عن نظرية المساءلة الفلسفيّة وقدمه: محمد على الفارض، والرابع هو الأساليب المغالطيّة مدخلا لنقد الحجاج، وقدمه: محمد النويريّ (٣).

(١) جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، مج ١: ٧٥.
(٢) تاريخ الكامل، ابن الاثير، ٢/٦.
(٣) الحجاج عند أرسطو: هشام الريفي : – ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود – جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية – تونس – كلية الآداب منوبة – فريق البحث في البلاغة و الحجاج – سلسلة آداب – مج ٣٩- ١٩٩٨.

٢- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة ٢٠٠٤، تحدث فيها الباحث عن اتجاهات الدراسات اللغوية عند العرب كما تطرق للمنهج التداولي، وكذلك الحديث عن استراتيجيّة الخطاب والعوامل المؤثرة فيه، وتحدث عن استراتيجيّات الإقناع والآليات اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة [١].

٣- حسين بلوطة: الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيّان التوحيدي، إشراف: اسماعيل زردوميّ، وتشمل على فصل نظري عن مفهوم الحجاج و فصل تطبيقي، وذكر فيه الآليّات اللغويّة في كتاب الإمتاع و المؤانسة و الفصل الأخير عن الآليات البلاغيّة في نفس الكتاب [٢].

٤- سليمة محفوظي: وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد، دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج، إشراف: محمد بوعمامة، وذكرت الطالبة فيها تاريخ الحجاج وآلياته اللسانيّة والمنطقية في الخطبة[٣].

٥- نعيمة يعمرانن: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن أثير، إشراف: عمر بلخير، تحدثت فيه عن الحجاج من منظور بلاغي وتداولي [٤].

٦- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تحدث فيها عن مفهوم الحجاج ومقدماته والتقنيات التوجيهيّة والبلاغة العربية في ضوء نظرية الحجاج [٥].

٧- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، وتحدث فيه عن خصائص الكلمة الحجاجيّة وأبعادها [٦].

٨- منال سليمان: الحوار والحجاج في القصص القرآني قصة ابراهيم – يوسف – موسى نموذجا، إشراف: محمد عبد المطلب ٢٠١٧ جامعة عين شمس، وتحدثت فيها عن الحوار والحجاج في الثقافتين العربية والغربية.

---

(١) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، محمد عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤.
(٢) الحجاج في الامتاع والمؤنسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بلوطة، دار النشر جامعة الحاج الخضر باتنة، ط ١، ١٤٢٩هـ.
(٣) وسائل الاقناع في خطبة طارق بن زياد، سليمة محفوظي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الخضر، باتنة/ كلية الآداب واللغات، ٢٠١١.
(٤) الحجاج في كتاب المثل السائر لابن اثير. عيمة يعمرائن، اشراف: عمر لخير.
(٥) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، تقديم: محمد صلاح الدين، الناشر مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١.
(٦) الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط يونيو ٢٠١٧.

٩- جهاد عواض: التناص والحوارية والحجاج في إبداع بهاء طاهر، رسالة ماجستير، إشراف: صلاح فضل ٢٠١٣ جامعة عين شمس، تحدثت فيها الباحثة عن الحوار والتناص والحجاج.

١٠- أسماء فتحي الدسوقي: تقنيات الحوار والحجاج في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، دراسة لغوية بلاغيّة، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد المطلب ٢٠١٩ جامعة عين شمس.

التمهيد

مفهوم الحجاج قديما وحديثاً

التمهيد

قبل ان نشرع بدراسة الحجاج لابد لنا ان نخذ نبذة مختصرة عن النثر فالنثر كلام من دون وزن وقافية، وهو الذي تعلو فيه همم أصحابه في لغتهم، والنثر الفني يشمل القصص المكتوبة ويشمل الرسائل الأدبيّة المحبّرة، كان لها دور مهم في حياة العرب فقد كانوا عشّاقاً للحديث عن تاريخهم، وفرسانهم، وملوكهم، ووقائعهم، التي كانوا يقضون فيها أوقاتًا جميلةً [١].

وإن المؤشرات اللغويّة تتشكل على وفق الخطاب واللغة كانت تخضع للتأويل من الباحثين في فرض هيمنتها، أي خطاب يؤول من ناحية ما هو مؤول إليه أو منه بحركة توليديّة للمعنى والقيمة المضمرة فيه.

أنّ الناس في عصر ما قبل الإسلام كانوا يمتلكون نثراً وشعراً أدبياً، حيث يتحلل فيه الناثر من القيود الشعرية التي تلزم الأديب، وكانوا يجددون النثر الأدبي، ويعدّ نزول القرآن هو أكبر دليل لفهمهم له، وكذلك مجادلتهم للنبي – صلى الله عليه واله وسلم – فيما كان يتلوه عليهم، وتحدي القرآن لهم بالإتيان بمثله أو بعضه كان أكبر دليل على وجود النثر، إذ أنّ التحدي لا يكون إلّا إذا كان المتحدي يمتلك النبوغ والقوة والاقتدار.

والنثر في عصر ما قبل الإسلام كان كثيراً، ولكن كان الشعر أوفر حظاً بالاهتمام إذ التناقل والحفظ على مر الأجيال، لأن القافية الموحدة والمقاطع الموسيقية كانت السبب الأهم للعلوق بالذهن، والدوام بالذاكرة، والثبات في الحفظ، والتناقل عبر الأجيال باللفظ والعبارة نفسها ومما سبق يعني أنّ فقدان تلك الخواص الموجودة في الشعر كانت سبباً رئيساً في مشقة الحفظ وقلة دوام الذاكرة وعرضتها للضياع نثرياً، وهذا كله جعل نثر عصر ما قبل الإسلام شديد الحفظ على الرواة [٢]، حتى ولو حفظوا بعضه، ولكن رغم هذا قد بقيت نصوص نثرية كان منها لها حظ الاهتمام فظلّت سليمة وصحيحة حتى تسلّمتها أيدي المراجع وأمهات الكتب فوصلتنا بصورتها الكاملة.

ولا شكّ أنّ ظروف حياة الجزيرة العربية نتج عنها هؤلاء الموهوبين النُثّار من صناع الكلام، ومنهم على سبيل المثال: (حنظلة بن صفوان، وخالد بن سنان، وشعيب بن ذي مهدم حتى قيل عنهم انهم انبياء

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (٤٥٦هـ او ٤٦٣هـ)، تح: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م): ٢٠.
(٢) ينظر: العمدة: ١٩-٢٢.

جاهليون [١] وكذلك مرشد للخير)، وقد كانت للعرب آليّة خاصة وعامة إذ سادت بينهم الاجتماعات، والمنافسات، والمسافات، والخصومات، والمفاخرات، والمنافرات، والتجارب في الحياة.

ونقصد بالنثر القول المؤثر الذي كان يتحدث به شخص ما لقضاء مصالحه ومصالح قبيلته العاجلة وحاجاته اليوميّة إذ يودع هذا الحديث طاقات الإثارة بكل ما تستطيع من إقناع، فكان أهل القبيلة يجتمعون بالليل في مجالس السمر ويستمعون لمن أوتيّ القدرة على الفصاحة وحلو الكلام فكان يسرد القصص الطريفة مستعيداً الحوادث بأسلوب شيّق عن تاريخ الحروب والملوك وأخبار السادة، والكهّان، والعشّاق، والشعراء، والأساطير [٢].

وكان هدف الخطاب في الثقافة العربيّة إثارة المشاعر، وإلهاب العواطف، وعرض الآراء بصورة مؤثرة وفصيحة في مجالس الحُكم والوفود، وكان هدفهم الرغبة في الوصول إلى مقصدهم والإفصاح بقوةٍ وعذوبة للتأثير على القلوب، وهذا كله عمل على تفعيل الخطاب في ذلك العصر.

ويعدّ الحجاج مرتكزا أساساً في توصيل الفكرة، وتحقيق الفهم والتواصل بين المرسل والمستقبل والسياق مضمراً في مكنونه كل وسائل الإقناع والحوار التي تؤثر على المتلقي، وتجعله يغيّر وجهة نظره تجاه موضوع ما.

الحجاج لغةً

يقول ابن منظور (تـ ٧١١ هـ)، في لسان العرب " الحُجّة هي البرهان، وقيل الحجّة ما دُوفع بها على الخصم، وقال الزّهري: الحُجّة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجّه محاجّةً وحجاجّاً: نازعه الحُجّة وهو رجل محجاج أي جَدِل، والتحاجّ: التخاصم، وجمع الحجّة: حُجج وحِجاج، وحجَّه يحجّه حجّاً: غلبه حجّته، وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى: أي غلبه بالحُجّة" [٣].

(١) المفصل: علي جواد، بيروت، ط٨٢، ١٩٧٠: ٦-١٠.
(٢) ينظر: الادب الجاهلي: د. طه حسين، طبع بالقاهرة، مطبعة فاروق (محمد عبد الرحمن محمد)، ط ١٣٥٢،٣-١٩٣٣، ١٠١-١٠٧.
(٣) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (تـ ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م: (مادة حجج): ٢٢٨/٢.

وكلمة الحِجاج في المعجم اللغوي مشتقة من الجذر (ح، ج، ج)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، في كتابه مقاييس اللغة قال: "يقال حاجَجْت فلاناً فحجَجْته أي: غلبته بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج، والمصدر الحِجاج"(١).

ومن التعريفات اللغويّة السابقة يتضح أن مصطلح الحجاج مرتبط بحوارٍ واختلاف في وجهة النظر بين شخصين أو أكثر، يستخدمه أحدهم في التأثير والإقناع مستعملا البراهين، ووسائل الإقناع والأدلة التي تدعّم وجهة نظره من أجل إقناع السامع أو المتلقي إقناعاً كاملاً بدون شك.

وفي كتاب الله قد جاء الحِجاج في آيات عدة منها قوله تعالى ((وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ))(٢) فكلمة الرهان دلت على الفعل الحجاجي، وقوله ((وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)) (٣)، وكذلك في قوله ((وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ)) (٤)، وقد فسّر الزمخشّري في كتابه الكشّاف قوله تعالى (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ) متصلٌ بقولهم: لن يدخل الجنّة إلا من كان هوداً أو نصارى، فقل: هاتوا برهانكم، هلمّوا حُجتكم على اختصاصها بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم، وهذا أهم شيء لمذهب المقلّدين، وأنّ كل قول دليل عليه فهو باطل" (٥).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، مج ٢، (مادة حجج) ٣٠.
(٢) البقرة: ١١١.
(٣) الشورى: ١٦.
(٤) غافر: ٤٧.
(٥) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشّري، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة م ر، القاهرة، ٢٠١٠ ، ١٧٦.

قد ورد الحجاج قد ورد في القرآن الكريم بعدة معانٍ منها الجدل و المناظرة و البرهان و الخصومة، و هذا معناه أنّ الحجاج مصطلح قديم و ليس حديثا.

الحجاج اصطلاحا

قد ورد الحجاج بشكل لأفت للنظر في الثقافة العربية قديما و حديثا:

١- **قديما:** قد أولّى العرب الحجاج مكانة كبيرة، وأهمية فائقة خصوصا في العصر الجاهلي والإسلامي، وبين أصحاب المذاهب والديانات المختلفة ، وذلك من مسمّيات البرهان، والجدل، والمناظرة، ومن أبرز العلماء الذين اتبعوا هذه الاستراتيجية:

- الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في كتابهِ (البيان والتبيين) تعرّض لمعنى البيان حسب وجهة نظره إذ قال: " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع " [١]، و قد تحدّث عن الحجاج تحت مسمى البيّان ذكره صفات المُلقي المؤثرة في إيصال المعنى والرسالة المراد إيصالها إلى نفس المتلقي، لم يسّموه حجاجاً، بل وضفوه من دون المصطلح.
- ابن وهب (ت ٣٣٥ هـ) في كتابه (البرهان في وجوه البيان) قد تحدّث عن النثر قائلاً " أمّا النثر فلا يخلو أن يكون خطاباً أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه" [٢]، وهنا قد وظّف ابن وهب الحجاج بمعنى الجَدَل وذلك في قوله " أنّه قول الغرض منه إقامة الحُجة فيما اخُتلف فيه بين المتجادلين كما قسّمه إلى جدل محمود ومذموم مثل تقسيمات أرسطو، فالمحمود هو الذي يقصد به الحق، والمذموم هو ما يقصد به الغلبة " [٣].
- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الفروق اللغويّة) قد حدّد تحديداً للمصطلح، وذلك بالإتيان لمفهوم الدلالة والحُجة والبرهان من خلال قوله " والدلالة تكون بالعقل والحُجة وتكون بالنظر لتحديد المغايرة ، والبرهان يكون قولاً يشهد بصحة القضية المطروحة للنقاش، أي يكون بالقول،

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧، ١٩٩٨ ، ج١: ٧٦.
(٢) البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، م ر، عابدين، د.ت: ١٧٦.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٧.

ويمكن أن يكون بالفعل، فالقول: كأنْ أُقسم على صحة القضية، والفعل: تقديم دليل مادي على صدقِها " [١].

- المفكر الحجاجي ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) المشهور في التراث القديم بالمناظرة والجِدال إذ اشتهر في موسوعته (الفصل في الملل و الأهواء و النّحل) إذ اعتمد فيه على الأدلة العقلية و كل الحجج الممكنة في حديثه عن القرآن الكريم و الفرق المخالفة له حتى يوصل الخصم إلى طريق لا يجد أمامه إلا الاستسلام و التصديق بما يقول [٢].
- ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) فقد قال:" و الجدل واحد من المتناظرين في الاستدلال و الجواب، يرسل عنانه في الاحتجاج، و منه ما يكون صوابا و منه ما يكون خطأ، و يكون الجدل عنده في النهاية: معرفة بالقواعد من الحدود والآداب والاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه.. إلخ" [٣].

ومما سبق أنّ مصطلح الحجاج ارتبط بالجدل عند القدماء مثل ابن وهب و ابن خلدون فكل منهما يرى أنه صورة من صور الجدل، وقد ارتبط الحجاج بعلم الكلام إذ تكون غايته الدفاع عن العقيدة مستخدمين أدوات المنطق و الفلسفة مثل ابن حزم الأندلسي و الجاحظ و لهذا سموا بالمتكلمين، انن الحجاج من منظور العرب لم يكن يعني فنّ الإقناع بل كانوا يريدون به الغلبة على الخصم بالبراهين، والمخاصمة، والمغالبة، والمنازعة.

٢- **حديثاً:** قد عرّف عدد من النُقّاد الحجاج ومن أشهرهم:

- الدكتور محمد العمري في كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) و (البلاغة العربية أصولها وامتدادها) إذ عرّف الحجاج بوصفه خطاباً إقناعياً محاولاً تتبع آثاره في التراث العربي في القرن الأول الهجري إذ " حصر الحجاج في صورٍ ثلاث هي: القياس المضمر القائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، والمثل هو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين والمراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى الأخرى، و الشاهد من الحجج الجاهزة كالشعر و الأحاديث إلخ " [٤].

(١) القراءة الثقافية: محمد عبد المطلب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣، ١١٢.
(٢) ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابن حزم: ٨٧.
(٣) المقدمة: ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ج٢، ٢٠٣.
(٤) في بلاغة الخطاب الإقناعي : محمد العمري، دار إفريقيا، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢، ٩٤.

❖ الدكتور أبو بكر العزاوي الذي انطلق من فكرة الخطاب الحجاجي إذ قصد التكلم بالتأثير، كما يؤكد أنّ كل قول لغوي يحمل في مضمره وظيفة حجاجية ، فعرّف الحجاج على أنه " تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أي أن الحجاج مؤسس على بُنية الأقوال اللغوية وحركتها داخل الخطاب " (١).

❖ عرّفه الدكتور طه عبد الرحمن أنّه " كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها " (٢)، وهنا تتميز كتاباته بالطابع الفلسفي المُستنِد إلى المنطق والفلسفة إذ قسّم الحجاج إلى تجريدي وتوجيهي وتقويمي في كتابه (أصول الحوار وتجديد علم الكلام) مُبرِزاً الحوار بوصفه الميزة التي تميّزَ بها الخطاب الحجاج.

اذن معنى الحجاج يتمحور بين ثلاث عناصر هي: المحاجج ، والمتلقي، والخطاب، وكذلك يدور الحجاج حول قضية خاصة معينة إذ يبرز المحاجج كل آرائه وبراهينه وحججه ووسائل إقناعه من إقناع المُستمع له ، إذ أنّ المحاجج المخضّرم هو الذي يستطيع استمالة المستمع بإقناعه بوجهة نظره معتمداً على أدلة بلاغية ومنطقية ولغويّة، وكل آراء النقّاد السابقين المذكورين آنفاً أنّهم يتفقون على هدف الحجاج رغم اختلاف زاوية المعالجة لكل واحد منهم من ناحية استعماله للطابع الفلسفي أو المنطقي أو البلاغة العربية القديمة.

والنثر تختلف قراءته من متلقٍ إلى آخر، وفي كل الأحوال القارئ وحده هو الذي يمد النص بالحيويّة، إذ يكشف عن دلالاته المتنوعة بآليات القراءة والتأويل، وهذا يعني أنّ قراءة كل قارئ له وجه واحد من الوجوه المتعددة في النص دلالياً ، ومن هنا فإن قراءة الحجاج في نثر عصر ما قبل الإسلام هو إنتاج ثانٍ لهذا النثر كما يقول آيزر: " فعل القراءة بوصفه تفاعلاً ديناميّاً بين النص والقارئ، إذ النص يجاوز نفسه ممتداً إلى القارئ" (٣)، ومن هنا النثر لا يولد ولا يرى النور إلا عندما تتم قراءته ، وفي حال إهماله يفقد روح الحياة فيه، ومن أهم العناصر التي تبرز علاقة النص النثري بالقارئ إرساء جماليّات التلقي بعناصرها الأساسية، إذ تجعل أثر الانعكاس الأدبي لهذا الحجاج بوصفه كياناً قائماً بذاته يتضمن

(١) اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، ١٦.
(٢) اللسان والميزان: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩، ٢٢٦.
(٣) نقد الحقيقة: علي حرب، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ٢٥.

العديد من الحقائق في مضمونه مقترناً بالذات القارئة ، وتلك هي عملية تفاعليّة حيويّة تعمل على خلق حجاج متنامٍ في النثر، ويتمُّ ذلك من خلال علاقة النثر بالقارئ الذي ينبثق عنه هذا الحجاج.

ومن يمعن النظر في نثر ما قبل الإسلام يجد أنّه دستور الأمة في هذا الجيل، إذ يعد مصدرا أساسيا للحياة أو المعرفة بأنواعها، ويكون الهدف في هذا البحث هو تلمُّس مواضع القوة والضعف في الحجاج، ومحاولة قراءة ما بين السطور في آليّات وسائل الإقناع.

وعند النظر في النثر الجاهلي نجد تجليات الحضارة العربية تظهر مدى تأثير الثقافات الأخرى في هذا النثر ؛ خاصةً الثقافة اليونانية ومؤلفات أرسطو، إذ استوعبت نثر ما قبل الإسلام كثيراً من المباحث الحجاجيّة ثم عَرَبتْها بمعنى تمَّ تطويعها لملائمة الأنساق الثقافية في الحياة العربية على مدار الزمن الجاهلي، ودون ان يعي الناثر الجاهلي ذلك، وقد شارك مجموعة من الفلاسفة المسلمين في هذه المهمة التوفيقية، أمثال: الفارابي، ابن رشد، ابن سينا، وهو ما جعل للحجاج حضوراً لافتاً في مجمل أدب الأمة العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مثالين أنموذجاً على النص النثري في عصر ما قبل الإسلام:

- الأوّل: ما كان من هاشم بن عبد مناف في خزاعة وقريش حين نفرتا إليه، فقال" :أيها الناس، نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وبنو النضر بن كنانة، وبنو قصي بن كلاب، وأرباب مكة، وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب والنسب، ومعدن المجد، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم. يا بني قصي، أنتم كغصني شجرة، أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يصان إلا بغمده، ورامي العشيرة يصيبه سهمه. أيها الناس، الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دول، والدهر غير، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجلس يعمر ناديكم، وحابوا الخليط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق

بكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنيّة، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ."فأذعن له الفريقان بالطاعة، وتصالحا " (١).

- الثاني: ما حدث من هرم بن قطبة الفزاري حين نفر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريان، فقد روي :أن عامرا وقف لعلقمة يوما، فجعل ينازعه الشرف في قومه، وتفاقم بينهما الأمر، فكان مما قاله عامر :والله لأنا أشرف منك حسبا، وأثبت منك نسبا، وأطول قصبا! قال علقمة : وأنا أشرف منك أمة، وأطول قمة، وأبعد همة. وطال بينهما الكلام، فتواعدا على الخروج إلى من يحكم بينهما، وجعلا يطوفان الأحياء، وهاب الناس أن يحكموا بينهما خيفة أن يقع في حييهما الشر حتى دفعا إلى هرم بن قطبة الفزاري – وهو غير هرم بن سنان المري ممدوح زهير – فلما علم بأمرهما، أمر بنيه أن يفرقوا جماعة الناس تفاديا للفتنة، وجعل يطاولها، ويخوف كل واحد منهما من صاحبه حتى لم يبق لواحد منهما هم سوى أن يسوي في حكمه بينهما، ثم دعاهما بعد ذلك، والناس شهود، فقال لهما :أنتما كركبتي البعير، تقعان إلى الأرض معا، وتقومان معا ."فرضيا بقوله، وانصرفا عنه إلى حييهما" (٢).

الدراسات السابقة

بعد التقصي والبحث والاستقراء قدر الإمكان وجدتُ تلك الدراسات التي بحثت في الحجاج من وجوه متعددة والتي سأعرض مضمونها بجمل قصيرة وهي:

١– أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة منذ أرسطو إلى اليوم: إشراف: حمادي صمود، جمع فيها أربع مؤلفات، قدّم أوّلها عبد الله صولة و يتحدث فيها عن الحجاج و علاقته بالخطابة والاستدلال، أمّا الثاني بعنوان (نظرية الحجاج في اللغة) قدمه: شكري المبخوت، والثالث يتحدث عن نظرية المساءلة الفلسفيّة وقدمه: محمد على الفارض، والرابع هو الأساليب المغالطيّة مدخلا لنقد الحجاج، وقدمه: محمد النويريّ (٣).

(١) جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، مج ١: ٧٥.
(٢) تاريخ الكامل، ابن الاثير، ٢/٦.
(٣) الحجاج عند أرسطو: هشام الريفي : – ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود – جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية – تونس – كلية الآداب منوبة – فريق البحث في البلاغة و الحجاج – سلسلة آداب – مج ٣٩- ١٩٩٨.

٢- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة ٢٠٠٤، تحدث فيها الباحث عن اتجاهات الدراسات اللغوية عند العرب كما تطرق للمنهج التداولي، وكذلك الحديث عن استراتيجيّة الخطاب والعوامل المؤثرة فيه، وتحدث عن استراتيجيّات الإقناع والآليات اللغويّة والبلاغيّة والمنطقيّة [١].

٣- حسين بلوطة: الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيّان التوحيدي، إشراف: اسماعيل زردوميّ، وتشمل على فصل نظري عن مفهوم الحجاج و فصل تطبيقي، وذكر فيه الآليّات اللغويّة في كتاب الإمتاع و المؤانسة و الفصل الأخير عن الآليات البلاغيّة في نفس الكتاب [٢].

٤- سليمة محفوظي: وسائل الإقناع في خطبة طارق بن زياد، دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج، إشراف: محمد بوعمامة، وذكرت الطالبة فيها تاريخ الحجاج وآلياته اللسانيّة والمنطقية في الخطبة[٣].

٥- نعيمة يعمرانن: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن أثير، إشراف: عمر بلخير، تحدثت فيه عن الحجاج من منظور بلاغي وتداولي [٤].

٦- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تحدث فيها عن مفهوم الحجاج ومقدماته والتقنيات التوجيهيّة والبلاغة العربية في ضوء نظرية الحجاج [٥].

٧- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، وتحدث فيه عن خصائص الكلمة الحجاجيّة وأبعادها [٦].

٨- منال سليمان: الحوار والحجاج في القصص القرآني قصة ابراهيم – يوسف – موسى نموذجا، إشراف: محمد عبد المطلب ٢٠١٧ جامعة عين شمس، وتحدثت فيها عن الحوار والحجاج في الثقافتين العربية والغربية.

---

(١) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، محمد عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤.
(٢) الحجاج في الامتاع والمؤنسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بلوطة، دار النشر جامعة الحاج الخضر باتنة، ط ١، ١٤٢٩هـ.
(٣) وسائل الاقناع في خطبة طارق بن زياد، سليمة محفوظي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الخضر، باتنة/ كلية الآداب واللغات، ٢٠١١.
(٤) الحجاج في كتاب المثل السائر لابن اثير. عيمة يعمرائن، اشراف: عمر لخير.
(٥) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، تقديم: محمد صلاح الدين، الناشر مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١.
(٦) الحجاج في القرآن الكريم، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط يونيو ٢٠١٧.

٩- جهاد عواض: التناص والحوارية والحجاج في إبداع بهاء طاهر، رسالة ماجستير، إشراف: صلاح فضل ٢٠١٣ جامعة عين شمس، تحدثت فيها الباحثة عن الحوار والتناص والحجاج.

١٠- أسماء فتحي الدسوقي: تقنيات الحوار والحجاج في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، دراسة لغوية بلاغيّة، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد المطلب ٢٠١٩ جامعة عين شمس.

الفصل الاول

الخطاب الحجاجي والمؤشرات اللغوية

والرابط والعوامل الحجاجّية

المبحث الأوّل: الخطاب الحجاجي.

المبحث الثاني: المؤشرات اللُّغويّة.

المبحث الثالث: الروابط والعوامل الحجاجيّة

المبحث الأوّل: الخطاب الحجاجي

للخطاب الحجاجي أهمية خاصة في تحليل الخطابات الإنسانيّة و تفكيكها من وجهة نظر المقصد المتنوع المتلفظ الحجاجي؛ إذ يعمل هذا الخطاب على تشريح الشيفرة الخطابيّة بغرض فهم الرسالة الموجهة نحو المتلقي، وهنا في هذا المبحث يتوجب الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ماهية الخطاب الحجاجي ؟

٢- كيف تجلّى الخطاب الحجاجي في نثر ما قبل الإسلام تحليليا ؟

أولا: مفهوم الخطاب

يواجه النقاد الإجابة عن سؤال: هل النص والخطاب لهما معنى واحد أم بينهما اختلاف؟ لاشكّ أنّ هناك من يرادف بينهما، وكذلك من يميز بينهما على أساس أنّ الخطاب مرتبط باللفظ والسياق التفاعلي في حين أن النص يتجرد من هذا السياق بشكل كلي، والخطاب يتميز بخواص نصيّة بوصفه فعلا انبثق في وضعية خاصة مثل المستمعين والزمان والمكان والخطيب، ولكن النص هو نتاج بدون سياق، وهذا يعني أنّ لفظة الخطاب تستمد مشروعيتها من طبيعة المخاطب والسياق الذي تدور فيه إذ تكتسب طبيعة معرفية شاملة تتجاوز الجزئية عند الكلمات والأسلوب، والخطاب يندرج عبر منظومة معرفيّة تعمل على استثمار الخطاب الثقافي في سياقه المنتج لآلياته [١]. والنص مفهوم ينزع الى النمط الخبري، فيكون أقرب الى إقامة الحجة والدليل، اما الخطاب فهو مفهوم ينزع الى الانشائية لذا يكون أقرب الى الابداع.

ومن هنا ليس من السهل التعريف بالخطاب أو البحث عن مفهوم جامع ومانع له؛ والتقدم الذي أحرزته الثقافة العربية عبر تقنياتها الأسلوبية تصب في بؤرة الخطاب، فتحديده يبقى مسألة نسبية إذ يعرّفه كل باحث من وجهة نظره الخاصة التي ترتبط بالخصوصية المعرفية، وتؤكد الدراسات على أن مفهومه غير متفق عليه لتعدد الموضوعات التي يطرحها، واسعى جاهدة في البحث عن جذور هذا المصطلح سواء في المعاجم العربية أم الكتب الغربيّة للوصول إلى مفهوم الخطاب الأدبي [٢].

(١) الأسلوب وتحليل الخطاب، نور الدين اسد: ٧٥.
(٢) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي، (عناصر استقصاء نظري)، حبيب أعراب، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، الكويت، ع ١، سبتمبر، ٢٠٠١: ٩٧-٩٨.

وللخطاب مفهومان:

وسعياً لتحديد مفهوم الخطاب، وجب الإشارة الى مفاهيم ساعدت على تكوين هذا المفهوم وايجاده، وهذه المفاهيم هي:

١- **المفهوم الأوّل** الخطاب اللغوي عند العرب: أصيل وثابت عرفته العرب وورد في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وفي القرآن الكريم يتجلّى الخطاب في آيات عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ((وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)) (١).

وهنا اقترن الخطاب عند ذكر الحج ومناسكه في لفظة (الناس) إذ المخاطب هنا هم المسلمون على مر العصور، إذ كانت بلاغة الخطاب الإلهي في نفس إبراهيم عليه السلام هي القوة المحركة لإمداده بالطاقة اللازمة لتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى.

وأمّا في السنة النبوية، هو خطاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في حجة الوداع: " أيها الناس: اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً، أيّها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وأن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون " (٢).

وفي هذا الخطاب النبوي يوجه النبي حديثه و وصاياه إلى الأمة الإسلاميّة عامة الحاضرة مكانياً، واللاحقة إلى يوم الدين إذ أوصاهم بعدم الاعتداء على حرمات الله، وكذلك أوصاهم بالأمانة لما لها من تأثير في الثقافة الإسلامية وكذلك نهاهم عن الظلم، وهنا يخاطب المؤمنين رغم علمه بقوة إيمانهم وإدراكهم لتلك الوصايا، ولكن من شدة حبه لهم وحرصه عليهم أراد تثبيت تلك الوصايا في نفوسهم وتذكيرهم بها.

٢- **المفهوم الثاني:** الخطاب ذو طبيعة تركيبية يتعدى بها الدلالة اللغويّة إلى الدلالات الفلسفيّة والسياسية والإعلامية، فلو عدنا للمعاجم العربية وجدنا أن لفظة خطاب بكسر الخاء وتخفيف الطاء

(١) الحج: ٢٧.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج (٢١٨/١٤٧)، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

هو (مراجعة الكلام)[١]، والخَطْبُ "الأمر يقع؛ وإنما سُمّى بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة" [٢]، وخاطبه أحسن الخطاب: واجهه بالكلام [٣]، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان أي وجه أحدهما كلاماً للآخر[٤].

أنّ الخطاب هو مراجعة الكلام و الوصول إلى إقناع المستمع بفكرة خاصة كان رافضا أو متشككا لتلك الفكرة و المسيطرة على ذهن المستمع ثم تحل مكانها " الفكرة التي جيء بالحجة من أجل إثباتها "[٥]، وهو أيضا المراجعة بالكلام أو ما يخاطب به الرجل صاحبه؛ ونقيضه الجواب وهو قطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (السامع أو القارئ)، ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما، ويعرفه بيارشاردو هو " ما تكون ملفوظ ومقام خطابي وأن الملفوظ يستلزم استعمالاً لغوياً عليه إجماع، أي قد تواضع عليه المستعملون للغة، وأن هذا الاستعمال يؤدي دلالة معينة" [٦].

أي لفظ + مقام خطابي = خطاب، و كذلك عرفته جوليا كريستيفا بأنه " كل لفظ يحتوي داخل بنياته الباعث والمتلقي مع رغبة الأول في التأثير على الآخر" [٧].

تبعا لرأي البلاغيين أن اللسان آلة البيان إذ تتجلى تلك الدلالة الفلسفية في أن تعدد وتنوع الخطاب الحجاجي ركيزة أساسية في الثقافة العربية والثقافات الأخرى، وكذلك لم تكن دراسة الخطاب الحجاجي حديثة بل توغلت في مؤلفات أرسطو والثقافة اليونانية التي رصدت آليات الخطاب والموروث الفكري الضخم، وكذلك قد استمدّ الخطاب قوته من البلاغة والفصاحة العربية التي عاشها العربي فيما قبل

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ٣٩٥٢، مادة (خَطّبَ).
(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م، مادة (خَطَبَ).
(٣) أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م، مادة (خَطَبَ).
(٤) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مادة (خَطَبَ)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة، دار الدعوة، تركيا، ط٢، ١٩٨٩م، مادة (خَطَبَ).
(٥) الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجا، إيمان درنوني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر، إشراف: الجودي مرداسي، ٢٠١٢: ١٥.
(٦) الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب)، فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م: ٣٩.
(٧) المصدر نفسه: ٤٠.

الإسلام كوسيلة أساسية في الإقناع في الثقافة العربية وذلك في إطار توفر معايير الخطاب (الاستمالة – التأثير – الإقناع).

ثانياً: الخطاب في الثقافة العربية

قد أورد الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) العديد من خطباء ما قبل الإسلام من غير ترتيب منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **كعب بن لؤي:** قلت " وعليه عمود النسب، و إليه ذاك الحسب المنير المنيف، الضويّ، فاض عليه ذلك النور الساطع واستفاض عنه ما يسر المسامع وكفاه شرفا مرور النسب الصميم على جادته " [1]، وقال الجاحظ عن كعب أنه أول من خطب يوم عروبة وهو الجمعة وقد جمع الناس وذكر لهم شأن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) ودنو أوان مبعثه، وبشر به ونحر لهم يوم ذاك الجزر وأطعمهم.
- **الزبير بن بكار:** كانت يخطب في قريش قائلا " أما بعد، فاعلموا وتعلموا، إنما الأرض مهاد والجبال أوتاد والسماء بناء والنجوم علائم يأمرهم بصلة الرحم ويبشرهم بالنبي (صل الله عليه وآله وسلم) ويقول: حرمكم يا قوم عظّموه فسيكون له نبأ عظيم و يخرج منه نبي كريم " [2].

فيما لا يتبعد مفهوم الخطاب عند علمائنا القدامى كثيراً عما قررته المعاجم العربية، ومما يساعد على معرفة دلالة الخطاب في الثقافة العربية وروده في القرآن الكريم في عدة مواضع، فقد قيل أنه " توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى كلام موجه نحو الغير للإفهام، وقد يُعبر عنه بما يقع به التخاطب"[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٠٦/١، كعب بن لؤي بن غالب، جد جاهلي، من سلسلة النسب النبوي، كان عظيم القدر عند /العرب حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل. كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن كنانة وهو الجد السابع للنبي محمد بن عبدالله (صل الله عليه وآله وسلم) كان سيد قبيلة كنانه: (البداية والنهاية): ٥٧؛ الزبير بن بكار (١٧٢-٢٥٦هـ = ٧٨٨-٨٧٠م) من احفاد الزبير بن العوام، عالم بالأنساب وأخبار العرب، رواية ولد في المدينة وولي قضاء مكة فتوفي فيها، جمهرة نسب قريش وأخبارها، القريشي الزبيدي، تح: عباس هاني الجراح: ٣٣٥/١.

(٢) الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ٢٠٠٤: ١٨٥/١٣.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٥٨: ٥/٢.

أن الخطاب مبني على الخطابية والتلفظية، وهو عبارة عن ألفاظ متصلة بالسياق الوظيفي سواء شفويا أو كتابيا، وهو عبارة عن التعبير بصيغة جمالية فنية للمضمون ضمن الإطار النثري.

ثالثاً: الخطاب في مفهوم الثقافة الغربية

لم يكن الاهتمام بالخطاب وليد اللسانيات الحديثة بل كانت له جذور وامتدادات في الدارسات القديمة، وكانت البدايات بنحو الجملة، وقد حظي الخطاب باهتمام الكثير من الفروع، كالفلسفة واللسانيات والفقه والنقد، واختلفت الرؤى بين هذه الفروع من نواحٍ كثيرة، فمن ناحية المفهوم لا نجد اتفاقاً حول مفهوم محدد وشامل.

فقد أعطت كل نظرية مفهوماً خاصاً للخطاب يختلف عن مفهوم النظريات الأخرى، من الناحية الشكلية اختلفوا حول العناصر المكونة له، ودور كل منها في إنتاجه، واهتمت الدراسات القديمة بعنصرين مكونين له هما المخاطِب والمخاطَب عند القدامى أو المرسل والمرسل إليه في الدراسات اللسانية الحديثة [١]، والتي أضافت عناصر أخرى لمكونات الخطاب، وهي السياق وماله من أثر في تشكيله، وكذا المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب وما لها في الأخرى من دور، كما اهتمت اللسانيات الحديثة وبخاصة اللسانيات التداولية بالخطاب الذي شكل اهتمامها الأكبر مع التركيز على عنصر التداول فيه والمقصدية من وراء إنشائه، كما ركزت اللسانيات التداولية على تحديد الأهداف التي من أجلها أنشئ الخطاب، وكيفية استعمال اللغة والتعامل معه [٢].

وقد اختلف كثير من الدارسين في تعريف الخطاب، فقد عرفه (سوسير): الخطاب مصطلح مرادف لـ (الكلام) [٣]، أما (هاريس) فقد كان له رأي أخر في تعريف الخطاب حين قال: " الخطاب وحدة لغوية ينتجها الباعث (المتكلم) تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة [٤]، وله تعريف أخر أيضاً: " أي منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وعند الأول فيه نية التأثير وفي الأخر بطريقة معينة "[٥].

(١) تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩: ٩.
(٢) المصدر نفسه: ١٠.
(٣) المصدر نفسه: ٤٠.
(٤) آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية، سعد بولنوار، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر: ٥٨.
(٥) المصدر نفسه: ٥٨.

رابعاً: الخطاب الحجاجي

الخطاب الحجاجي هو مجموعة من الجمل والفقرات والمتواليات والمقاطع المتفاعلة فيما بينها " اتساقاً وانسجاماً وحوارية بوساطة مجموعة من الروابط والعلميات والعلاقات المنطقية والبرهانية والاستدلالية والحجاجية بغية التأثير والإقناع والاقتناع " (١)، وتستعمل في الخطاب الحجاجي عدة وسائل وآليات واستراتيجيات من أجل إقناع الآخر، وهذا يعني أنّ هذا الخطاب الحجاجي هو خطاب نقدي هدفه بيان حجاجيّة الخطاب ورصد الحوار النصي فيه سواء كان ذلك الحجاج صريحٌ أو خفيٌ مضمر.

وقد تعددت تعريفات الخطاب الحجاجي في الثقافة العربية والغربية على سبيل المثال لا الحصر:

١- **عربياً:** قد عرّف أبو بكر العزاوي الخطاب الحجاجي بأنه " هو مجموعة من الأقوال والجمل ومجموعة من العلائق الدلالية المنطقية القائمة بينها أو بتعبير حجاجي هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق، فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة لها، والدليل يفضى إلى نتيجة والنتيجة تفضى إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى فإنّ الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل الشرط والسببية والاستلزام والاستنتاج والتعارض و كلها علائق حجاجيّة استدلالية، ومجموع هذه العلائق هو ما يكون البينة المنطقية للنص أو للخطاب المقصود، وهو ما نسميه عادة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي " (٢).

٢- **غربياً:** تعددت تعريفات النقاد الغربيين للخطاب الحجاجي منهم روث أموسي التي تقر أن " الحجاج يخترق كل الخطابات بدرجات و كيفيات مختلفة؛ ومن ثم فلا وجود لخطابات خالية من الحجاج، إلا إذا افترضنا وجود خطابات تمثل إجابات على ما هو بديهي، لا يثير أي اختلافات؛ ففي هذا الحال ينتفي الحجاج وبناء عليه، فإنها تدعو إلى أن نستبدل بالتقابل الإشكالي بين الحجاجي واللاحجاجي، تصورها يقترح مفهوما للحجاج متنوع المظاهر، يتشكل من قطبين متطرفين تمثل أحدهما الخطابات التي تقوم على اصطدام الدعاوى المتعارضة في حالاتها القصوى وتمثل القطب المعاكس الخطابات

(١) حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي، جميل حمداوي، صحيفة المثقف، العدد ٤٩٣٤، الاثنين ٢٠٢٠/٣/٩: ٩.
(٢) حوار حول الحجاج: أبو بكر العزّاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، طب١، ٢٠١٠: ٣٧-٣٨.

السردية والإخبارية التي تبدو مجردة في الظاهر من أي إقناع، وإنما يحصل تأثيرها في الآخر نحو خفي، وبين هذين القطبين تقوم خطابات حجاجيّة مختلفة من قبيل الخطابات التي يروم فيها الخطيب حمل المتلقي على الإذعان لدعوى ما، والخطابات التي تقوم على الحوار والتفاوض "[١].

أنّ الخطاب الحجاجي فحواه التأثير العاطفي على المتلقي وجذبه وجدانيا وذهنيا، وكذلك العمل على استمالة غير المخاطب والتأثير عليه عاطفيا مثل الخطاب السردي والخطاب الشعري والخطاب السياسي.

طرح أستاذ محمد مشيال مشروعه حول بلاغة الحجاج في مقاربة بلاغية حجاجيّة التحليل الخطابات، فسعى لتقديم ((البلاغة باعتبارها منهجاً في تحليل النصوص الحجاجيّة انطلاقاً من استراتيجياتها الخطابيّة اللوجوس والايتوس والباتوس)) [٢]، كما قارب بين البلاغية الأدبية التي تهتم بالوجوه الاسلوبية، والاستخدامات اللغوية التي تعني بوصف الوظيفة الجمالية للنّص الأدبي وبين البلاغة الحجاجيّة.

(١) في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، محمد مشبال، كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٧: ٦٠.

(٢) في بلاغة الحجاج، محمد مشيال، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٦، ط١: ١١.

المبحث الثاني: المؤشرات اللغويّة

بالنسبة للمؤشرات اللغويّة يعتقد (وفالد ديكرو) (O. Ducrot) (١٩٣٠ فرنسي) أننا نتكلم عامّة بقصد التأثير [١]، وهذا التأثير والحمل على الإذعان والإقناع بما يعرض علينا من أفكار ومعتقدات، إنما يحصل " بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم"[٢] كون " اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفية حجاجية"[٣] أي في بنية الأقوال اللغوية.

وتعد الآليات اللغوية – في كل خطاب – الوسائل الأفضل لتحقيق الإقناع والتصديق والآليات اللغوية التي تسهم بشكل فعال في عملية الإقناع لعلّ من أهمها [٤]:

أولاً: القرائن المقاميّة والحاليّة

تتعامل كثير من العلوم باستعمال مصطلح القرينة، ففي الدراسات اللغويّة يستعمل هذا المصطلح، وفي الدراسات الفقهيّة يستعمله رجالها، وكذلك في الدراسات التي لها علاقة بعلم الكلام، وإذا بحثنا عن معنى (القرينة) وجدناه الأمر الدال على شيء من غير استعمال فيه، و " القرينة في اللغة من الاقتران بمعنى المصاحبة، يقال اقترن الشيء بغيره، وقارن الشيء بالشيء مقارنة وقراناً اقترن به وصاحبه، والقرينة فعلية بمعنى مفعولة، وقد تجاذبت كلمة القرينة والقرين في المعاجم اللغوية عدة معان، فالقرينة: الزوجة، والنفس، والناقة تشدّ إلى أخرى، والقرين: المصاحب، والنفس، والأسير، والبعير المقرون إلى آخر" [٥].

أما اصطلاحاً فقد عرّفها (الشريف الجرجاني ت ٨١٦ هـ) موجزاً " أمر يشير إلى المطلوب " [٦]، والواضح أن كلمة (أمر) هنا غير محددة فهي تشمل كل ما يشير من لفظ أو معنى أو حال إلى

(١) الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي: ١/ ٥٦.
(٢) المصدر نفسه: ٥٦/١.
(٣) المصدر نفسه: ٥٥/١.
(٤) وردت بعض هذه الآليات في كتاب النص والخطاب والاتصال: محمد العبد: ٢٣٠ وما بعدها.
(٥) العين، الخليل: ١٤٢،١٤٣/٥، الصحاح: الجواهري: ٢١٨٢/٦، ٢١٨١، لسان العرب: ٣٣٥،٣٣٦/١٣؛ تاج العروس: التربيدي: ٤٤٩/١٨-٤٥٠، مادة (قرن).
(٦) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٢٣.

المطلوب، والمطلوب، كما يبدو هو المقصود أو المراد؛ ومن ثم عرفها بعض المحدثين بأنها " كل ما يدل على المقصود " [١]، ويبدو أنهم لم يتوصلوا لتعريف القرينة تعريفاً مفصلاً وواضحاً.

إن القرينة كانت مدار عناية علماء العربية منذ زمن، فكانوا يدرسون النص من جوانبه المختلفة، ومن هؤلاء العلماء الجاحظ الذي يذكر أنه "لكل مقام مقال" [٢]، ويقرر أن القرائن الدالة على المعاني من " لفظ غير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أولها: اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال الذي يسمى نصبة والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا يقتصر على تلك الدلالات" [٣].

وقد ترد نصوص لا يمكن فهمها إلا بالقرينة الحالية فيها، أو بمعرفة الأحوال المحيطة بالنص أو بالعادات والتقاليد الاجتماعية والثقافية والبيئية؛ لأنها قرائن كاشفة عن المعنى الدقيق، وتتظافر القرائن الحالية جميعاً (حاليّة ومقاميّة) إذ يكون المعنى في النص – أي نص– أكثر وضوحاً، ودقة بل كثيراً ما يتوقف فهمه على تلك القرائن.

ولم تكن العناية بالقرائن الحالية لدى القدامى فقط من مفسرين أو بلاغيين بل هو مواضع المحدثين كذلك، ومن هؤلاء المحدثين (فيرث) صاحب نظرية السياقيّة الذي " اهتم بالعناصر المكونة للموقف الكلامي من ظروف اجتماعية وبيئيّة وثقافيّة وسياسيّة بل ونفسية، فضلاً عن شخصية المتكلم والسامع"[٤].

أمّا تعريف القرينة بشكل عام اصطلاحاً نجده عند مجدي وهبة حين قال: "بأنها ما يمنع من إرادة المعنى الأصلي في الجملة" [٥]، إذ أنها لا تدل على المعنى اللغوي الأصلي، بل تدل على معنى آخر له خصوصيته يتعلق بأمر من الأمور، وأقرب ما وجدنا لتعريف القرينة عند أحد الباحثين (تمام حسان) إذ قال: "ظاهرة لفظية أو معنوية أو حالية يتوصل من خلالها إلى آمن اللبس الناشئ من تركيب المفردات بعضها مع بعض في سياقات متقاربة لفظاً ومعنى، ثم يتم ترجيح حكم على آخر بوساطتها" [٦]، وقد أدرك

(١) موسوعة النحو والصرف والأعراب، اميل بديع يعقوب: ٥٢٢.
(٢) البيان والتبين: ٢٣/١.
(٣) البيان والتبين: ٧٦/١.
(٤) علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ٦٨-٧١ ؛ اللغة والمجتمع رأي ومنهج، محمد السعران: ٢٩.
(٥) معجم المصطلحات العربية: ٢٨٨.
(٦) القرائن النحوية: تمام حسان، ٤.

كذلك الدكتور تمام حسان وأصحاب النص أهمية المقام في تحديد المعنى أو دلالة النص فأفرد لها قسماً كبيراً وأسماه القرائن المقاميّة ومنها الحاليّة والمقاميّة، وخصص علماء النص للمقامية معياراً منفرداً ضمن معايير النص.

أنّ البلاغيين قد اهتموا بفكرة المقام حين قالوا لكل كلمة مع صاحبها مقام، أي أن فكرة المقام عرّفها البلاغيون العرب منذ ألف سنة تقريباً، وهي تضم المتكلم والسامع، والظروف، والعلاقات الاجتماعية والأحداث.

وهناك قرائن كما قلنا– بالحركات وبالأصوات– نجد هذه القرائن وجدت مع نصوص كدعائم حجاجيّة واضحة منها على سبيل المثال – بالحركات – في قصة المثل لحجر بن الحارث بن عمر " آكل المرارة " وهو أبو امرؤ القيس وهو ملك الشام حين غار على أرض نجد (ابن مندلة) واستاق مال حجر، وأخذ امرأته هند الهنود، ووقع بها فأعجبها، وكان أكل المرارة شيخاً كبيراً، وابن مندلة شاباً جميلاً... ثم أنه حذرته من غضب حجر بن الحارث، لذا خرج ابن مندلة فغدا إلى الشام (ذهب مسرعاً) ، فلما عاد حجر وجد أن ماله قد سيق، وأن هند قد أخذت، فعرف الخبر ثم قال هذا المثل (لا غزو إلا التعقيب)، وحينما أرسل جواسيسه إلى مندلة، وعرف حديث امرأته، ضرب بيده على المرارة، فأكل منها من الغضب ثم خرج ثم أغار على ابن مندلة فقتله ثم قتل هندا [1].

هنا نجد بعض القرائن التي أعطت للنص قوة حجاجيّة و إقناعيّة بمدى وقع الأحداث وهي:

أن مندلة عندما عرف بأس حجر بن حارث (خرج فغدا) أي مسرعاً، وهذه قرينة خدمت النص، وسار بالذهن إلى معنى أبعد وهي قوة وبأس، والرأي الصلب والحازم الأكيد للخصم، لذا وهي دلالة مفردة على حركة الجسم كله بمقابلة الخصم، وهو حجر بن حارث الذي هو الآخر حينما عرف بغدر زوجته رغم أنه يكّن لها الحب، وعرف أن حبها له غيتور – أي لا يدوم على حال– أسف على ذلك وضرب على شجرة، لو أكلت منها الإبل – دون وعي– لتقلصت مشارفها، وأكل منها فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على

(١) مجمع الأمثال، للميداني: ١٣١/٢.

الغضب الكبير، ما أن تقرأ حتى يتبين لك صورة الحارث وهو يشيط غضباً من رسم الكلمات، وهذه قرينة أيضاً خدمت النص أيضاً.

أمّا قرينة المقام فنجدها في وصية النعمان بن ثواب العبدي لبنيه، إذ أن هذا الرجل ذو شرف وحكمة، وكان له ثلاثة أبناء لكن كان كل واحد منهم في حال، إذ أن سعداً كان شجاعاً، وسعيدا كان يشبه أباه في شرفه وسؤدده، أمّا ساعدة فكان صاحب شراب وندامى وإخوان، فأوصى أولاده فرداً كل واحد منهم وصية حسب مقولة قرينة صاحب المقام (لكل مقام مقال)، فالشجاع مثل سعد أوصاه: " يا بني أن الصارم ينبو، والجواد يكبو، والأثر يعفو، فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تستعر، وبطلها يخطر، وبحرها يزجر، وضعيفها يُنصر، وجبانها يَجسرُ، فأقلل المكث والانتظار، فإن الفرار غير عار، إذا لم تكن طالب ثأر "[1].

أمّا وصيته لابنه سعيد، وكان جوّاداً: " يا بني لا يبخل بالجواد فابذل الطّارف [2]والتّلاد[3]، وأقلل التّلاح، وتذكر عند السماح، وآبل إخوانك فإن وفيّهم قليل، واصنع المعروف عند محتمله" [4].

أمّا وصيته لابنه صاحب الشراب: " يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب، وتقلل الكسب، ويجدّ اللعب، فابصر نديمك، واحم حريمك واعن عزيمك " [5].

ثلاث وصايا أعطت لكل ذي حق حقه حسب الآتي:

- **الشجاع:** نلتقط من وصيته كلمات تدل على شجاعته، وهي (ساحة الوغى، السيف، الجواد، الحرب، استعار نارها، الضعيف، الجبان، الكر والفر)، وكلها كلمات إقناعيّة لبطل مثل ولده جرّب ساحات الوغى.
- **صاحب الجود:** أيضاً اختار له من مقام الجود منها (البخل، الجود، الكرم، وبذل المال)، فبالجود يعرف الكريم، وباذل المال، فكلماته تكون إقناعيّة من وحي كرم ولده.

(١) مجمع الأمثال: ٤٨/١، جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت: ١٢٦-١٢٧.
(٢) الطّارف: المال المستحدث، المتلد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك.
(٣) التّلاد: التنازع، ولا ماه فلا ماه، ولحاء، نازعه.
(٤) مجمع الأمثال: ٤٨/١؛ جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت: ١٢٦-١٢٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٣٥.

❖ **صاحب الشراب:** فهو الآخر كانت له كلماته التي تناسب ما يصبو إليه واعتاد عليه في مجالسه منها (الشراب، مفسدة القلب، الجدّ في اللعب، النديم، وانتهاك الحرمة، الغريم،...)، وهي كلها تدور في محور اللهو والشرب وذهاب العقل، فجاءت نصيحته لتكون بمثابة صحوة له أثناء غياب عقله بالسكر من انتهاك الحرمة، وقلة الكسب، لذا يجب أن يختار العزيم ويحمي الحريم، فهذا الشيخ الحكيم تكلم عن أولاده كلٌّ حسب عقله، ويلقي مجموعة من الحجج لإقناعهم.

ثانياً: الشّك

حينما تبدأ خطبة المنافرة بسؤال استنكاري يكون غرضها (تهييج الشك) حول المواقف التي يتبناها خصمه إذ يضعها موضع استبعاد أو استحالة. كما يتوخى من خلال هذه الصيغة إرباك الخصم وإزعاجه، فالسؤال هنا ليس مساعداً يمكن الخصم من بسط وإشاعة طروحاته، بل هو وسيلة لدحره إلى مواقع دفاعية يحرم فيها المبادرة وينشغل، فقد يرد النفي ولا تقف الأبعاد الحجاجية لسؤال الاستنكار عند هذه المحور بل يرتبط كذلك بالتشهير بأخطاء الخصم أو النفخ فيها، حتى يتسرب الارتياب لصاحبها، وحتى يتسع حجم مذاقها أمام الحضور، ففي غمرة المواجهة كثيراً ما يتبع السؤال تمرير خطاب سلبي عن الآخر [١].

كل هذا نجده في المنافرة التي حصلت بين قيس بن رفاعة والحارث بن أبي شمر الغساني، إذ أن قيساً كان يفد سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق، وسنة إلى الحارث بالشام فقال النعمان يوماً: يا ابن رفاعة، بلغني أنك تفضل النعمان عليّ؟ فما كان جوابه إلا بسؤال استنكاري دلالة على الشك وهو " وكيف أفضّله عليك أبيت اللعن؟" [٢]، وحتى يزيل الشك يبدأ بقسم، ومن ثم يبدأ بالمفاضلة ما بينهما بصيغة التفضيل (أفعل) ومنها (أحسن، أشرف، أجود، أغرر...).

(١) بلاغة الاقناع المناظرة، عبد اللطيف عادل: ٢١٧.
(٢) الأمالي: ٢٦١/١؛ ومروج الذهب: ٢٦٨/١.

قوة		ضعف	
لجندك	ح١٣	أعز من	جنده
لزندك	ح١٢	أورى من	زنده
لشهرك	ح١١	خير من	حوله
ليومك	ح١٠	أفضل من	شهوره
لجدولك	ح٩	أغمر من	بحوره
لكرسيك	ح٨	أرفع من	سريره
لتماديك	ح٧	أغزر من	غديره
لقليك	ح٦	أكثر من	كثيره
لحرماك	ح٥	أنفع من	نداه
لشمالك	ح٤	أجود من	يمينه
لأبوك	ح٣	أشرف من	جميع قومه
لأمك	ح٢	أشرف من	أبيه
لقفاك	ح١	أحسن من	وجهه

وتواتر صيغ التفضيل هذه وضمنها لبيان ما يمكن أن ينتج عن رفع الجانب الأول والحط من الجانب الثاني من خلال أسلوب المقابلة، وبالاستناد إلى قياس الخصم الوارد في الأطروحة فإن الحارث هو الأوفر حظاً من النعمان ثم أنه ردع كل العيوب عنه وألحقها بالآخر وحقق المزايا باعتماد الحجة والبرهان، ثم عاد ووضع حجة أخرى وهي: " أنك من غسان أرباب الملوك، وأنه لمَنْ لخم كثير النّوك"، وفي هذه المقولة الأخيرة أزال كل الشك في نفسه حينما فاضل بين العشيرتين، وعلى الرغم من ذلك إلا أنه عاود على السؤال الاستنكاري نفسه مرة أخرى، وكأنه في هذه المرة مجرد استفهام لأنه خالي من القسم وغيره (فكيف أفضله عليك!).

كذلك نسوق مثالاً أخر على مسألة الشك وهو أنّ خرافة الحية و الفأس المشهورة في نثر ما قبل الإسلام كما وردت في كتاب أمثال العرب للضبي على هذه الشاكلة " زعموا أنّ أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما، فأجدبت بلادهما وكان قريبا منهما وادٍ فيه حية قد حمته من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلئ، فرعيت فيه إبلي و أصلحتها، فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته، فقال: فوالله لأهبطن فهبط ذلك الوادي فرعا إبله به زمانا، ثم إن الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير، ولأطلبن الحية فأقتلها أو لأتبعن أخي، فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أني قتلت أخاك فهل لك في الصلح، فأدعك بهذا الوادي، فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم، قال: أفاعلة أنتِ؟ قالت: نعم، قال: فإني أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها و جعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله و نمت إبله حتى كان من أحسن الناس حالا ثم إنه ذكر أخاه، فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان ؟ فعمد إلى فأس، فأحدّها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر، فرمى الفأس بالجبل فوقع فوق جحرها، فأثر فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه و لما رأى ذلك تخوف شرها و ندم، فقال لها: هل لك في أن نتواثق (نتعاهد) ونعود إلى ما كنا عليه، فقالت: كيف أعاهدك ؟ وهذا أثر فأسك وأنت فاجر لا تبالي بالعهد " [1]، وإذا نظرنا في القصة نجد العديد من المؤشرات اللّغويّة التي تبرز الشك منها:

حية قد حمته من كل أحد / إني أخاف عليك الحية / فقالت ألست ترى أني قتلت أخاك فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي / فحلف لها و أعطاها المواثيق لا يضيرها / و لما رأى تخوف شرها و ندم / كيف أعاهدك ؟ / و هذا أثر فأسك و أنت فاجر لا تبالي بالعهد.

أنّ تلك المؤشرات كلها دلالة قاطعة على الشك في نفس الحيّة، وهنا حسب المتعارف المفترض أن الخيانة تأتي من الحية لا من الإنسان على خلاف هذه القصة، وهنا الحية قد

(١) أمثال العرب، المفضل الضبي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١: ١٠٦.

خاطبت الإنسان بوسيلة إقناع دللت على تشكيكها به من خلال ندبات أثر الفأس و غدره لها رغم التزامها بالمواثيق بينهما.

ثالثاً: الجملة الاعتراضيّة

لا يسعنا أن نلج في قواعد الجملة الاعتراضية، فقواعدها مسطرة في كتب النحو القديمة والحديثة[١]، فقد أشبعت درساً وتفصيلاً، والذي يهمنا هنا هو الجملة الاعتراضيّة في الحجاج.

الجميع متفق على أن الجملة الاعتراضية لابد أن " تأتي لمعنى لم يحدده بعضهم وترك الأمر مطلقاً، فقال أنها تأتي لنكتة" [٢]، غير أن أغلبهم يذكرونها في تعريفها فيقولون: إنها تأتي " لتوكيد الكلام أو تسديده أو تقويته أو تحسينه "[٣].

وينجم عن حالة الادعاء ردود أفعال لدى المتلقي، إما بالقبول أو الرفض، والمخالفة، فالجملة الاعتراضيّة " لا دلالة لها بنفسها وإنّما جاءت لتتم غرض النصح بالإيضاح والشرح بين أجزاء الجمل المعترضة فيها "[٤].

والجملة الاعتراضيّة جاءت خلال النصوص بكثرة وبأشكال مختلفة، تارة جاءت باستعمال جملة فعليّة دعائية وهي " بعد وفود العرب على كسرى وحاول أن ينقص الأخير من قدر العرب رد عليه، قال: النعمان- أصلح الله الملك- حُقّ لامةٍ الملك "[٥]. واستخدم الجملة الفعليّة للاعتراض " وتكون هنا دلالتها على الحدث والتجدد في المقامات التي جاءت عليها للتأثير على المخاطب بتكريسها للأحداث في زمان ومكان معين ليزداد بها النص قوة وتأثيراً خاصة الجمل الدالة على الدعاء التي دعمت حدث التواصل مع

(١) الجملة الاعتراضية: هي جملة – أو أكثر، واقعة في سياق الكلام متصل معنى، معترضة بين أجزائه المتلازمة أو المتطالبة، ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت بين أجزائه، غير معمولة لشيء منه، ويتم الغرض الأصلي بدونها غالباً ولا يفوت بفواتها، ينظر: جواهر الكنز: ١٢٩؛ الإيضاح في علوم البلاغة: ١٩٤/١؛ همع الهوامع: ٣٢٧/٢؛ إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٦٧؛ الجمل العربية تأليفها واقسامها.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٥٦/٣؛ والإتقان في علوم القرآن: ٢٠١/٢.
(٣) مغني اللبيب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري: ٥٠٦/١ ؛ همع الهوامع: ٣٢٧/٢؛ إعراب الجمل وأشباه الجمل: ٦٧.
(٤) الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي، كاهنة دصمون، دراسة في ضوء النظرية التداولية: ٣٠.
(٥) جمهرة خطب العرب: ٥١.

المخاطب واستمراره باستحالته واستدراجه في الخطاب إلى مقصودة ببيان أثر الكلمة فيها "[١]، وهذا ما نجده حينما أراد النعمان أن يؤثر بكسرى على ما عند العرب من " شجاعة وآنفة وقوة وكرم [٢].

وهناك جملة اعتراضيّة تفسيريّة توضح المعنى المراد ليكون مفهوماً حتى وإن اكتنف اللفظة الغموض، فالجملة الاعتراضيّة كفيلة بإزالته ومنها في مناظرة علقمة بن علاثة وعامر بن مالك بن جعفر: " لن تطيق عامراً من جعفر..." [٣]، وهه الجملة الاعتراضية أوضحت وصورت طرفي المناظرة الواضح أن بني خالد هم أناس بعيدون عن هذه المناظرة، أمّا التدخل الحاصل هو لإحباط الهمم، وقد أوضحها صاحب المناظرة حين قال أنهم مع خصمهم في التنازع على الرئاسة.

أمّا ما جاء من اعتراض في الجملة الاسمية؛ فهذا ما يفيد زيادة تأكيد الكلام المعترض به لتجردها من الدلالة على الزمن، فنجدها في الخطبة نفسها ما بين كسرى والنعمان حين قال الأخير: " أما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل –على ما وصفت منها– فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً لها "[٤]، فهنا الجملة الاعتراضيّة هي زيادة لتأكيد كلامه في أنّ كسرى كان مخطئاً على الرغم أنّ لحم الإبل ثقيل الهضم، وكثير الداء، زيادة على تأكيد قول النعمان وسيرد بالحجة الدامغة.

رابعاً: العطف والتوكيد

١- العطف

من القيم الحجاجيّة المتولدة العطف، وتعد محاولة من المتكلم في نقل المخاطب من صورة إلى أخرى، إذ إن دلالات المعطوف هو الاشتراك في الحكم، إذ ينزل المعطوف منزلة المعطوف عليه واستعمال العطف في النص الحجاجي دليل على القوة، وبذلك يحقق المرسل هدفه في الإقناع والتأثير.

ومن الأمثلة على ذلك في المنافرات إذ تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي ملك الحبشة، فأبى أن ينفّر بينهما، فجعلا بينهما نُفيل بن عبد العُزّى بن رياح فقال لحرب: " يا أبا عمرو؛ أتنافر رجلاً هو أطول منك قامةً وأعظم منك هامةً وأوسم منك وسامة وأقل منك ملامة وأكثر منك وَلداً

(١) زيادة للتوضيح ينظر: قول كسرى (وأخذته عزة الملك، يانعمان...).
(٢) الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها: ٣٨-٣٩.
(٣) الأغاني: ٥١/١٥ ؛ صبح الأعشى: ٣٨٢/١؛ العمدة: ٢٨/١.
(٤) العقد الفريد: ١٠١/١.

وأجزل منك صفداً[١] وأطول منك مذوداً [٢] وأني لأقول هذا وإن فيك لخطا لا إنك لبعيد الغضب رفيع العيت في العرب وجلد المريرة تحبك العشيرة لكنك نافرت منفراً "[٣].

في هذا المثال ورد حرف العطف (الواو) ويستعمل حجاجياً بترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوى كل الحجج منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا ً[٤].

فيكون السلم الحجاجي لهذا النص على النحو التالي:

ق٦	أطول منك مذوداً
	و
ق٥	أجزل منك صفداً
	و
ق٤	أكثر منك وَلداً
	و
ق٣	أقل منك ملامةً
	و
ق٢	أوسم منك وسامةً
	و
ق١	أعظم منك هامةً
	و
ق	أطول منك قامةً

ن [*] = أتنافر رجلاً؟

(١) الصفداً: العطاء، لسان العرب مادة صفد: ٢٦٦.
(٢) المذود: اللسان لأنه يذاد به عن العرض، لسان العرب، مادة ذود: ١٣٤.
(٣) تاريخ الكامل، لابن الأثير: ٦/٢؛ تاريخ الطبري: ١٨١/٢.
(٤) استراتيجيات الخطاب، عبد الوهاب بن ظاهر الشهري: ٤٨٢.
(*) ق = قوة
ن = نتيجة

والحجة الأقوى في هذا السلم، هي الحجة (ق٦)، لأنها هي وسيلة الدفاع في المنافرة، وترى الباحثة أنّ الواو ليس لها أثر الجمع بين الحجج فحسب، بل يقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق المراد، إذ يعدّ الواو رابطاً حجاجياً مدعماً للحجج المتساوقة أو المتساندة.

فهنا مثلاً إن طول القامة جاءت برابط آخر من المؤكد أن يكون هو عظم الأمة، وهاتان الصفتان فهما على الأغلب الأعم يجلبان كذلك الوسامة، ثم ينتقل من وسامة الروح إلى وسامة الجسد فهنا رابط جميل.

أمّا العطف بحرف الفاء فهو في المثال الجاهلي: " كان كُراعاً فصار ذراعاً وكان عنزاً فاستتيس"[1]، وهو يصور التحول من حال إلى حال ويضرب هذا المثل للذليل الضعيف صار عزيزاً قوياً، فاستعمل الفاء التي تدل على التقارب بين الأحداث، فنلاحظ كيف هذا الربط البسيط استطاع إذن أن يوصل إلى المتلقي المعنى الصحيح لتحول الذليل من كراع إلى ذراع وبعدها من عنز إلى تيس.

وما يمكن أن نستنتجه من هذه الأمثلة أن حروف العطف لها قيمة حجاجية كبيرة، فبالإضافة إلى ربطها بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، ووضعها سلماً حجاجياً ترتب فيه هذه الحجج حسب قوتها.

صار ذراعاً			صار تيساً
	↑	↑	
الفـــاء			الفـــاء
كان كرعاً			كان عنزاً

إنّ الرابط الحجاجي في هذا المثال مدعّماً للحجة، وهي تسهم أيضاً في بداعة المعنى المقصود وخاصة إذا استعمل حرف واستغلت وظيفته في الوضع المناسب – كما رأينا – واستعمل حرف (الفاء) مع

(١) مجمع الأمثال: الميداني: ١٣١/٢.

كلمة صار ليدل على التحويل من حال إلى آخر، مما زاد من إثبات الحجة والمعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام من جهة أخرى.

وكذلك توجد العديد من العبارات في نثر ما قبل الإسلام – على سبيل المثال لا الحصر – تتجلى في الأمثال التي يكثر العطف فيها مثل:

- المنيّة و لا الدنيّة
- رمتني بدائها و انسلّت
- تجوع الحرة و لا تأكل بثدييها

من الملاحظ في العطف الموجود في الأمثال السابقة المتمثلة في حرف الواو كيف أن هذه الروابط الحجاجيّة توضح الغرض من قول المثل في إتمام المعنى، بمعنى لو تمّ حذف حرف الواو من الأمثال لاختلّ المعنى المقصود، فالعطف من المؤشرات اللغويّة التي لها دلالة قوية في إيضاح معنى المثل.

٢ – التوكيد

يلجأ المتكلم إلى استعمال أدوات التوكيد لأنه يريد تأكيد الحجج التي قدمها، وتثبيتها في ذهن السامع، ويقول الزركشي في التوكيد: " إنما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجاً ألقى الكلام خالياً من التوكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب توكيده" [١]، وبما أن المادة التي يتعامل بها المرسل مع المتلقي هي اللغة؛ لذا ينبغي ان يهتم المحاجج بخطابه؛ لأن الخطاب ليس مجرد مفردات متناثرة يفهمها المحاجج المتلقي؛ بل لأبد من وجود ضابط معنوي وأسلوب للعلاقة التواصلية التي تربط بينهما، كما ينبغي ان يهتم المحاجج بأحوال المتلقي من ناحية تلقيه الخبر، وتردده فيه، او أنكاره له، ودرجات الإنكار لأنّ لكلّ مبدع أسلوبه الحَجاجي الخاص به.

ويستعمل التوكيد هنا لتثبيت الحجج المقدمة، فإذا كان المتحدث تتوفر فيه شروط الاستعلاء والسلطة، فإن توكيده له تأثير مباشر على المتلقي أو المخاطب، إذ يخضعه إلى قبول حججه دون نقاش،

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة الوطنية، القدس، ١٩٩٣: ١١٥/١.

وهو تثبيت حجة وتقوية العلاقة الحجاجية بين مختلف عناصر الحجاج، أما إذا كان المُخاطِب والمُخاطَب بالمرتبة نفسها أو أقل منه مرتبة فيحتاج لدعم حجته بمجموعة من المؤكدات.

وكثير هي استعمالات المؤكدات بالنثر الجاهلي، لأن المتلقي يكون ذهنه خاليّا، والخطيب أو صاحب الرسالة أو المنافرة أو الكاهن أيّ صاحب الحجة يريد أن يؤيد حجته بعدد من المؤكدات ليوصلهم إلى غايته النهائية؛ وهي الإقناع.

ومثال على هذا قس بن ساعدة خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها بأسلوبه الرصين المنتقي لألفاظه القليلة الغزيرة المعنى يستعمل جملة من المؤكدات ليثبت أن مظاهر الكون تشير إلى الصانع العظيم؛ فيبدأ خطبته: " أيها الناس اسمعوا وعُوا، مَنْ عاش مات، ومَنْ مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، آيات محكمات، مطرٌ ونبات، وآباء وأمهات،... إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً... يقسم بالله قسماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضى له وأفضلُ من دينكم الذي أنتم عليه، فطوبى لمَنْ أدركه فاتبعهُ، وويل لمَنْ خالفه" [1].

إنّ الخطيب استعمل أسلوب التوكيد في مواضع عدة منها:

- توكيد لفظي: وكل ما هو آتٍ آتٍ، "يأبني، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من أبائي، ولا يدان ينزل بي ما نزل بهم من الموت، وأني والله ما عيرت أحد بشيء إلاّ عيرت بمثله، إنَّ كان حقاً فحقاً، وان كان باطلاً فباطلاً، ومن سببَّ، فكفوا عن الشتم، فأنه أسلم لكم... [2]" نجد كمية التوكيد اللفظية في هذا النص الواضحة حتى تكون حجة ملقاة على عاتق أولاده ليأخذه وابعده بالنصيحة، لأنه انسان جرب وعرف معنى الحياة أم هم فلا يزالون مشككين في كثير من الأمور فجاء بهذه التوكيدات حتى تترسخ في أذهانهم.
- التوكيد المشترك (القسم): يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه...
- تأكيد بـ (إن) + لـ (التوكيد للمبتدأ): إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبرة.

(١) الأغاني: ١٩٢/١٥؛ جمهرة أنساب العرب: ٣٢٨ ؛ الخزانة: ٩٠/٢؛ إعجاز القرآن: ١٦٩؛ مجمع الأمثال: ١١١/١.
(٢) الأغاني: ٥٣/١١-٥٤.

زيادة على التقديم والتأخير بالمبتدأ والخبر، وهنا من أقوى المؤكدات لأنها رد على الملحدين وأهل التعطيل الذين يزعمون بصدور العالم عن غير خلق، وإيجاد من الله سبحانه وتعالى، وأن الطبيعة أوجدت نفسها بنفسها، وهذا يؤدي إلى تعطيل الصانع عن خلق العالم " [١]، حتى إذا وصل سامعه إلى درجة من الإقناع طرح حقيقته وهي محطته الأخيرة حين يقول: إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه.

وكذلك يتجلى التوكيد في الأمثال منها:

- الحر **حر و إن مسه الضر** [٢]، هنا توكيد لفظي (الحر حر) يوضح المعنى و يبرز مقصده.
- **العبد عبد و إن ساعده الجد** [٣]، أيضا هنا توكيد لفظي (العبد عبد)، ففي المثل السابق، وهذا المثل يتكون التوكيد اللفظي من كلمة معرفة، وكلمة نكرة إذ أنها تشمل كل الأحرار المعروفين و المجهولين و كذلك لفظة العبد تشمل كل العباد في كل وقت.
- **إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد** [٤]، هذا المثل هو جملة شرط أركانها محددة واضحة إذ يحاجج فيها القائل بالمؤشرات اللغويّة المقنعة عبر استعمال أداة الشرط (إذا) التي يتبعها فعل الشرط ثم يليها جواب الشرط الدال على توكيد المعنى المقصود.
- **أدركوا الليل فإن الليل أخفى للويل** [٥]: يقال في قضاء الحوائج ليلاً، هنا يتكرر في المثل كلمة الليل للتأكيد على هذا الوقت الزمني والتأكيد عليه، ونجد التوكيد الثاني قد سبق بحرف التوكيد (إنّ) دلالة على التأكيد .
- **لا تطمع في كل ما تسمع** [٦]، هنا أيضا المؤشر اللّغوي هو أسلوب النهي عن الطمع فيما نسمع، وهذا يؤكد المعنى الدلالي المقصود أن أغلب ما نسمع ليس صادقا وحقيقيا.

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، في رده على الطبائعية والدهرية والفلاسفة القدماء: ٤١، ٤٣، ٤٥.
(٢) مجمع الامثال: ٣١.
(٣) العقد الفريد، لابن عبد ربه: ١٧/٢.
(٤) جمهرة الامثال، أبو هلال العسكرة: ١٠٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢٣.
(٦) المزهر، السيوطي: ٥٠١/١.

- **بعين ما أرينّك** [١]، وهذا المثل معناه غير واضح وهذا من الأمثال التي يتوجب على المستمع الرجوع إلى كتب الأمثال، فمثلا هذا المثل يعني: أسرع وهو معنى لا يتبادر إلى المتلقي فهمه، وقد علّق عليه أبو هلال العسكري قائلا:" هو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعا من غير أن يدل عليه لفظه " [٢]. وهو قبل يضرب في الحث على ترك البط، وما صلة دخلت للتأكيد ولأجلها في الفعل.

ونجد مثلاً آخر في قصة (صحيفة المتلمس) ويضرب أيضاً بها المثل لمن يحمله كتاباً فيه حتفه، إذ كان طرفة بن العبد وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف (بالمتلمس) ينادمان عمرو بن هند الملك فبلغه أنهما هجواه، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجائزة، وقد أمر بقتلهما وحينما وجدا غلاماً من أهل الحيرة فسأله المتلبس: أتقرأ يا فتى؟ قال: نعم، ففك الصحيفة ورفعها إليه فإذا فيها: " باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى المُكعبر. أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وأدفنه حيا... فقذفها في نهر الحيرة.

فوقع شك في نفس المتلمس أن ما موجود في كتابه هو عينه ما موجود في كتاب طرفة والحجة موجودة الكتاب الأول فيقول: إن في صحيفتك والله ما في صحيفتي، استخدم إن المؤكدة + تقديم الخبر (قسم) + المبتدأ المؤخر، حتى يقنعه أن يفعل فعلته، لكن طرفة كان متيقناً أنه شيء مختلف عند عمرو بن هند ويريد أن يقنع المتلمس فيقول: " كلا، لم يكن ليجتري عليّ، ولم يستخدم غير مؤكد واحد وهو (لام التوكيد في الفعل) لأنه لا يريد أن يبحث عن وسيلة لإقناعه... لكن المتلمس كان على صواب وحينما وصل طرفة نحو البحرين وأوصل الكتاب إلى عاملها، فنفذ الحاكم ما جاء في الكتاب" [٣].

إنّ توكيدا بالمفعول المطلق هنا، ونجد ذلك في كتاب النعمان بن المنذر حينما ندم على قتل عديّ، وعرف أنه احتيل عليه في أمره واجترأ أعداء عدي على النعمان، لذا فإنه أهابهم هيبةً شديدةً، أراد صاحب الخبر أن يقنع المخاطب بمدى العداء فجاء بهذه الجملة التوكيدية، ومرة أخرى حينما وجد ابن عدي ففرح به فرحاً شديداً، والتوكيد هنا بالمفعول المطلق لبيان نوعه؛ وهو حجة أخرى تدل على الندم في نفس النعمان.

(١) مجمع الامثال: ١٠٠.
(٢) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ١٦٨.
(٣) الأغاني: ٢٣/٥٤٠-٥٤٥.

خامساً: التلطيف

عند رجوعي إلى قواميس اللغة عند القدماء والمحدثين [١]، خرجت بخلاصة لهذا المعنى، وهي أن التّلطف في اللغة يعني الترفق، والترفق لا يعدم الحيلة والفطنة والذكاء، وقد فطن القدماء من علماء العربية لهذه الظاهرة ودرسوها تحت مباحث الكناية وأنواعها ودوافعها، واستعملوا بعض المصطلحات المتصلة بها مثل: تحسين اللفظ، وتلطيف المعنى، والكنايات اللطيفة، والتعريض.

ويعرض ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الصاحبي) لمصطلح الكناية إذ قال: " الكناية لها بابان أحدهما: أن يُكنّى عن الشيء فيذكر بغير اسمه، تحسينا للفظ أو إكراماً للمذكور" [٢]، ونلاحظ من هذا التقسيم أن ابن فارس ذكر سببين من أسباب الكناية هما:

- **السبب الأول: تحسين اللفظ:** وهذا يتضمن وجود لفظ مكروه أو غير مستحب الذّكر، لذلك تكنّى عنه، وهذا يحمل مفهوم التلطيف، فنجد في خطبة هاني بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار يحرض قومه على الحرب قوله: الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الأعجاز والظهور، فكره أن يوصى بالشجاعة وعدم الفرار، فجاء بحجة أقوى، وبأسلوب لطيف الأقدام والاستبسال ومجابهة الأعداء، أكرم من الفرار من أرض المعركة.
- **السبب الثاني: إكرام المذكور:** وهذا ما يتعلق بنداء الأشخاص وكنيتهم بأبي فلان احتراماً وتقديراً لهم، ونجدها كثيرة متناثرة في أثناء الوصايا والخطب وغيرها، تكون في الخطب عندما يريد الخطيب التأثير في المستمع فيأتي مثلا بـ (أيّها الملك)، وهو أسلوب لطيف في النداء يسترعي انتباه الملك له ليكون حجة أولى عليه بالمخاطبة.

وثمة أسلوب أخر في التلطيف وهو يستخدم عند الآباء والأمهات، والكل يعلم مدى تجربتهم في الحياة، ويريد أن ينقل هذا الإرشاد وإسداء النصح لمَنْ كانت خبرته أقل، فهم فلذة أكبادهم ويبدؤون نصحهم بكلمة محببة تثير العاطفة والمشاعر معاً وهي (يا بُنّيهُ) [٣] أو (بنيتي)، وهو ينقل لهم بُعد عاطفة

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس / التهذيب، للأزهري، مادة (لطف): ٣٤٧/١٣، أساس البلاغة: الزمخشري، مادة (لطف): ٤٠٩.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة: الرازي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م: ٢٥٥.
(٣) هو تصغير يراد به التحبب والتدلل.

أبوية ذاتية شديدة الصدق، عميقة الأثر، غزيرة المعاني، بعيدة المدلول، أو من أم حكيمة بليغة صادقة إلى أعز ما تملك ابنتها فيكون وقعها مؤثراً يهز المشاعر، فما خرج من القلب دخل إلى القلب؛ فيتأثرون بها منذ البدء مما يؤدي لإقناعهم، ووجدنا كثيرا في ثنايا الوصايا والإرشاد(١).

وهناك تلطيف بنوع آخر نجده في حديث زبراء الكاهنة مع بني رئام من قضاعة حين أنبأتهم بغارة، فلم يصدقوها فأرادت أن تقنعهم بأسلوب لطيف فنادتهم بـ (مهلاً يا بني الأعِزّة)، فهذا كلام لطيف يؤثر في الأسماع ويجعلهم يستمعون إلى حجتها(٢).

(١) ينظر: الأغاني: ٣/١٠٤،٨٥؛ الشعر والشعراء: ٤٤٥ ؛ الاشتقاق: ٢٦٨؛ طبقات فحول الشعراء: ١٥١/١؛ جمهرة اشعار العرب: ٨٦-٨٨؛ سرح العيون: لابن نباته: ٣١-٣٤؛ جمهرة الأمثال: ٥٦٩/١-٥٧١.
(٢) جمهرة خطب العرب: ١١١.

المبحث الثالث: الروابط والعوامل الحجاجيّة

أولاً: الروابط الحجاجيّة

تتعدد الروابط في اللغة العربية منها الرابط الدلالي الذي يبحث في ربط المواضيع بـ الفعل عن طريق حرف ووصفه دلالة خاصة، وكذلك الرابط النحوي الذي يربط بين الفاعل والمفعول به، وكذلك المسند والمسند اليه إذ يبحث في العلاقات بين الكلمات، وأخيرا الرابط التداولي الذي " يركز على العلاقة التي ربط بين الكل الدلالي التركيبي من جهة ومتداول اللغة من جهة ثانية " [١]، وقد عرّف العزاوي الروابط الحجاجيّة بأنها روابط " تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة[٢]، وتحمل الروابط بعض الميزات الحجاجيّة المتمثلة بهذه الأدوات (حتى – إذن – بما أن – لاسيمّا – لكن)

وقد قسم العزاوي الروابط الحجاجيّة حسب وظيفتها داخل الخطاب كما يأتي:

أ- الروابط المدرجة للحجج، مثل: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن)

ب-الروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا، وبالتالي)

ج- الروابط التي تدرج حججا قوية: (حتى، بل، لكن، لاسيمّا)

د- روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك)

هـ-روابط التساوق الحجاجي:(حتى، لاسيمّا، بل) "[٣].

ومن التقسيم السابق أن وظيفة الحجاج داخل الخطاب قد تحددت بما يترتب عليها من وظيفة حسب سياقها، إذ اشتركت بعض الروابط في أكثر من قسم وهذا بسبب الوظيفة داخل النص الحجاجي، ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محدودة بواسطة بنية الأقوال اللغوية وبواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها، فقد اشتملت اللغات الطبيعيّة على مؤشرات لغويّة خاصة بالحجاج، فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير من الروابط الحجاجية [٤].

(١) الاستدلال الحجاجي واليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: ١٠٢.
(٢) اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي، دار العمدة للطبع، المغرب، ط١، ٢٠٠٦: ٢٦.
(٣) المصدر نفسه: ٣٠.
(٤) الحجاج مفهومه ومجالاته، أبو بكر العزاوي: ٦٣.

وبعد هذا ننتقل إلى نثر ما قبل الإسلام لنرى كيف وظفت تلك الروابط داخل أقسام النثر وما حققته من أثر حجاجي بعملية الإقناع؛ لأن الوصايا والخطب والأمثال بنيت على معيار التأثير على المستمع أو المتلقي والأشخاص ومن جهة أخرى – على سبيل المثال لا الحصر – وفق ما حدده العزاوي من آليّات الروابط الحجاجيّة في الخطاب.

١- **الروابط الحجاجيّة التساوقيّة** (حتى، بل، لاسيما)

تلك الروابط تربط بين حجتين أو أكثر إذ يكون لها نفس المضمون الحجاجي، وتكون الحجة الواقعة بعد الرابط درجة أعلى من تلك التي قبلها رغم أنها تخدم نتيجة ضمنية واحدة وهي:

أ- الرابط الحجاجي التساوقي (**حتى**)

يعدّ (حتى) رابطا حجاجيا تعمل على ترتيب الحجج داخل الخطاب الحجاجي " بإذ يكمن دورها في ترتيب عناصر القول ويفهم معناها الوظيفي من السياق التي ترد فيه " [١].

وليس أوثق مثالا من وصية الأم لابنتها المشهورة في التراث " واتقي الفرح لديه إذا كان ترحا، والاكتئاب عنده إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير، واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواكِ، ورضاه على رضاكِ فيما أحببت وكرهت "[٢]، وكذلك قولها لها: يا بنيّة إنك تقدمين على نساء من قريش، وهن أقدر على الطيب منك فلا تغلبي على خصلتين، الكحل والماء، تطهري حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر، وهنا جاءت حتى يوصفها رابط حجاجياً ربطت اللاحق بالسابق معنى ودلالة.

ب-الرابط الحجاجي التساوقي: (**بل**)

يعدّ (بل) رابطا تساوقيا أحيانا، وكذلك يأتي تعارضيا أحيانا أخرى، إذ يكون تساوقيا يجمع ما بين حجج تنتمي إلى اتجاه حجاجي واحد، وعندما تكون تعارضيا يستطيع المرسل أو المتحدث " أن يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته ب الحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي وبعضها مثبت"[٣].

(١) الروابط الحجاجية في شعر ابي طيب المتنبي مقاربة تداولية، خديجة بو خشرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، وهران، ٢٠١٠: ١٢.
(٢) وصايا النساء و الهداء (الزواج) في العصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دنيا الوطن، جمانة الدليمي، ٢٠٠٩/٣/٣.
(٣) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب المتحدة، بنغازي ليبيا، ط١، ٢٠٠٤: ٥٧.

فمثلا (بل) نجدها في تعبير عن رؤيا لربيعة بن نصر النخمي، حين رأى رؤية هالتْه، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عَائفاً، ولا منجماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فبعث إلى سطيح الذئبي[1]، فقال سطيح إنما رأيته هو "رأيت حُمَمَةً، خرجت من ظُلْمة" فوقعت بأرض تَهَمَة، فأكلت منها كلّ ذات حُمْجُمة "، وحين فسر رؤيا بأن أرضه ستسلب بعد خلافته من ستين أو سبعين من الستين، ويأتي ملك من يزن يخرجهم، ثم يكمل الملك سؤاله: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟، فيرد عليه بجواب مضاد تبدأ بالأداة (بل) أو بحجة قوية تأتي بعد (بل) حين قال: بل ينقطع من نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العَليّ، إذ هذه النتيجة مضادة للتي سبقتها، وهي إبطال للحجة الأولى فهي من روابط التعارض الحجاجي.

ج- الرابط الحجاجي التساوقي (لاسيمّا)

هذا الرابط هو عبارة مكونة من لا النافية للجنس وسيمّا، و يرادفها كلمة (مثل) فيكون الكلام اللاحق مثبتا للكلام الذي يسبقه قبل الرابط، وكذلك الحجة التي تليه أقوى دلاليا من الحجة التي وقعت قبله، وهذا يعني أن الحجتين تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، و قد وظّفها الناثر الجاهلي في خطبه ووصاياه.

ثانياً: العوامل الحجاجيّة

إن الذي يميز العوامل الحجاجيّة عن الروابط الحجاجيّة أنها " تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التي تكون لقول ما "[2]، وهذا يعني أنها تختلف عن الروابط إذ أنها لا تجمع بين حجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، وكذلك ليست تعارضية كما الحال في الروابط فهي " اسم لغوي يقيد احتمالاتها عندما يعيّن لها وجهة حجاجية " [3]، وهذا يعني أنّ العوامل تحدد الألفاظ وتحصرها و تزيل عنها الغموض إذ " يعمد العامل الحجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة و ذلك بالانتقال بالملفوظ

(١) اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب من غسان وكان يقال له الذئبي نسبه إلى ذئب بن عدي، وكان من المعمرين قيل عاش ثلاثمائة سنة وقيل سبعمائة، الكامل: ابن الاثير: ١٤٦/١.
(٢) اللغة و الحجاج، أبو بكر العزاوي: ٢٧.
(٣) القاموس الموسوعي للتداولية، وريبول موشلر، دار سيتاترا، تونس، ط٢، ٢٠١٠: ٣٥.

من الإبلاغية إلى الحجاجية "[1]، وقد وردت العوامل الحجاجيّة في النثر الجاهلي كأداة فاعلة في الخطاب الحجاجي كي تؤثر على المتلقي و منها:

أ- العامل الحجاجي (إنمّا)

يعد هذا أبرز من أدوات القصر في الشؤون اللُّغويّة، و قد تعرض لها الجرجاني في قوله " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء و نفيه عن غيره، فإذا قلت:إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجاني غيره، فمعنى الكلام معها شبيهة بالمعنى في قولك: جاءني زيد لا عمرو "[2]، وقد ورد هذا العامل في أنواع النثر الجاهلي وأشهرها قول الخطيب أكثم بن صيفي في قوله للنعمان بن المنذر " إن الرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالميزان و ليست بمسوك يستقى بها، وإنمّا المرء بأصغريه: قلبه و لسانه، إن صال صال بجنان و إن قال قال ببيان"[3].

ب-العامل الحجاجي (إلا)

هذا العامل هو إلا (أداة استثناء)، وهو يعمل على تحديد الألفاظ و توجيهها نحو شيء معين يقوم بتأكيده، وقد ورد في كلام الناثر الجاهلي وهذا نجده في وصية زرارة بن عدس حينما اشترط على تزويج الفتاة التي ينوي خطبتها لابنه بمن هو يناسبها وتناسبه في قوله: ((يا بني، زوجوا النساء الأكفاء وإلا فانتظروا بهن القضاء [4])).

إن هذه الروابط من مؤثرات الحجاج خطابيا ولُّغويا، أمّا بالنسبة لوظيفتها في الخطاب الحجاجي فهي تقوم بتنظيم المقاطع النثرية منطقيا بوصفها إشارات استهداء موجه لاستراتيجية المخاطب مثل: الإكثار من الروابط المتعلقة بالتعليل والسببية، ومنها التنظيمية والترتيبية، ومنها المكانية والزمانية، وكذلك لها معايير منها أنها تربط بين المتغيرات الحجاجيّة، فيكون محمولاً على موقعين حجاجين[5]، أو ذا ثلاثة

(١) العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، تونس، ط١، ٢٠١١: ٣٥.
(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القادر جرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٩١: ١/ ٣٣٥.
(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد ذكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان: ٥٦/١.
(٤) الامالي: ١٠٦/١.
(٥) حيث يتوسط الرابط الحجاجي متغيرين حجاجين ومثاله: الجو ممطر، إذن سأبقى في المنزل، الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الراضي، (مقال) ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، مدارس واعلام: ١٠١/٢.

مواقع [١]، والمعيار الأخر هو العلاقة بين الحجج التي يسوقها الرابط إذ حسب هذا المعيار يجد فئتين من الروابط حسب اتجاهها الحجاجي الأول التي تكون حججها متساندة أو متساومة أو متعارضة متعاندة [٢].

وأنّ الروابط و العوامل الحجاجيّة في نثر ما قبل الإسلام قد تضمنت وحملت وظائف محددة ومقصودة في بنية النص النثري، وذلك لأنها عملت على توجيه الخطاب الحجاجي لُّغويا بإذ يتناسب مع البنية النصية موضحة القصد من ناحية، ومؤثرة على المتلقي من ناحية أخرى، وكذلك تبرز تلك الروابط و العوامل فطرة وسليقة وثقافة الناثر في هذا الوقت التي أبرزت القوة الإبداعية المتعلقة بالبنية الحجاجية المتضمنة في أصل الخطاب لديه؛ إذ بُني النثر بناء محكما في تجسيده لآليات الخطاب الحجاجي لُّغويا.

وإنّ اهتمام الناثر في ذلك الوقت بالعوامل الحجاجيّة قد أثرّت في الخطاب، وما أدته من حصر لإمكانيات الألفاظ وعدم التطرق للتأويل، وكذلك اتضح التوجيه المبني على الطاقة الحجاجيّة عبر وسائل الإقناع في النص النثري التي أسهمت في بنائه و تطوره لّغويا.

ثالثاً: التعليل / سبب و نتيجة

التعليل اصطلاحا هو " ما يتوقف الشيء عليه ويكون خارجاً ومؤثر فيه" [٣]، أو أنه "علّةُ الشيء وما يستدل به من العلة على المعلول"[٤].

فالأفعال الحادثة لا بد أن تكون معّللةً، فإن وقوعها يثير سؤالاً يتردد في النفس: لم كان كذا وكذا؟، فيقال: كذا وكذا، فالتعليل نوع من أنواع التأكيد والتثبيت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم، وذكر الشيء معّللاً مما يقوي تأثيره في النفس، وثقتها به، وهو بعد هذا أبلغ من ذكره من غير تعليل وذلك لسببين [٥]:

- أولهما: إن النفوس ترتاح إلى نقل الأحكام المعّللة بخلاف غيرها.
- ثانيهما: إن العلة المنصوص عليها تقضي بعموم المعلول.

(١) حيث يتوسط الرابط الحجاجي ثلاث متغيرات حجاجية، ومثاله: ساءت أحوال عمار، أصبح يدخن ويشرب الخمر بل وصار مدمن مخدرات، ينظر: ١٠٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٢.
(٣) التعريفات، للشريف الجرجاني علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ)، ١٦٠.
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون: ١٠٤٥/٣.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ٩١/٣.

ولهذا قد يلجأ الأدباء وغيرهم إلى اختلاق التعليل الوهمي أو غير الحقيقي، لوقوع الأشياء على وجه بليغ، وباعتبار طريفٍ ولطيف تتحصل به زيادة المقصود، سواءٌ أكانت للأشياء المعّللة صفةً ثابتة ذات علّة معروفةٍ أم غير معروفةٍ وهذا ما يسمى عند البلاغيين "حسن التعليل"(١).

والعلة والسبب في اللغة بمعنى واحد، و يقال: "هذا علة هذا؛ أي سبب" (٢)، إلا أن هناك من جعل بين العلة والسبب عموماً وخصوصاً، فجعل "السّبب أعمّ مطلقاً من العلة؛ إذ إن لكل علة سبب وليس كل سببٍ علةً" (٣)، ومنهم في فصلها أكثر من ذلك حين قال " إن كان بينهما مناسبةً ظاهرة سُمّي علّةً، كما يُسّمى سبباً، وإن لم يكن بينهما مناسبةً ظاهرة سمي سبباً فقط "(٤)، لكن أكثرهم اتفق أنهما مرادفان(٥).

ومثال على ذلك نجد العلة والسبب واضحة في وصية إمامة بنت الحارث إلى ابنتها أم إياس حينما خطبها الحارث بن عمر ملك كندة، قالت لها " التعّهد لوقت طعامهِ، والهدُوّء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة... ولا تفشي له سراً، ولا تعضي له امراً، فإنك إن أفشيت سرهُ لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره" (٦).

فنجد جملة من الأسباب يقابلها جملة من النتائج لتعتدل كفه ميزان ما أوصت، فهي تنهيها عن شيء ثم توضح السبب في ذلك فهنا إغناء للتجربة حسب الآتي:

- التعهد لوقت طعامه: هنا نتيجة، ففي هذا القول هو حرارة الجوع الملهبة، والرجل يحب بعد عودته لبيته يتخلص من همومه وتعبه ويجد الطعام معدّاً على الشكل المرغوب والذي يستهويه.
- الهدوء عند منامه: هنا نتيجة، والسبب هو النوم؛ جعله الله للإنسان لترتاح به الأرواح، وتسكن به النفوس، فيعود بعد ذلك الكفاح والدأب، لذا فعند حرمان الرجل من ذلك ينقلب إلى تأثير سلبي ويضطرب مزاجه.

(١) الايضاح لمختصر تلخيص المفتاح، الخطيب القزويني: ٢٦٤؛ والكليات: لأبي البقاء العكبري: ١٢١.

(٢) اللسان: مادة (علل).

(٣) السبب عن الأصوليين: ٢٩٢/١. وهو قريب من المعنى اللغوي له فكل شيء يتوصل به المقصود فهو سببٌ، كالحيل، مثلاً يقال: جعلت فلاناً سبباً لحاجتي؛ أي جعلته ذريعة وصلة لقضائها.

(٤) تهذيب اللغة: ٣١٢/١٢؛ والصحاح: ١٤٥/١.

(٥) الوسيط في اصول الفقه: ٤١٥.

(٦) العقد الفريد: ٨٩/٧، مجمع الأمثال: ٢٦٢،٢٦٣/٢.

- تفشي له سراً: هنا تنهي ابنتها عن إفشاء أسرار الزوجية لا يعلمها إلا خالقها مهما فحشت أو حسنت ما دام استأمنك عليها باسم الزوجة، لذا إذا افتضحت تلقي عليها الحجة لإقناعها، فتقول (فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره) ولعظمة الغدر وعظمة هذا الفعل المشين أعادت الأم الجملة بصياغة أخرى (لا تفشي له سراً... إن أفشيت سره)، فهنا لا تلومي إلا نفسك.
- ولا تعصي له أمراً " فالرجل بحق القوامة مهما كانت قوة شخصيته يتمنى أن يكون مطاعاً في بيته، وإكراماً لرجولته لا تعصي أمره ثم تعود وتنصحها بإعادة الجملة بصياغة أخرى حين تقول (لا تعصي له أمراً... وإن عصيت أمره أوغرت صدره) أي توقد عليك من الغيظ، ولكون هاتان الصفتان مذمومتان ولا تستطيع المرأة تحملها وهما (الغدر، والغيظ)، فمن خلال هذه النتائج مع ربطها بأسبابها، تحاول أن تصل إلى درجة من إقناعها بنقل تجاربها وهي النتائج التي وصلت إليها في حياتها.

ويعد حرف الفاء همزة وصل بين السبب و النتيجة، والفاء من الروابط الحجاجيّة التي تكثر في نثر ما قبل الإسلام، ومن أمثلتها وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه حين قال: " يا بنيّ، إياكم ومخالطة السُّفهاء فإن مجالستهم داء "[1]، وحسب المعايير التي ذكرت آنفاً أنها تربط متغيرين حجاجين، إذ جاءت استئنافاً وجواباً للكلام الذي سبقها، وقد جاء بعد ذلك تبريراً لهذا الكلام حين يبنيه على هذه المجالسة حين قال " وأنه مَنْ يَحْلمُ عن السفيه يُسَرّ بحلْمه ومن يُجبْه يندَمْ، ومَنْ لا يَفرّ بقليل ما يأتي به السفيه يقرّ بالكثير"[2]، وهذه كلها نتائج إذ ما جالسوا السفيه، فجاء الرابط الحجاجي مدّعماً للنتيجة.

وكذلك يعد التشبيه في الحجج المساندة أو المتساوقة وتكثر هذا في (التشبيه) وهو من الروابط الحجاجية التي تسند لفكرة وتكون حجة ثانية وتكون متنوعة بين الأحرف والأدوات والألفاظ منها: (الكاف) و (كانّ) و (ما اشبه) و (مثله كمثل). وكما في المثال ((مثْلُ النعامة لا طيرٌ ولا جملٌ))[3]، ويضرب هذا المثل في الشيء ونقيضه، فهو منتهى التشبيه في الحمق، وهو في الوقت عينه منتهى التشبيه في

(١) مجلة لقمان: ٣٢٠.
(٢) مجلة لقمان: ٣٢٠.
(٣) مجمع الأمثال، الميداني: ٢٩٠/٢.

الحذر[١]، والسبب الأول في الحمق هو أنها إذا رأت بيض نعامة أخرى قد انتشرت لمثل ما انتشرت هي له؛ فتحضن بيضها، وتنسى بيض نفسها، والسبب الآخر الحمق في أنها إذا أدركها القانص، دست رأسها في الرمال، ظانّةً في نفسها استخفاء هامته، واستتارها عليه، وإذا انكسرت إحدى رجليها لم تستطع الاستعانة بالأخرى، وإنّما تبقى جاثمة في مكانها حتى تهلك جوعاً [٢].

أما الشق الثاني من المثل، فهو الحذر إذ قال أيضاً في الأمثال " أحذر من ظليم "[٣]، وفي شرحه " أنه يكون على البيض فيشم ريح القانص في غَلْوَة فيأخذه الحذر" [٤].

لذا يضرب هذا المثل لما كان أحمقاً وحذراً في الوقت نفسه، إذن الطرف الأول هو ما كان سبباً لورود هذا المثل، وكلمة (مثل) تأتي بالمرتبة الثانية بعد الحجّة الفكرة، لتحيل على حجّة الحجّة؛ أي المثل وهو أسلوب للطرح والإقناع المباشر الذي لا محال واقعا ما دام يتضمن حجاج اللفظ والفكرة.

رابعاً: الترتيب والتنظيم

وهي وضع الأدلة موضعها من الخطاب، ويطلق عليها أيضاً التنظيم، فبعد تحديد الحجج والتفكير في مكونات الخطاب وأجزائه الكبرى، يفكر الخطيب / المتكلم في ترتيب كل ذلك، بإذ يضع كل جزء في موضعه المناسب، أي لحظة الهيكلة والتهيئة و التخطيط المناسب، وتكون على الترتيب الآتي:

١- الاستهلال

٢- السرد.

٣- الإثبات و الاستطراد

٤- الخاتمة

فعلى من يريد المحاججة والإقناع أن يسير على هذا التسلسل ليكون قادراً على الإقناع حسب الآتي:

---

(١) صور العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، د. محمد توفيق ابو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان: ١٩٩٩: ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٦.

(٣) ورد المثل في الميداني: ١/؛ المستقصي: للزمخشري: ٦١/١؛ الجمهرة، العسكري: ٣٩٧/١.

(٤) الغَلوَة: مسافة رمية سهم، اللسان، مادة (غلا).

١- الاستهلال: ونعني الافتتاح، وهو إفادة المتلقي ولفت انتباهه وكسب عطفه أي استحالته، وبراعة الاستهلال، أخص أسباب النجاح، ويجب أن يختار المتكلم ما يناسب مستمعه، و يقول الجاحظ " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وحالاتهم، فيجعل لكل طبقة منهم كلاماً يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم المعاني على أقدار المقامات التي هم عليها المستمعون وحالاتهم "[١]، وهذا يتجلى بصورة أكبر في الخطب والوصايا مثل وصية الأم لابنتها المتعارف عليها في التراث في قولها (أي بنيّة، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك ولزويته عنك ولكن الوصية تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل، أي بنية)، فهذا استهلالا مليئا بالدلالات الغنية و المغزى من النص إذ تبين فطنة المرأة وحرصها على ابنتها، وفي خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ في قوله (أيها الناس، اسمعوا) وعوا وكذلك خطبة كعب بن لؤي في خطبته أمام قريش (أما بعد، فاعلموا و تعلموا).

وفي قصة المرقش الأكبر المتيم بابنة عمه وهي من القصص الاجتماعية ومعاندة عمه لأمر زواجها تحولت إلى واحدة من أساطير الميثولوجيا العربية الجاهلية، فلقد قام الدهر كعقبة بينه وبين تحقيق أمنيته بالزواج من ابنة العم بفعل تصلب عمه في طلبه – شبه المستحيل – إذ قال لابن أخيه مستهلا حديثه بقوله " لن أزوجكما حتى ترأس وتأتي الملوك، فكان على المرقش أن يقبل التحدي إن استطاع، بعد ارتجال وطلب للمجد، أن يحقق التفوق في بلاط الملوك، فامتدح أحد ملوك اليمن وفاز منه بالتقدير المرجو، وعندما عاد إلى قومه وعمه منتصراً وجد أن العم قد زوج ابنته من سواه، أما الغريب في الأمر أن العم بدل أن يخبره بهذا الزواج ادعى أن الفتاة قد ماتت وجعل لها قبراً مزيفاً في أرضه لكن الشاعر لا يلبث أن يكشف الحقيقة ويعرف بأمر الصفقة التي عقدها عمه إذ زوّج ابنته من رجل أخر غني خلال سني الجدب والقحط التي مرت بقومه " [٢].

٢- السرد: هو العرض المفصل لما تم اختصاره في المجمل المعروض في الافتتاح، أي سيكون هو الجزء التفصيلي سواء في الرسالة أو الخطبة ويكون مترابطاً ويعقبه سلسلة من الأحداث، وذلك في

(١) البيان والتبين، الجاحظ: ٢١٥.
(٢) العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ١٢٢.

وصية أكثم بن صيفي لأبنائه في اختيار الزوجة الكفء الطاهرة العفيفة الخلوقة في قوله لهم " شددوا حجبهن و انكحوهن أكفاءهن و أيسروا الصداق بينكم، تتفق أيامكم و يكثر نسلكم، فإن نكحتم في العرب فاختاروا ذوات العفاف و الحسان أخلاقا، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم و إنهم راضون فيمن بقى من نساءكم مثل ما رأوا فيمن جاء منهن " (١). يحذر أكثم هنا أولاده من نكاح الحمقاء وهي المرأة الطائشة سريعة الغضب، سريعة الحكم، ويمسى نكاحها: (غرر) أي خطر وخداع.

٣- الإثبات والاستطراد: وهنا يقصد رصد الحجاج عبر وسائل الإقناع، وهذا جعله أرسطو مفخرة الخطباء والنواة المركزية لكل خطابة بل لكل خطاب، بل ولكل كلام ما دام الكلام هو الأداة لتحقيق التجميع، فيجب أن يبتعد عن الواقعية ويتجه إلى قدرته الحجاجيّة ليقوم بالتسالي إلى غرضه الأساسي وهو الإقناع من الخطاب، وهذا قد تجلى في الجمل القصيرة المليئة بالإيقاع الجميل والسجع و الفطنة والتوجيه الذكي المليء بالحجاج والإقناع في خطاب واحد ملكات اليمن، ذكروا ان ملكة كانت بسبأ، فأتاها قوم يخطونها، فقالت: ليصف كل رجل منكم نفسه، وليصدق وليوجز، لأتقدم أن تقدمتُ أو أدع ان تركتُ على علم" هنا نجد ان الملكة وضعت شروطاً للكلام وبدوا يذكرون صفاتهم بالتفصيل.

الخاطب الأول: "إن أبي كان في العز والباذج، واكسن الشافع، وانا شرس الخليقة غير رعديد عند الحقيقة".

وصف اباه ثم رجع لنفسه افتخاره بالنسب والنفس، ثم ننتقل للخاطب الثاني ونجد جمل قصيرة مليئة بالإيقاع حين يقول: "أنا في مال أثيث، وُخلقٍ غير خبث، وحسباً غير غثيث، أحدوا النعل بالنعل، وأجزى القرض بالقرض" لكنه هنا بدل المفخر جاء بالمفسدة وجاء بحرف التاء وهو حرف مهموس فأخفق بدل من ان ينجح.

(١) العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ١٢٢.

أما الخاطب الأخير فقد عرف كيف يستهل ويثبت ويستطرد في قوله: " أنا شماس ابن عباسي، معروف بالندى والباس حسن الخلق في سجية، والعدل في القضية، مالي غير مخطور القل والكثرة، وبابي غير محجوب على العسر واليسر" نجد قوة البأس والتفاخر بنفسه، لا نسبه وقوته ولا عشيرته، وكرمه لا بخله لذا من خلال استطراده وقعت كلماته سهام في قلبها ووافقت على الزواج منه [١].

٤- ثم يشرع القاص في قصة المرقش الأكبر بسرد أحاديث قصته بحثاً عن حبيبته إلى أن وصل مَنْ يوصلها إليها، وهي (الراعي والجارية)، ويوصلان الحليب لـ (أسماء) ووضع خاتمه في قعر الإناء، وعندما عرفا بخبره ووصل إليها، مات عند أسماء بعد أن أنشدها أبياته الأخيرة:

سـرى ليـلاً خيـال مـن سليـم فـأرقـني وأصحـابي هـجو

فبـت أديـر أمـرى كـل حـال واذكـر أهلهـا وهـم بعـيد

إلى أخر القصيدة [٢].

وعند النظر في هذه القصة حجاجيا أنها تخضع لعدة متواليات سردية هي:

- الوضعية الأولية: نشوء حب ما بين أبناء العم (المرقش وأسماء).
- صيرورة التحول: زواج أسماء، وبحث المرقش عنها.
- الوضعية النهائية: موت المرقش في بيت أسماء.

ومن هذا يتبين أن المُشكّلة للقصة أنها تخضع لتراتيبية زمنية متوالية تكملها علاقة منطقية (القحط والجدب)، وكذلك بُعد الحبيبة، وبالتالي يؤدي إلى موت المرقش والسبب الأساسي هو طمع والدها، والمتواليات السردية تتبع متواليات النص السردي بشكل منظم ومقنع إذ يحقق بُعداً حجاجياً من خلال أبعاد عدة:

١- التتابع الزمني: وذلك عندما تتعاقب الأحداث زمنياً عبر مشيرات تفيد الزمن.

(١) مجمع الامثال: ١١٨/٢.
(٢) ديوان المرقش: ١٠٠؛ الأغاني: ١٢٦/٦.

٢- التلازم المنطقي: وتكون بترابط المتواليات عبر العلة والسبب، إذ كل وضعية تنتج عنها وضعية جديدة. وتتبع متواليات النص تقطيعاً سليماً، وتركيز الأحداث في ذهن المتلقي والتعرف على العلاقات التي تربط بينهما.

٣- تحقق وظيفة تحليلية: تجعلنا نتعرف سيرورة الحدث والعناصر المتحكمة في تسلسل متواليات زمنياً ومنطقياً.

٤- تحقق الوظيفة التركيبية: التي تجعلنا نكشف مضمون النص واختزال وقائعه وأحداثه في مقولات محددة ومركزة.

أن مشيرات التنظيم الموظفة في الإقناع جاءت متدرجة في عرض المناقشة وفق أسلوب استقرائي مع التحليل والمقارنة والتعليل والاستشهاد، وهناك جانب مهم جدا له علاقة بلاوعي الإنسان [١] – أي انسان – وهو تجذر الصلة بالمكان والشغف به في أعماقه، وهذا ما يسميه علماء النفس اللاوعي الجمعي الذي يعدّ العامل الأساسي في تشكيل ملامح السلوك لأمة من الأمم.

٥- الخاتمة: وهو الجزء المختصر الذي ينتهي به الخطاب، ويجب أن يتطابق مع الاستنتاج، ويلخص ما تمت البرهنة عليه في الحجاج، ويعد خلاصة الحديث إذ تركز على التأثير على المتلقي أو المستمع وإنعاش ذاكرته و تنفيره من الخصم، ورفع قدر كلام الخطيب ثم بيان رد فعل المستمع.

في خطبة ملكة اليمن من خطابها حين قالت في النهاية: " اسمع يا مدرك، وانت يا ضبيس، لن يستقيم معكما معاشرة لعشير حتى يكون فيكما لين عريكة، أما انت يا شماس فقد مللت مني محل الاهزاع من الكنانة، والواسطة من القلادة لدماثة خلقك، وكرم طباعك، ثم اسمع بجد أودع، وتزوجت شماساً [٢]"، والخاتمة هي الفرصة الأخيرة للتأثير على المتلقي أو السامع في الاتجاه الإيجابي بصورة مباشرة، ونجد الترتيب والتنظيم واضحاً في الخطبة والخطبة في النثر الجاهلي.

(١) التحليل النفسي والديني، أ.د علي كوسة، ١٩٨٤م: ٣١.
(٢) مجمع الامثال: ١١٨/٢.

الفصل الثاني

بلاغة الصور الحجاجيّة

الصور الحجاجيّة.

المبحث الاول: المجاز.

المبحث الثاني: الاتشبيه.

المبحث الثالث: الاستعارة.

توطئة

اهتم كثير من النقاد بالبلاغة الجديدة بوصفها ذات وظيفة حجاجيّة، بمعنى أن الصور البلاغيّة وظيفتها الحجاج، وذلك تبعا لتأثرهم بالمنهج الأرسطي إذ يرى لا فرق بين البلاغة والحجاج ما دام الهدف واحد، وقد ركز بيرلمان على" ثلاثة مرتكزات أساسية في الخطاب البلاغي، هي: اللغة (اللوغوس)، والمرسل (الإيتوس) والمرسل إليه (الباتوس) " [١]، ومعنى هذا أن بيرلمان قد عمل على تجديد البلاغة الغربية بحلة جديدة معاصرة في ضوء المنهج الأرسطي مبتعدا عن تصورات أفلاطون الجدلية، أي أنه قد انبثقت بلاغته من رؤى أرسطو توسيعا وشرحا، وهذا يبين فكرته " حول البلاغة بأنها بمثابة برهنة استدلالية أو فلسفية عقلانية للتمييز بين الأفكار القيمة وغير القيمة، وفرز الحجج الصائبة من الخاطئة علاوة على ذلك، فإن أهمية نظريته الحجاجية تكمن في تبيان طبيعة العلاقة الكائنة بين البلاغة والمخاطب، سواء أكان فردا أم جماعة، إن تأثيرا وإن إقناعا والغرض من ذلك كله هو كشف الزيف والوهم والمحتمل والدفاع عن الحقيقة الصادقة " [٢]، وترى الباحثة أن بلاغة الصور الحجاجيّة هدفها إقناع الآخرين بصحة أفكار المحاجج أو عدم الاقتناع بها إذ لا تتلاءم مع رغبته ورؤيته وفلسفته وتصوراته.

اتفق ميار مع أستاذه بيرلمان في أهمية الصور البلاغية في الحجاج ؛ إذ أن ميار يعد البلاغة لها الدور الفعال في الحجاج وخاصه المجاز، حتى ذهب إلى أبعد من ذلك حيث " أنه يعتبر كل بلاغة حجاجاً وبالعكس، أي أنه – بعبارة أخرى– يطابق بين المفهومين إذ هما – الحجاج والبلاغة – يهدفان في نظره إلى تضيق شقه الخلاف بين المحورين والمتخاطبين أو إلغائها "[٣]، وقد ركز في هذا الجانب على الصورة المجازية ومالها من أهمية في إقناع المتلقي وبالتالي تقريب المسافة بينه وبين المتكلم والاتفاق مع الأخير حول وجهة نظر؛ وهذا ما نجده في تعريف ميار للمجاز ودوره الحجاجي فيه فهو " ينشيء المعنى ويصدم كل ما لا يشارك المتكلم وجهه نظره، وهو بذلك وسيلة التعبير عن الأهواء الانفعالات والأحاسيس التي تمثل صورا من الإنسان، مثلما المجاز صورة من الأسلوب " [٤].

(١) جميل حمداوي، البلاغة الحجاجية، مجلة المثقف، قضايا وآراء، العدد ٤٩٤٠، الأحد ٢٠٢٠/٣/١٥: ٣٢.
(٢) البلاغة الجديدة، جميل الحمداوي، ٤١.
(٣) الحجاج في البلاغة المعاصرة، سالم محمد الأمين: ١٣٦.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٩.

ويولي مايير " أهمية قصوى للبلاغة وصورها المجازية في التخاطب ، لأن هذه الصور تعمل على تأسيس فعل الحجاج ؛ فيصبح الحجاج ما تنتجه البلاغة من صورة بيانية "[١]؛ لأن الإنسان يستخدم عبارات يريد من ورائها إبراز الفكرة أو تأكيدها أو إلغائها، وهذا يبرز " ما يفهمه الإنسان أو يؤمن به أو يعتقد به بأشكال متعددة من السلطة المادية والمعنوية والقولية والمجازية " [٢]، ويمكن القول أن النظرية المجازية تأسست من خلال مفاهيم هي "عبارة عن ثنائيات متقابلة يتشكل بها القول الحجاجي منها: الحقيقة والمجاز والافتراض واليقين والاستعمال والابتكار والسلطة المجازية والسلطة المادية " [٣].

(١) أهم نظريات الحجاج، شكري مبخوت: ٣٥١.
(٢) الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله هولي: ٣٦.
(٣) المصدر نفسه: ٣٦-٣٧

الصور الحجاجية

إنّ بلاغة الصور الحجاجيّة هي علاقة خاصة تجمع بين المتحدث والمتلقي، ووفق البلاغة الجديدة التركيز يكون على المتلقي ضمن رؤية إقناعية وتأثيرية بمعنى أن نظرية الحجاج ترتبط بالمتلقي أكثر من المتكلم، وبهذا أصبحت وسيلة هامة في الإقناع.

والحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع والتأثير بالآخرين وذلك باستعمال طرق متعددة لإبراز مهارات المتكلمين في الإبانة عما يريد التعبير عنه مقرونة بصوره جمالية ذات تأثير في النفوس والأذهان، لذا يمكن القول أن أهم آليات الحجاج هو " حسن البيان في الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان ويقبله النفس تقبل البرد وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة " [١].

فعن طريق الحجاج تعتمد الاستمالة والتأثير للصورة البيانية والأساليب الجمالية، فالبلاغة والكلام البليغ تؤثر تأثيراً حجاجياً على السامع إذ أن " اللغات في حقيقتها وجوهرها بالبيان، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير في صورتها وأجراس كلماتها بعذوبة المنطق، وسهولة اللفظ والإلقاء والخفة على السمع، وأن اللغة العربية في هذا الميزان الراجح والجو القارح يعرف ذلك من أخذها بحق، فكان من مفرداتها على علم ضرب من أساليبها سهم" [٢].

ولو حاولنا أن نتعمق ونميز بين البلاغة والحجاج البلاغي؛ فالحجاج البلاغي ((هو كسب تأييد المتلقي شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معاً حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل موضوع الخطابة – الخطاب)) [٣].

إذن هو حجاج ((يجمع بين العقل والقلب وكذلك بين المضمون العقلي للحجة وصورها البيانية أو بين التبرير العقلي والمحسنات البيانية، فالبلاغة قد تؤثر وتستميل وتمتع، لكنها لا تؤدي وظيفتها إلا

(١) النّكت في اعجاز القرآن الكريم، أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله/ محمد زعلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦: ١٠٦.
(٢) الحجاج والاستدلال الحجاجي، الحبيب أعراب، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٠، الكويت، سبتمبر ٢٠٠١: ٤٥.
(٣) بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني، الخطاب في العصر الأموي أنموذجاً، د. عبد الرحمن رجا الله السلمي، مجلة الأثر، العدد ٢٩: ٩٤.

بالمحاججة، والصور البلاغية هي أسلوبية الخطاب إذ تحمل في طياتها وظيفه إقناعية " [١]، والصورة الحجاجية أحد وسائل الإقناع ؛ فهي طريقه خاصة من طرق التعبير أو وجه الدلالة، وتنحصر أهميتها فيما تحدثه فيه معنى من المعاني والتأثير، وذلك لأن الصور بصورة عامة لها تشكيل جمالي بوصفها جهاز اللاشعور الإنساني للتفاعل الحاصل بين المدركات الحسيّة والمجردة، وتعد العناصر الأساسيّة في الأعمال الأدبيّة كافة سواء أكانت شعراً أم نثراً، " تروي بعض الاساطير أن الشمس والرياح تراهنتا على إجبار رجل على خلع معطفه، وبدأت الرياح في محاولة كسب الرهان بالعواصف والهواء الشديد والرجل يزداد تمسكاً بمعطفه واصراراً على ثباته وبقائه حتى حل اليأس بالرياح فكفن عنه.. وجاء دور الشمس فتقدمت وبزغت وبرزت للرجل بضوئها وحرارتها فما أن شاهدها حتى خلع معطفه مختاراً راضياً"[٢] وهناك فرقاً شاسعاً بين مفهوم الصورة قديماً وحديثاً لما تحمله من دلالات وما يعتروها من وظائف " إذ كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة، فالمفهوم الجديد يوسع من إطارها وقدرتها على ترك الأثر عند المتلقي" [٣] والركيزة الثالثة في مفهومنا الحديث يتضح أكثر عند جزئيات الحجاج الاستعارة والتشبيه، أما الأثر عند المتلقي لا يحدث إلا اذا كان هناك بلاغة خطاب إقناعي.

أولاً: شعريا

عرّفت الصورة بأنها " تشكيل لغوي يكوّنها خيال الفنان من معطيات يقف العالم المحسوس في مقدمتها"[٤]، وهذه المعطيات المتعددة التي يتعامل معها الخيال ويصورها هي الأبعاد النفسية والعاطفية والفكرية التي تسهم في تشكيل الصورة؛ إذ ينبغي عليها أن تصور الانفعال وتنقل إحساس المعبر وذبذبات نفسه، وأن يجعل الشاعر هدفه نقل الفكرة والعاطفة في صورة، وهنا يمكن القول أن الحجاج في الصورة البلاغية الإقناعية يجمع ما بين العقل والعاطفة، ومن منطلق أن البلاغة والصور الحجاجية يجمعهما

(١) الحجاج والاستدلال الحجاجي: (عناصر استقصاء نظري)، حبيب أعراب، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، الكويت، ع ١، سبتمبر، ٢٠٠١: ٩٧-٩٨.
(٢) الاقناع، القوة المفقودة، أحمد عبد المحسن العساف، مقال على شبكة الانترنت
WWW.saad.net/aldawah/٢٢١.htm
(٣) البناء الفني في شعر الهذليين، دراسة تحليلية: إياد عبد المجيد إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ٢٠٠٠: ٩٥.
(٤) الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها: ٣٠.

الاهتمام بالكلام وبيان القدرة المقنعة للكلام كان الهدف منها إبراز قدرة الشعر العربي في إقناع الآخر من وجهة بلاغية جديدة .

ثانياً: نثريا

أمّا الصورة بالنثر بوجه خاص فهي علاقة قائمة بين الناثر وبيئته؛ إذ لا يخفي آثار الصورة سياقها النثري في أداء المعنى المنوط بها في نفوس المتلقين " فهي تكسب المعنى رونقاً وبهاءً وتجعله أقوى تأثيراً، إذ لا ريب أن هناك فرقاً بين فيض الكلمات بالمعاني والمقاصد، وأن تفيض بها الأحداث والصور، فلفظة الشجاعة تكون أقل غزارة وبيانا من لو دلت على الأسد ببطشه وبأسه وشدته، فالمعاني هنا تفيض بها الأحداث" [1]، وهنا سوف اجيب عن أسئلة منوطة بتوضيح تأثير العلاقة بين الصور الحجاجيّة والبلاغة وهي:

١- كيف تجلّى المجاز بلاغيا في الحجاج؟

٢- إلى أي مدى كان للاستعارة دورا في حجاج نثر ما قبل الإسلام؟

٣- كيف استخدم الناثر التشبيه في إقناع الناس فيما يقول؟

(١) حجاجية الصورة في الخطاب السياسي لدى الإمام علي (ع)، كمال الزماني: ١٤٠.

المبحث الاول: المجــاز

تحاول الباحثة هنا مناقشة ظاهرة تكررت في نثر ما قبل الإسلام؛ وهي ظاهرة بلاغية تخاطب الأشياء المادية والمعنوية والأشخاص والحيوانات والطبيعة والأفكار، ودراسة هذا اللون الأسلوبي لدى الناثر يكشف عن مدى تفاعله مع عالمه إذ تجسد رؤيته وفكره بوصفه لم يكن بعيدا عن بيئته مستخدما المجاز بصورة جلية في نثره، وهناك خلاف بين العلماء بخصوص المجاز فمنهم من أنكر وجوده في القرآن، وتبعا لذلك أنكرت مكانه في اللغة، ومنهم أبو إسحاق ابراهيم الأسفراييني (ت٤١٨هـ) إذ قال عنه الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) " وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا في القرآن ولا غيره كأبي اسحق "[١]، وقد ذكر عدم وجود مجاز في اللغة العربية، وردّ عليه الإمام الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) قائلا " سبب هذا الخلاف تفريطه في الاطلاع على ما ينبغي له الاطلاع عليه من هذه اللغة الشريفة وما اشتملت عليه من الحقائق والمجازات التي لا تخفى على من له أدنى معرفة بها "[٢].

وحجتهم في هذا الإنكار قولهم " واحتج المنكرون للمجاز في المفردات بأن اللفظ لو أفاد المعنى على وجه المجاز لكان إما أن يفيده مع القرينة المخصوصة، أو بدون القرينة والأول باطل لأنه مع القرينة المخصوصة لا يفيد خلاف ذلك، وعلى هذا يكون مع تلك القرينة حقيقة لا مجازا وهو بدون القرينة غير مفيد أصلا فلا يكون حقيقة ولا يكون مجازا "[٣]، وأيضا من الذين أنكروا المجاز الإمام ابن القيم الجوزية (ت٧٥١ هجري) إذ قال عنه "أولع به المتأخرون والتجأ إليه المعطلة وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون به عن حقائق الوحي المبين"[٤].

أولاً: المجاز لغة

هو " مشتق من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه بقول عبد الرحمن حنبكة: مصدر فهل (جاز) يقال لغة جاز المسافر ونحو الطريق ويطلق لفظ (المجاز) على المكان الذي اجتازه من ساره فيه حتى قطعه " [٥]، وهو " مصدر على وزن مفعل وهو تعدي الشيء أو المكان، يقال جاز المكان إذا تعداه "[٦].

(١) الأيمان، ابن تيمية، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣: ٧٤.
(٢) إرشاد الفحول: ٢٣.
(٣) الطراز: ٧٤/١.
(٤) مختصر الصواعق المرسلة: ٢٤١
(٥) عبد الرحمن حنبكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٧٠.
(٦) المنجد في اللغة و الأعلام، مادة جاز: ١٠٩.

ثانياً: المجاز اصطلاحا

واصطلاحاً يقول أحمد الهاشمي في كتابه " وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقه "مع قرينه" مانعة من إرادة المعنى الوضعي " [١].

ويقول عبد الرحمن حنبكة " اللفظ المستعمل في غير ما وضع في اصطلاح به التخاطب بقرينة صارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ" [٢]، وكذلك هو " استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي " [٣].

ثالثاً: المجاز عند العرب

١- المجاز عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) هو " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، أو كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز" [٤].

٢- ويرى أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت ١٢٢٩ هـ) أنه " هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط " [٥].

٣- ويرى كذلك العز بن عبد السلام (ت ١٢٨٢ هـ) أن المجاز هو " استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالاً عليه ثانياً لنسبة وعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز فلا يصح التجوز إلا بنسبة بين مدلولي الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة..." [٦].

٤- ويرى محمد عبد الحليم اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) أنه " مصدر ميمي بمعنى الفاعل من جاز المكان إذا تعداه، ووجه المناسبة أن اللفظ إذا استعمل في غير الموضوع له فقد تعدى عن المكان الأصلي (

(١) جواهر البلاغة: ٢٦٤.
(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢١٨.
(٣) من بلاغة القرآن: من بلاغة القرآن، ط٤، ٢٠٠٩.
(٤) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني: ٣٥٠.
(٥) مفتاح العلوم ، أبي يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣: ٢٧٧.
(٦) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، العز بن عبد السلام ، الطبعة العامرة، ١٤٣٩/١١/٥هـ: ١٨

غير ما وضع له) خرج به الحقيقة... و هو لفظ مستعمل في غير ما وضع له من إذ أنه غير ما وضع له" [١].

٥- ويعرف حامد عوني (تـ ١٨٨٠م-١٩٥٨م) المجاز بأنه " مصدر ميمي على زنة مفعل بمعنى الجواز والتعدية نقل إلى الكلمة المستعملة في غير ما وضعت به باعتبار أنها جائزة مكانها الأصلي، فيكون المصدر بمعنى اسم الفاعل، أو باعتبار أنها مجوز بها مكانها الأصلي فيكون المصدر بمعنى اسم مفعول " [٢].

وكذلك تتفق الباحثة مع عبد القاهر الجرجاني في رأيه حول المجاز إذ تربطه علاقة بين المعنى المراد توصيله والحقيقي عبر لفظ أو عبارة تكون ألفاظها موجزة و معبرة.

رابعاً: أنواع المجاز

- المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً في غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي [٣].
- المجاز المفرد: وهو اللفظ المفرد المستعمل في غير ما وضع له [٤].
- المجاز المركب: هو اللفظ المركب المستعمل بهيئته المركبة في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي [٥].

خامساً: ألوان الخطاب المجازي

١- خطاب أجزاء الجسم

قد خاطب الناثر فيما قبل الإسلام القلب واللسان والعين مركزا عليها أكثر من باقي أعضاء الجسم الأخرى، وربما لهذا التركيز دلالات وإشارات عميقة بوصف تلك الأجزاء مهمة في مخاطبتها واتصالها

(١) قمر الأقمار لنور الأنوار في شرح المنار، محمد عبد الحليم اللكنوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥: ١٨٩.
(٢) المنهاج الواضح للبلاغة، تحقيق: طه عبد الرؤوف ، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١: ٨٩.
(٣) جواهر البلاغة: ٢٦٥.
(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٢٣.
(٥) المصدر نفسه: ٢٢٥.

بالجانب العاطفي والإنساني، من ذلك المثل القائل " تجوع الحرة و لا تأكل بثديها " [1]، إذ يقال في صيانة النفس و بعدها عن المكاسب الخسيسة، والحجاج نجدها هنا من خلال قصة المثل حيث يعود اصل هذا المثل "الرجل يدعى الحارث بن سليل الأسدي، وكان شيخاً كريماً ذا مال وحسب، زر يوماً صاحباً له يدعى علقمة بن حصفة الطائي، وكان له أبنه تدى الزّباء، غاية في الحسن والجمال، فأعجب بها الحارث الحارث وقرر ان يتزوجها فقال لصاحبه:

- اتيتك خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويُدرك الطالب، ويُمنح الطالب.
- فقال له علقمة: انت كفء كريم، ويُقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في امرك.

فذهب الى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب الينا الزّباء فلا ينصرفن الا بحاجته".

فكان هناك أسلوب رائع بين الام وابنتها نجد فيه حوار بليغ وكثير الحجاج.

"فعرضت الام الامر على ابنتها فدار بينهما الحوار الاتي:

الام: أي الرجال أحب اليك؟ الكهل الجحجاح (سيد قومه)، الواصل المنّاح، ام الفتي الوضّاح؟ (الجميل الأبيض اللون).

البنت: لا بل الفتى الوضاح.

الام: ان الفتى يغيرك (يتزوج عليك)، وان الشيخ يميرك (يجلب لك الطعام ويقضي حاجاتك)، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السن، الكثير المسن.

البنت: يا أمتاه: إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء انيق الكلأ

الام: أي بنية: إن الفتى شديد الحجاب كثير العتاب.

البنت: ان الشيخ يبلي شبابي، ويدنس ثيابي ويشمت بي اترابي: فلم تزل أمها تقنعها بافضلية الشيخ على الفتى في أمور الزواج وحفظ الفتاة وصونها، حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الأبل وخادم والف درهم، ثم رحل الى قومه [2].

(١) الامثال، ابو عبيده القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تح: أ.د عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: ٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣٧-٣٨.

وكذلك قول عامر بن الظرب العدواني في الرد على خاطب ابنته صعصعة بن معاوية " يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدي، وأرحم ولدي عندي، متعتك او بعتك.. وقد أنكحتك حنشة ألا أجد مثلك، أرفرّ من السر الى العلانية، أنصحُ أبناء وأُدِعُ ضعيفا قوياً" هنا أراد ان يحجج خاطب ابنته فمثلما كأنها كبده ومن المعرفو ان الإباء يشبهوا بالكبد لانه مركز العاطفة قال تعالى **(لقد خلقنا الانسان في احسن كبد** [١]**)** وقال الشاعر واصفا ابنه:

يا فلذة كبدي الذي لم يبقى من آمالنا فيه سوى الآلام [٢].

ثم رد عليه " أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم"[٣]، و كذلك خطبة الوعاظ المأمون الحارثي الذي خطب قومه قائلا: " أرعوني أسماعكم و أصغوا إليّ قلوبكم... يأيها العقول النافرة و القلوب النائرة... لو كشفت الأغطية عن القلوب و تجلت الغشاوة عن القلب.."[٤] وقد اوجب القلب للأصغاء لان القلب يميل الى اهواء كثيرة فاراد ان يكون الميل له فقط.

٢- خطاب الطبيعة

وليس أشهر من سجع الكهان في خطاب زبراء كاهنة بني رئام إذ قالت " واللوح الغافق والليل الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق "[٥]، وكذلك في المحاورة بين معبد بن زرارة وعمرو بن هند ويستغفره لقومه... ((فقال له عمرو: من أين أقبلت أيها الراكب؟ قال: من بلد سماؤه غبراء [٦]))، وكذلك خطبة قس بن ساعدة الإيادي " ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج... إن في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا "[٧].

(١) البلد: ٤.
(٢) مجمع الامثال: ٢١١/١، البيان والتبين: ٣٧/٢؛ العقد الفريد؛ ٢٢٣/٣؛ شعراء العراق والشام، ديوان جبران خليل جبران: ٢٣/٣.
(٣) مجمع الامثال: ٢١١/١-٢١٢؛ البيان والتبيين: ٣٧/٢-٣٨.
(٤) مجمع الامثال: ٣٧/١.
(٥) الاغاني: ٨٤/٩.
(٦) جمهرة امثال العرب: ١٨٩.
(٧) البيان والتبيين: ٣٠٨/١؛ الاغاني: ١٩٣/١٥.

٣- خطاب الماضي والمستقبل

المثل القائل (إن غدا لناظره قريب) [١] فهذا مثل يقال في التريث والانتظار لتحقيق الأمل، لاشك أنّ البعد النفسي للناثر يتدخل في أسلوبه الذي يتعامل به في واقعه، ومن هذه الأشياء الرؤية التفاؤلية للأشياء، وكذلك إخبار قس بن مساعدة الإيادي في خطبته المشهورة " ونجوم تزهر و بحار تزخر.. وكل ما هو آت آت "[٢]، إذ يعرض قس هذا التدبر في خلق الله الدال على وجوده في حياتنا اليومية، وكذلك في قوله " من عاش مات و من مات مات.. ما بال الناس يذهبون و لا يرجعون.. لا يرجع الماضي إلينا و لا من الماضين غابر"[٣]، و هنا يقوم قس بإرشاد قومه و وعظهم حتى ينتبهوا و يعملوا لما ينتظرهم.

٤- خطاب الحيوان

كان للحيوان في الحياة الجاهلية أثر كبير بوصفه وسيلة نقل، وكذلك سيد الموائد، وهذا جعل الناثر يربط بين ما يريد توصيله من حكم ومواعظ مستعملاً إياه، ومثال على ذلك المثل القائل " أطولُ ذَمَاءً مِن الضَّبِّ: أي أن الذماء ما بين القتل إلى خروج النفس ولا ذماء للإنسان، ويقال الذماء بقية النفس وشدة انعقاد الحياة بعد الذبح، وهشم الرأس والطعن الجائف والتامور، أيضا بقية النفس وبعضهم بفصح عنه فيجعله دم القلب الذي ما بقي الإنسان والضّبِّ يبغ من قوة نفسه أنه يذبح، فيبقى ليلته مذبوحاً مفرى الأوداج ساكن الحركة، ثم يطرح من الغد في النار فإذا قدروا أنه نضج تحرك حتى يتوهموا أنه قد صار حياً، وأنه كان في العين ميتاً "[٤].

وكذلك المثل القائل " الظِّبَاء على البَقَرِ: أي أن يُضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة، وكان الرجل في الجاهلية إذا امرأته الظباء على البقر بانت منهم كان عندهم طلاقاً، ونصب الظباء على معنى اخترت أو أختار الظباء على البقر كناية عن النساء ومنه قولهم جاء يجرّ بقره أي عياله وأهله "[٥].

(١) المنتقى في أمثال العرب، سليمان بن صالح الخراشي، ط ١، ٢٠٠٧: ١١٣. قصة هذا المثال في وفاء الاعرابي الذي أراد قتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه.
(٢) العصر الجاهلي: ٤٥٥.
(٣) مجمع الامثال: ١١١/١؛ العقد الفريد: ٢٠١٥/٤.
(٤) مجمع الامثال، أبو الفضل النيسابوري (الميداني): المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، ١٩٨٧، ٤٥٣.
(٥) المصدر نفسه: ٤٦٠.

وكذلك قد تجلى هذا الخطاب في الأمثال في صفاتٍ تعبر عن الإنسان ولكن ضمن الإطار المجازي، ومن هذه الأمثلة:

١- أجهل من جمار.

٢- أجبن من نعامة.

٣- أحظر من غراب.

٤- أحرص من نملة.

٥- أحسن من الطاووس [١].

ولعل الاستعانة بهذه الأمثال ما فيها من صفات تعد رغبة في الاقتراب أو الابتعاد بمعنى التحذير منها إذ تأتي تبعاً للحرية التي يشعر بها قائل المثل تجاه كائنات لا يخشى عاقبة ذكرها، بل يبحث عن رمز يحمل مدلولات الإشارة إليها، وقد بلغ بالناثر " من شدة إعجابه أو نفوره من صفاتٍ فيها أن تسمى ببعض أسمائها "[٢].

وترى الباحثة أنه لم تخلُ حياة الجاهلي الأدبية نثريا من خطاب الحيوان، إذ استعمل الناثر الحيوان مجازيا للتعبير عن موقف معين أراد إبرازه أو التعبير عنه إذ البيئة التي خلقت علاقة قريبة بين الناثر والحيوان إذ يتألم معه ويتعاطف معه وذلك بجعلها رموزا لمعنى خاص يسود في ذاتية الناثر.

وهنا ترى الباحثة أن المجاز يستعمل في الحجاج ليدخل التركيب أو الجملة " في صور جديدة في محيطه انطلاقاً من تركيب ونسج المعطيات الواقعية بطريقة إبداعية مما يجعل من هذه الصورة محط اهتمام، تدفع السامع إلى تصورها من خلال تركيبه وأنسجته الخاصة لواقع او حقائق أخرى. فتجعله بذلك يشترك مع المتكلم في إبداعه؛ وهو نوع من التوافق الذي يتطلب الحجاج "[٣]، وهنا لا نجد أوجز من الأمثال فيما قبل الإسلام إذ أنّ كل مثل موجز وراءه عبرة وقصة منها أمثال لقمان التي ظلّت تدور على ألسنة المؤرخين والعلماء ووصفوه بالحكمة والدهاء والرياسة إذ قال العلماء عنه أنه " عاش عمر سبعة

(١) الميداني: ٤٠١-٤٠٦.
(٢) لأمثال العربية القديمة، عفيف عبد الرحمن، المجلة العربية للعلوم الإنسانية: ٤٢-٤٥.
(٣) مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، : عبد السلام عشير عندما نواصل نغيّر، أفريقيا الشرق، المغرب: ١٢٠.

نسور وأن كل نسر منها عاش ثمانين سنة وكان لبّد آخرها وبه ضربوا المثل في طول العمر فقالوا (طال الأبد على لبد) ونسبت إلى لقمان في عصور متأخرة طائفة من الأقاصيص أريد بها إلى العظة والاعتبار "[1]، وهذا مثل كلماته قليلة لكنها معبرة عن طول العيش والعمر.

المجاز بين التصريح والتلميح

نجد في عمق تراثنا العربي، وعلماءنا العرب من بلغاء وكتاب والتي يعدل فيها عن التصريح إلى التلميح، ويرى الجاحظ " إن من البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها؛ إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ من الدرك وأحق بالظفر "[2].

وكذلك المثل الجاهلي القائل – يعد أبلغ المجاز – (وافق شنّ طبقة) كناية عن التوافق الفكري والروحي بين الأزواج إذ قال الشرقي بن القطامي " كان رجل من دهاة العرب و عقلائهم يقال له شَنّ، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شنّ: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شن، فرافقه فلمّا أخذا في مسيرهما، قال له شنّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت عنه شنّ، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا هما يزرع قد استحصد، فقال له شنّ: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل، ترى نبتا مستحصدا، فتقول: أتراه أكل أم لا؟ فسكت عنه: حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شنّ: أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة فتسأل عنها: أميت صاحبها أم حي؟ فسكت عنه شن، وأراد مفارقته، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه و كانت للرجل ابنة يقال لها طبقة، فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياها وشكا إليه جهله وحدثها بحديثه فقالت: يا أبه، ما هذا بجاهل أمّا قوله أتحملني أم أحملك فأراد: أتحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا، أما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا فإنما أراد: أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، أما قوله في الجنازة فأراد: هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره

(١) الامثال، للميداني: ٣٩١.
(٢) البيان والتبين: ٣٦/١.

أم لا، فخرج الرجل فقعد مع شنّ: فحادثه ساعة، ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم، ففسره فقال شنّ، ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟ قال: ابنة لي، فخطبها إليه، فزوجه إياها و حملها إلى أهله فلمّا رأوهما قالوا: وافق شنّ طبقة فذهبت مثلا "[١].

إنّ الحقيقة التي توصل لها البلاغيون العرب هي أن المجاز أبلغ من الحقيقة؛ ومع ذلك بقيت تحليلاتهم لهذا الأمر متفاوتة، فمنهم من اكتفى بتقرير أفضلية المجاز كابن رشيق الذي قال: " والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة؛ وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ما عدا الحقائق في جميع الألفاظ؛ ثم لم يكن محالاً محضاً فهو مجاز لاحتمال وجوه التأويل؛ فصار التشبيه والاستعارة وغيرها من محاسن الكلام داخلة شيء تحت المجاز "[٢].

ولو عدنا إلى دراسة العربية المعاصرة سنجد أن طه عبد الرحمن قد اتفق مع مير في أثرالمجاز في الحجاج بقوله " فلا حجاج بغير مجاز" [٣]، أما الدكتور عبد السلام عشير فقد اتفق معهما نوعاً ما بتدرجه إلى أن وصل إلى نتيجته الحتمية، يقول: " وأما المجاز فيؤدي إلى الافتراض، والافتراض يؤول إلى الجدل والنقاش وإلى التعارض الخصب الذي ترجمه الحجاج "[٤].

وبالنهاية ترى الباحثة أنّ المجاز أساس الحجاج من حيث الثالوث الخطابي: المتلقي والمتلقي والرسالة، فكيف يكون تعبير المتكلم وما يبثه من أحاسيس ومشاعر وما يفهمه القارئ؛ ومن ناحية أخرى كيفية تزيين الخطاب بالصور المؤثرة.

سادساً: أغراض المجاز

قد حاول ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) أن يستخلص الأغراض العامة التي يؤديها المجاز، "فذكر أن المجاز يعد آليّة الحقيقة لمعان ثلاثة: وهي الاتساع و التوكيد والتشبيه"، وهذه الأغراض التي ذكرها ابن جني قابلة لأن تستوعب كثيراً مما يمكن أن تعزى إليه جماليات المجاز، وبالتالي لها القدرة على التأثير على السامع [٥]، ومن هنا سننطلق لتوضيح هذه المقولة لإيضاح أغراض المجاز ومنها:

(١) جمهرة الامثال، للعسكري: ٣٣٧/٢؛ مجمع الامثال، للميداني: ٣٥٩/٢.
(٢) العمدة: ٢٦٨/١.
(٣) اللسان والميزان أو التكاثر العقلي: ٢٣٢.
(٤) عندما تتواصل نغير: ٢٠٩.
(٥) الخصائص: ابن جني، ٢٤٤/٢.

أولاً: الاتســـاع

١- لغوياً

اتفقت المعاجم العربية على أن الاتساع هو الأصل اللُّغوي للفعل (وسع)؛ وهو خلاف الضيق والعس [١]، وكذلك اتفقت المعاجم على أنه ذات معانٍ حسيّة ومعانٍ موجبة مجردة منها: الامتداد والسرعة[٢] والامتلاء [٣] والأضواء [٤].

أمّا المعاني المجردة منها " قدرة ذات اليد [٥] والإحاطة [٦] والجوار [٧] والطاقة [٨] والكثرة [٩]، وكثيرة هي المعاني في هذا المجال.

٢- اصطلاحاً

تعددت تعريفات الاتساع تبعاً لتنوع العلم الذي ينسب إليه (اللغوي و البلاغي والفقهي)؛ وكونه يشغل حيزاً واسعاً في كتب اللغة نجده في أبواب كثيرة منها: الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتشبيه والتوكيد، وفي باب المجاز إذا لحق بالحقيقة[١٠]، أمّا في كتب النحو فإنه يطالعنا في باب الحذف والتضمين والمجاورة وفي الظروف والجار والمجرور[١١]، ولو تصفحنا كتب البلاغة أيضاً نجده في باب التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل [١٢]، أمّا في كتب فقه اللغة فنجده في أبواب الاشتقاق والنحت والتعريف وهي أمور ذكرها ابن هشام وذكرها غيره[١٣].

(١) تهذيب اللغة: مادة (وسع) ٦١/٣.
(٢) المصدر نفسه: مادة (وسع) ٦١/٣.
(٣) الصحاح: مادة (وسع) ١٢٩٨/٣.
(٤) تهذيب اللغة: مادة (وسع) ٦١/٣.
(٥) الوسيط: مادة (وسع) ١٠٣١.
(٦) تهذيب اللغة: ٦١/٣.
(٧) المعجم الوسيط: مادة (وسع) ١٠٣١.
(٨) المصدر نفسه: مادة (وسع) ١٠٣١.
(٩) تاج العروس من جواهر القاموس: ٣٢٨/٢٢، مادة (وسع).
(١٠) ينظر: الاتساع في العربية، عواطف ياسين علي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م: ٧.
(١١) ينظر: المصدر نفسه: ٧.
(١٢) ينظر: الاتساع اللغوي بين القديم والحديث، عطية نايف الغول، عمان، الأردن، دار للبيروني، ٢٠٠٨م: ٩.
(١٣) ينظر: الاتساع اللغوي بين القديم والحديث، عطية نايف الغول، عمان، الأردن، دار للبيروني، ٢٠٠٨م: ٩.

وعُرف أيضا بأنه " نوع من الحذف للإيجار والاختصار "[١]، لكنه ينتج عنه نوع من المجاز بسبب نقل الكلمة من حكم كان إلى حكم ليس بحقيقته فيها، ومثال ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه، ويسميه البعض التوسل ويرى (سيبويه) ((أن الحذف للتوسع في اللغة أكثر من أن يحصى"[٢])).

أما لو تتبعنا البلاغيين الأوائل ومنهم الجاحظ نجده يمر عليه مرور اللغويين في قوله: فهو " يدل على توسعهم وحمل بعضه على بعض "[٣]، أمّا ابن رشيق القيرواني نجد أنه عقد له باباً في كتابه العمدة وأطلق عليه اسم (الاتساع).

أما أنضج من عرفها فهو عبد القاهر الجرجاني إذ قال: " أعلم أن طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه من قبل أنك ذكرت كلمة وأنت لا تريد معناها، ولا تكن تريد معنى ما هو مرادف له أو شبيه، فتجاوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه، وإذ قد عرفت ذلك فاعلم أن الكلام مجازاً على غير هذا السبيل وهو أن يكون التجاوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها "[٤]، وترى الباحثة أنّ الجرجاني جعل المجاز والاتساع صنوان، والاتساع هنا لا يمكن أن يحصل إلا إذا ساعده في ذلك احتمال اللفظ وقوة احتمال المعنى، أمّا من المحدثين قد عرّف عباس رشيد الاتساع بقوله " هو انفلات اللغة من سيادة الأنماط المألوفة وتحررها من سيطرة المفهوم النظري المعياري "[٥].

ومن الأمثلة على الاتساع في تراثنا النثري الجاهلي: المثل القائل (استنوق الجمل) [٦]، ويضرب هذا المثل للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه، ((أي أنه صيّر الجمل ناقة [٧]))، وهنا حاول صاحب المثل أن يقدم دليلاً مادياً محسوساً على ما واجهه من الضعف والوهن في الرأي واعتمد في هذا المثل على الإيجاز والتركيز والوضوح والسر في هذه المتعة تلقي تمثيل واكتشاف المتلقي لفطنة القائل التي تحاول القبض بإحكام على خواطر دقيقة غامضة بين الأشياء، فقد جمع بين شيئين متباعدين (الناقة والجمل)، ولد لدى المتلقي متعة، وهذا التباعد أشد على النفوس من العجب إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: " أن

(١) الاتساع في اللغة: ٨.
(٢) الكتاب: ٥٩٢/١.
(٣) البيان والتبين: ٣٦٥.
(٤) دلائل الاعجاز: ٤٧١.
(٥) الانزياح في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط١، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة: ٦٣.
(٦) جمهرة الأمثال: ٥٤/١.
(٧) أساس البلاغة: ٣٠٩/٢.

موضوع الاستحسان ومكان الاستظراف المشير للدفين من الارتياح والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى الشيئين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين "[١]، ومثال آخر في خطبة هاني بن قبيصة الشيباني يوم ذي قار " استقبال الموت خير من استدباره، والطعن في ثغر النحور أكرم منه في الإعجاز والظهور "[٢].

فنجدها تحمل من الخيال مما تجعل الأفكار تلاحق المعاني وتتسع على أن هناك واقعة يشوبها الحماس، فالفرار دنيّه لا يرضى بها شهم ولا مغوار، ومن يستقبل الموت خير ممن يستدبره، هنا تجعل سبل الإقناع أكبر حينما يوجز في فكرته فيقلبها المتلقي على وجوه، وهي الخيار بين الشهادة ببطولة أو الموت بعار الجبن فيصل إلى نتيجة حتمية بعد أن يعرف الموت حاصل لا محالة بحجة جديدة يلقيها الخطيب على أسماعهم هي: (يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بدٍ) بهذه الجمل القصيرة والألفاظ المنتقاة وسعت الفكرة، وصورت مشهداً ما بين الحياة والموت ليخلص في النهائي القتال لا الفرار والثبات لا التردد.

ثانياً: التوكيد

درسنا التوكيد في الفصل الأول وسنقوم بدراسته في هذا المبحث بما يخص المجاز الحجاجي، إذ يُعدّ أسلوب التوكيد من الأساليب الرئيسية والمتعددة الموجودة للمعنى، وقد أعطته الدراسات الموروثة عنواناً مستقلاً في المدونات، وقد عرفه الدكتور خليل أحمد عمايرة بأنه " باب من أبواب المعنى وليس من أبواب التركيب، فيؤدي هذا المعنى بأحد عناصر التحويل في الجملة التّوليّدية "[٣]، وقد روعي في هذا التعريف تعدد طرائق التوكيد بعيدة عن الحركة الأعرابية والعامل، وروعي فيه إرادة المعنى لأنه قد يحصل على صفةٍ عرفت بكثرة التداول، وابن عصفور ربط بين المعنى اللغوي والتوكيد حين قال " التوكيد لفظ يراد به المعنى في النفس، أو إزالة الشّك عن الحديث أو المحدث عنه، فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس، التوكيد اللفظي... والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث التأكيد بالمصدر، فإذا قلت: مات زيدٌ موتاً، ارتفع المجاز، والذي يراد به إزالة الشك عن المحدث عنه، التأكيد بالألفاظ التي يبوب لها في النحو "[٤].

(١) أسرار البلاغة: ١٠٢.
(٢) الأمالي: أبي علي القالي: ١٦٩/١.
(٣) في التحليل اللغوي: ٢١١.
(٤) المقرب: ٢٦١.

ومن أمثلة التوكيد مَنْ سَبّ سُبّ، فكفوا عن الشتم، وأحسنوا جواركم، يحسن ثناؤكم"[1]، و ترى الباحثة بما أن مناسبته هي خلاصة للتجارب، فقد ألحق النتيجة، وهي أن السب يولد السب كذلك، ثم ألحقها بالحجج المحصلة من الحياة الطويلة، فكل حجة استعملها المتكلم هي اختصار لجمل وأقوال كثيرة، فربما اختصر وأوجر ليقنع المتلقي من ناحية، ولا يدفعه إلى الملل، ويفسح له مجالاً في تأويل هذه الحجة لتأكيد من ناحية ليقنع نفسه بنفسه.

(١) الأغاني: ١١/٥٣-٥٤.

المبحث الثاني: حجاجية التشبيه

أولاً: ماهية التشبيه الحجاجي

ويأتي التشبيه بعد الاستعارة من حيث الإقناع وهو أيضاً وجه مجازي أخر للغة؛ لأن المستعار والمستعار منه في الاستعارة تكون لهما مطابقة تامة إلى درجة الغموض، إذ تحتفي الصفة المستعارة، أمّا التشبيه فهو ليس بالضرورة توفير شروط التطابق، وإنما هو يعد وجهاً من وجوه المقارنة بين المشبه والمشبه به، وفي التركيب المجازي هناك علاقة ترابطية هي علاقة القياس.

- ✓ فالمشبه هو المقيس
- ✓ والمشبه به هو المقيس عليه

" ويتم الترابط بينهما بعلاقة القياس أو المقارنة إذ يستدعي هذه العلاقة أن يشترك هذان الطرفان في الأقل في صفة واحدة، تكون في المقيس عليه أصلية وفي المقيس غير أصلية وذلك حتى يتسنى لهذه الصفة المنزوعة من هذا أو نسبها إلى ذلك أن تلعب أثر الدليل فيمنح للتركيب المجازي دوره الحجاجي"[١].

ويكاد يجمع اللغويين والبلاغيون على أن " التشبيه والتمثيل لفظان مترادفان، فهما متفقان معنى ولا فرق بينهما "[٢]، ولكن البعض يرى أن التشبيه أعّم من التمثيل، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً، والتشبيه من الفنون البلاغية التي تدل على سعة الخيال وجمال التصوير، ويزيد المعنى قوة ووضوحاً، وهو لهذه الصفات يعّد التشبيه تقنية إقناعية في كثير من المحاجات وله فاعلية في الإقناع.

يقول د. جمال عبد المجيد " أن التشبيه المضمر ابلغ وأوجز، أما كونه أبلغ فليجعل المشبه من غير إظهار أداة التشبيه، أما كونه أوجز لحذف أداة التشبيه منه" [٣]، لذا ترى الباحثة ان التشبيه المضمر هو الأقوى من التشبيه المظهر.

(١) الحجاج في شعر النقائض، مكي شامة، دراسة تحليلية: ١٢٠-١٣١.
(٢) يقول صاحب المثل السائر، وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً منفرداً، ولهذا باباً.
(٣) البلاغة والاتصال، جمال عبد المجيد: ١٧٠.

ثانياً: خصائص التشبيه الحجاجي

١- إبراز المعنى

بما أن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويفضي عليه جمالاً، لذا يجب أن يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بهما، وكذلك اختلاف في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه و أبلغ بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال التوافق [١].

وقد عالج الناثر الجاهلي النظرة الحسية والمعنوية للمعاني التي يراد ترسيخها في ذهن المتلقي، وبالتالي تؤدي إلى الإقناع إذ نجد التشبيه متناثراً في ثنايا نثرنا العربي الجاهلي منها ما هو تشبيه مفرد بمفرد، وتشبيه مركب بمركب، وتشبيه مفرد بمركب أو تشبيه مركب بمفرد، ومنها ما كان تشبيهاً حسياً وعقلياً، وتميزت تلك التشبيهات بإيحاءاتها النافذة وقدرتها على تجسد رؤية الناثر الخاصة لتجربته وقدرته على مزاوجة الواقع بالخيال وتشكيلها كصورة حية وضاءة.

إذا أمعنا النظر في النصوص النثرية نلحظ توظيف الناثر العربي لأغلب تشبيهاته من خلال مؤثرات واقعية، وتجارب شخصية تفصح عن إحساسه لتكون أقوى حجة وأشد إقناعاً.

ولكي يكون المعنى أو التشبيه بارزاً يجب أن يفسر لوجه الواحد أو يشبه لعدة تشبيهات حتى يتضح معناه ويجلي غموضه، ونجد ذلك في القطعة النثرية الرائعة الجمال وهي كتلة من التشبيهات رسمت بريشة مخصصة لهذه اللوحة وبأجمل الألوان مثل وصف عصام الكندية (أم إياس) بنت عوف بن محلم الشيباني، وهي لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كندة جمال أم إياس وكمالها أراد أن يتزوجها فدعا امرأة من كندة يقال له عصام ذات عقل ولسان وأدب وبيان فمضت حتى انتهت إليها، وكانت نتيجة ذلك هذه القطعة النثرية وهي وصف عصام للملك " رأيت جبهة كالمرآة الصقلية، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة إن أرسلته خلته السلاسل وأن مشطته قلت عناقيد كرمٍ جلالها الوابل، وحاجبين كأنهما خطا بقلمٍ أسودا بحممٍ قد تقوسا على عيني الظبية العبهرة التي لم يرعها قانص، ولم يذعرها بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر، ولم يمض به طول حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض محضٍ كالجمان،

(١) البلاغة والاتصال، جمال عبد المجيد: ١٧٠.

شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبسم، فيه ثنايا نمر ذوات أشرٍ، وأسنان تبدو كالدّرر، وريق كالخمر له نثر الروض بالسحر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة، وبيان يحركه عقل وافر وجواب حاضر تلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد، يجلبان ريقا كالشهد، إلى أن تقول " تحت ذلك بطن طوى كطي القباطي المذمجة، كالقراطيس المدرجة تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلوّ... يحمل ذلك فتحان كحذ واللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما، فأما ما سوى ذلك فتركت أو أصفه غير أنه أحسن ما وصفه وأصف بنظم أو نثر "(١).

وهذه القطعة النثرية الزاخرة بالتشبيه بكل أنواعه فإذا فصلت، وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لم يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة، ثم أن " التشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أضل ذلك بالمغزى من التشبيه "(٢).

فهذه المرأة البليغة الحكيمة استطاعت بلوحة التشبيه هذه أن تقنع هذا الملك بدقة وصفها روعة إذ أنها بدأت تصف هذه المرأة بتصوير مادي لغوي جميل، وأخذت تفصل أجزاء تلك المرأة جزءا جزءا ليكون الوصف إقناعاً بأسلوب مؤثر لاستمالة المتلقي (الملك) وزرع الثقة في قلبه ليقبل على المرغوب (أم إياس) بكل حيوية وأمان، فنقول: رأيت جبهة كالمرآة اللامعة الصقلية شبهت جبهة (أم إياس) بأنها كالمرآة اللامعة الواضحة، أي أنها جبهة تعكس الضوء لشدة بياضها.

وشعر حالك كاذناب الخيل المضفور أن أرسلته خلته السلاسل وأن مشطته قلت عناقيد كرم جلالها الوابل، وهذا الإلحاح على إيضاح المعنى وتفسير المعنى بأكثر من جملة هو من الممكن أن يكون زيادة في المعنى وإزالة غموض رأته في عيني المتلقي، إذ شبهت شعرها بأنه مسترسل كذناب الخيل، ثم زادت على ذلك لتزيد من القناعة أنها لها الخيار في تركها له حراً أو تمشيطه فكلاهما أما أن يشبه السلاسل بالاسترسال أو عناقيد عنب المتلازمة السوداء، ثم زادت على ذلك (جلالها الوابل) ومعناها تريد إيضاح معنى أكبر ما هو شدة اللمعان فيه من الوابل (المطر الكثيف) أي أن شعرها بدا أسود لامع.

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، احمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان: ١٤٢/١-١٤٣
(٢) الإيضاح: ٣٧٨.

ثم تعود لترسم لنا شكل العينين بأجمل وصف وتسجيل، وتزيد بإيضاح المعنى فتقول: وحاجبين كأنهما خطا بقلم، أو سودا بحمم قد تقوسا على عيني الظبية العبهرة التي لم يرعها قانص، وهنا قد شبهت الحاجبين بجمال رسمه وكأنهما قد خطا بقلم، أحست أن تشبيهها يعتريه شيء من البرود والابتزاز، فزاد عليه لتزيد التشبيه إقناعاً (أو سودا الحمم) شبهتهما بالحمم، وهي من جبال عرفت بسواد لونها، وهنا تريد أن توضح شدة سواد الحاجبين وزيادة في الإقناع لهذا الجمال الآخذ فقد تقوسا على عيني الظبية التي وصفتها بـ (العبهرة)، وهي رقيقة البشرة الناصعة البياض، فما أجمل أن يتصف سواد الحاجب بالعين الكبيرة وبياض البشرة، فقد جمعت هذه الكلمة أكثر من موضع.

هنا نجد وظائف التشبيه حين تفرعت وزادت الصفات المشبهة وقرنت حجتها بالاستدلال والمحاجة في سبيل الوصول إلى الحقائق، فساقت الخبر مقروناً بالحجة لتلقي قبولاً واستجابة من المخاطب متجنبةً في ذلك السرد المباشرة.

ونجدها تارة تتجه إلى التشبيه المفرد وآخر إلى المركب، ففي تشبيهها لأنف (أم إياس) تقول: (بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر، ولم يمض به طول)، بدأت وصفها بكلمة (بينهما) وهذا دليل على الانسجام مع ملامح الوجه، ثم وصفته محد السيف المصقول، حذفت وجه الشبه الاستقامة واللمعان وزاد على حجتها حجة أقوى، وهو لم ترَ خنس في أنفها أي انخفضت قصبة أنفها مع ارتفاع قليل في طرف الأنف، وهذه أحد صفات أنف الزنجي ووصفت صوله بالمعتدل.

وكذلك ترى هنا روابط التشبيهات وكأنها لا تريد أن تفارق المتلقي في الذهن من هذا الوجه حين تقول (شق فيه) فالضمير (الهاء) قصد هنا على الوجه، وكأنها تريد أن تربط الذهنية المتلقي بأنه ما زالت بتقاسيم ورسم روعة ذلك الوجه، وأثناء وصف جمال هذه المرأة قامت الواصفة بوضع عدد من التشبيهات المتسلسلة لتوضح المعنى الأساسي وإيصال فكرة الفم الجميل.

النتيجة: فم جميل

ح١: يشبه الخاتم.

ح٢: لذيذة المبتسم.

ح٣: فيه ثنايا غرّ ذات أشرٍ.

ح٤: ريق كالخمر.

ح: أسنان كالدرر.

فالنتيجة التي وصلت إليها كانت مدعمة بخمس حجج متتالية.

وهناك مثال آخر من الوصف نفسه بالحجج المتتالية المدعمة لنتيجة صريحة وهي: (وتحت ذلك بطن طوي القباطي المدمجة... كالقراطيس المدرجة، تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو، النتيجة: بطن ضامرة جميلة.

ح١: مطوية كطي القباطي [١].

ح٢: كسي عكنا [٢].

ح٣: كالقراطيس المدرجة [٣].

ح٤: كخيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو.

وهنا نجد " قدرة البليغ الحاذق أن يضفي على التشبيهات المبتذلة معارضا من نسجه الموشي أو أشعة خياله الفضفاض فينقلها من ذل الابتذال إلى عزّ الصيانة ومن صنعة القرب إلى شرف البعد " [٤].

إن هذا الوصف لمعالم الجمال الأنثوي الذي يشبه في دقته الرسم التشكيلي هو الذي سوف يحكم بعلاقة الواصف بالموصف، ومن ثم يضع الشروط الخطابية لإقامة أنموذج جمالي للمرأة، فالوصف أو النسج التشبيهي يبدأ من الأعلى إلى الأسفل، أي من المكشوف ومواطن الهوية (الوجه) إلى الجسد المجهول، مقابلاً بين الجسد والعناصر الطبيعية مؤكداً هذا الطابع الرمزي الذي اتسم بالمقارنة التشبيهية، ويستحضر الجسد الغائب عن النظر عبر نظائره الطبيعية المماثلة في ذهنية المتلقي والتي تحظى بمرجعية في وعيه أن المرأة الواصفة تجعل هنا من الجسد الموصوف صورة ذهنية قابلة للتجلي اللغوي غير أن دقة الوصف قد لا تكفي لإيضاح المعنى مجرد الرؤية والتمحيص، فمثلاً عند تشبيهها لمذاق

(١) القباطي: هي ثياب كتان بيض رقاق، لسان العرب، مادة قبط: ٥٤٦/١٣.
(٢) العكن: ما أنطوى وتثنى من لحم البطن سمنا،
(٣) المدرجة: المطوية: لسان العرب، مادة درج: ٤٥٥.
(٤) فن التشبيه، علي الجندي: ١٧٩.

رضاب المرأة وعظامها أو عرقها، وكأنّ العين الواصفة تأخذ موقع المتلقي وتوقعاته وتستبدلها بعين رجولية، محاولة بحجج شتى إيضاح المعنى وإقناع المتلقي بذلك.

وكذلك في أخبار بني أسد أنّ حِجراً أبو امرئ القيس رقَّ لهم " فبعث في إثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة، تكهّن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة فقال لبني أسد: يا عبادي، قالوا: لبيك ربنا، قال: من الملك الأصهب، الغلّاب غير المغلّب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصَّخب، هذا دمه ينثعب، وهذا غداً أول من يُسلب، قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفسٌ جاشية، لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية، فركبوا كل صعب وذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قبّته وقتلوه، وكثيراً ما كانوا ينذرون قبائلهم بوقوع غزو غير منتظر، كما كانوا كثيراً ما يفسرون رُؤاهم وأحلامهم "(١).

ونجد في الوصية نفسها حكمة أخرى، وهي الكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم، فإذا تجمعت فهي أسد مجرب، أو نار تلهب، فقد شبه الكلمة كالنجم المخبوء، ثم حاول أن يبين الكلمة حين خروجها يجب أن يحذر قائلها، فقد شبهها تارة (بالأسد المجرب) وهو الأسد الهائج، والزيادة لإبراز المعنى تشبيهاً آخرا وهو نار تلهب، نلاحظ أن التشبيهات واضحة وبسيطة كما أن المشبه به استمد من الأشياء المادية الموجودة في الطبيعة مما يؤدي إلى عدم تكلف المتلقي عناء كبيرا فهما وتأويلا، فالهدف الأساس هو إيضاح بيان حال المتلقي وبيان مكان إلحاقه بالمشبه به لأن التشبيه في الحقيقة هو دعوى تحتاج إلى دليل أو برهان ويكون المشبه به هو الدليل مما ينتج عنه استمالة المتلقي وإقناعه بهذه الدعوى.

٢ – المغـــالاة

المغالاة في اللغة من " غالى في يُغالي، غالِ، مغالاةً، فهو مُغالٍ، والمفعول مُغالى فيه. غالى في حزنه تغالى فيه؛ بالغ فيه وتجاوز الحد: لا تصدق كل ما يقول صاحبك فإنه يغالي أحياناً، غالى في الاعتذار، استعمل قوته "(٢).

(١) جمهرة خطب العرب، احمد زكي: ٢٣٠/١.
(٢) جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسين الأزدي المصري ابن دريد: مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٣٥١هـ، مادة (غ ل و).

ولا يخرج التعريف البلاغي للغلو عن المعنى اللغوي " الغلو تجاوز حد المعنى إلى غاية لا يكاد يبلغها "[١]، وهنا ممكن القول إن الإفراط والغلو في البلاغة العربية مترادفين.

أمّا جزئية البحث عن التشبيه وربطه باللغو فقد أوضحه المبرد حين قال " ضمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالأسد، وللشريف سما حتى بلغ النجم " فهذه تشبيهات متداولة لا أثر للإفراط فيها لكنه يبدو حصراً "[٢].

أما الغلو في كتاب الصناعتين هو الأقرب إلى المعنى المراد في البحث الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها [٣]، وفي سبيل الإقناع يمكن للناثر أن يؤثر المستحيل على الممكن ويجب أن يحسن الواقع، والعقل قد يقبل أحياناً اللامعقول والتخييل هو الذي يحدث التغيير في العمل الأدبي لإقناع السامع أو لتحسين الواقع، وقد حصر الدكتور بدوي طبانة " شرطين ليتحقق ذلك:

١- السمو في التعبير، أي ألا تكون الألفاظ حقيرة مبتذلة لأنها تخيل في المعنى أمراً زائداً أو تخيل تخيلاً يسيراً أو تخيلاً رديئاً أو يكون التركيب تركيباً فاسداً.

٢- المبالغة المطلوبة في الأدب والفنون، فقد تكون الألفاظ المستولية لا تجاوز القدر الذي يحقق المطلوب في الإقناع، ولا تستطيع أن تخيل فيه معنى أعظم مما يحتمل المعنى المقصود تبينه "[٤].

والمغالاة هي أما أن تكون وسيلة تحديد بعد أن يسود المعنى وصياغة التكرار لتمثيل المعنى تأكيده، وقد أضاف جابر عصفور أسبابا أخرى للأسباب التي ذكرناها وهي: " تغيير وقع المعاني والأفكار في نفس المتلقي، وعندما تصبح الصورة الفنية وسيلة للتحسين والتقبيح، فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه " [٥]، إذ عدّ الإبانة والوضوح أولى درجات المغالاة، ففيها يتم إبراز ما خفي في صورة أقوى، وأيضاً للتحسين والتقبيح، وفي هذا الباب نجد كثيرا من الأمثال العربية المكثفة المعنى فيها من المغالاة فمثلاً:

---

(١) الصناعيين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري تح: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيد، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م: ٣٥٧.
(٢) الكامل، المبرد: ١٢٨/٣.
(٣) الصناعتين: ٣٥٧.
(٤) لنقد الأدبي عند اليونان، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٣٨٧ه، ١٩٦٧م: ٢٠٤.
(٥) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٥٣.

- أشام من البؤس [١] – أملم من الأخف [٢]
- أخلف من نار الحباب [٣] – أحلم من سنان [٤]
- أرسح من ضفدع [٥]

وقد جاءت جميع هذه الأمثال التي استعملت صيغة المفاضلة أفعل [٦]، وهذه الصيغة إذا كانت للتفضيل تكون" للمشاركة والزيادة ومعنى المشاركة: أي اشترك شيآن في صفة من الصفات كالكرم والشجاعة والعلم ونحو، ومعنى الزيادة: أي زيادة أحدهما على الآخر في هذه الصفة "[٧].

والمبالغ فيه في هذا الاستعمال أن هذه السعة الدلالية في اسم التفضيل " طوعية ليدل على تجسيد صفة في شيء ما بتفضيله على ما عُرف أو شهر، فيقال: أبرد من الثلج، وأقسى من الحجارة "[٨]، وكل هذه الأفعال فيها من المغالاة لأن يأتي العابرة مطابقاً للأصل.

ونقصد في الصورة الدلالية السابقة ان المفضول عليه قد سبق معرفة الناس به، وحكموا له بالزيادة فيها، أما المفضل فقد اشتهر عنه بما يشبه ذلك في جنسه، فحينما نقول: أشام من البؤس، لا يقصد زيادة (الشأم) عند المشبه، وإنما قصدنا التشبيه، بما يفيد حصول الأول لما للثاني من فضل.

أما إذا كان الأول من غير جنس الثاني وقريباً منه في الصفة جداً وهذا يكون على سبيل المبالغة المحضة نحو:

– أخلف من نار الحباب[٩] – أحمق من الضبعِ[١٠]

– أرسح من ضفدع.

(١) المجمع: ٣٧٤/١.
(٢) المصدر نفسه: ٢٥٣/١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٦٢/٢.
(٤) جمهرة الأمثال: ٤٠٧/١-٤٠٨.
(٥) المصدر نفسه: ٤٠٧/١-٤٠٨.
(٦) احتلت صيغة (افعل) في الأمثال كماً نسبياً كبيراً، بدلالة انه أفرد لها امثال الميداني باباً خاصاً بعد كل حرف وعنوان، هذا الباب بقوله: ما جاء على (افعل).
(٧) تعجيل الندى بشرح قطر الندي: ٢٦٣.
(٨) المغني الجديد في علم الصرف: ٢٨٤.
(٩) ويقال أيضاً ((من نار أبي حباحب)) و ((اخلف من وقود ابي حباحب))، ومن حديثه، في ذكره ابن الكلبي، أنه كان رجلاً من العرب في سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نار بليل مخافة ان يقتبس منها فان أوقدها ثم ابعدها مستضيء أطفاءها فغربت العرب بناره في الخلف، وضربوا به في البخل في المثل، ينظر: ٢٥٣/١.
(١٠) المجمع: ٢٢٥/١، المستقصي: ٧٥/١، الجمهرة: ٣٩٢/١.

فالمعلوم أن المفضل عليه في الأمثلة السابقة فريدا في صفته، فحينما يفضل مفضلاً أقل في صفته، ومن غير جنسه يكون جارياً على سبيل المبالغة في التشبيه، فلا يمكن أن خفة لحم وركي امرأة التي يضرب عليها هذا المثل– أشد لين من وركي الضفدع مثلاً.

أو أشده بخل أحدهم كبخل نار الحباب، أو حتى " أشد حماقة من الضبع "[١] لكن المفاضلة أعطتها معاني تزيد على ما هو معها بقدر ما يترتب عليها من فعل أباح لها التفضيل، وحتى يأخذ بفكر المتلقي للمبالغة لإقناعه بما وجد لما شبه به.

أما قول أبو طالب بن عبد المطلب في زواج الرسول (ص) بالسيدة خديجة: فإن المال ظل زائل، وعارية مستربعة [٢]، فقد كان هناك مغالاة في التشبيه إذ شبه المال بالظل الزائل، وكأنه أي المال أيضاً عارية مستربعة والعارية المستربعة ما تعطيه غيرك على شرط أن يعيده لك، استخدم هنا التشبيه البليغ بعد أن حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وهو من التشبيهات المؤكدة، وهذا تشبيه فيه غاية عظيمة ومقصد جليل يبتغيه المخاطب وزاد من تأثير الفكرة وإقناعها في النفوس؛ لأنه نقلها من الفكرة إلى الفطرة ، ومن الغموض إلى البديهة، وهذا شأنه يزيل ما فيها من شكوك والابتعاد عن الطمع مضلة النفس بالمحسوس أسبق من صلتها بالمعقولات.

أمّا في وصية أكثم بن صفي التميمي إلى طيء فقد قال " الحسد داء ليس له دواء "[٣]، فهنا تشبيه بليغ بعد أن حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وبقي الركنان الأساسيان فقط وهما المشبه والمشبه به، إذ برز الوصي خلال دعوى للمتلقي بضرورة ترك الحسد والابتعاد عنه وتظهر هنا خاصية الإقناع بالاستدلال والمحاجة في سبيل الوصول إلى الحقائق، فقد ساق الخبر مقروناً بالحجة، وهي أن كل الأمراض ممكن علاجها ما عدا المرض ليلقى قبولاً واستجابة من المخاطبين فتجنبنا الرد المباشر.

(١) تزعم العرب أن ابا الضباع وجد تودية في غدير فجعل يشرب الماء ويقول: حبنا طعم اللبن، ويقال بل كان ينادي ((واصبوحاه)) حتى انشق بطنه ومات والتودية: العود يشد على رأس الخلف لئلا يرضع الفيصل ومن حمقها ايضاً ان يدخل الصائد عليها وجارها فيقول لها: خامري ام عامر فلا تتحرك حتى يشدها المجمع: ٢٢٥/١.
(٢) صبح الاعشى: ٢١٣/١
(٣) العقد الفريد: ٢٧٢/١.

والتشبيه المبالغ به أيضاً قوله عن الخيل " إنها حصون العرب "[1]، فقد شبه الخيل والمشبه به (الحصون) والحصن بالسور العالي، فقد أتى محذوف الوجه لإبقاء الباب مفتوحاً أمام التفسيرات والتأويلات لإيجاد وجه الشبه، وهذا الاستدلال تمّ بشيء معروف وبديهي لا ينكره عاقلهم وجاهلهم، ولا ينكره أي أحد من الناس غير شيء معروف بهذه الصفات بل إن العقول لا تصون، وأن الخيول لا تكون بهذه الصفات.

وترى الباحثة قيمة التشبيه لا ترجح فقط للعلاقة بين طرفيه، ولا يؤتى به ليكون زينة زخرفية والأصلية لفظية، وإنما ليزيد المعنى وضوحاً، فيقتنع به المتلقي للتعبير عن نفسه وتصويره لما يدور في خاطره وعقله وتقريب للمسافات بين ما هو محسوس وما هو ملموس، وهذا ما جاء به الدرس الحجاجي المعاصر؛ إذ جعل قيمة التشبيه في حجاجيته وإقناعيته.

(١) المصدر نفسه: ٢٧٢/١.

المبحث الثالث: الاستعارة

احتفت سائر العلوم اللغوية بالاستعارة بوصفها ذات أثر عظيم في تقوية الخطاب وإمداده بالتفرع الذي يمكّن المتلقي من المشاركة في الخطاب، و الاستعارة قضية حجاجية ضاربة في التاريخ، ويمكن التأصل لها مع بادية الفكر الإنساني، وإبراز دليل أرسطو، إذ تناول الاستعارة في موضعين في كتاب الخطابة، فقد تحدث عنها في باب الشاهد الذي فرّعه إلى ثلاثة أجناس وهي الشاهد الواقعي؛ والشاهد الصناعي المحتمل؛ والشاهد الخرافي وفي هذا الموضع يعد الاستعارة مقوماً حجاجياً، كما تحدث عنها في معرض كلامه عن الأساليب ليعدّها محسّناً لفظياً "[١].

وعدّها أيضاً أساس العملية التخيلية[٢]، أمّا عن الخصائص الأخرى فهي ترسّخ النظرة الفنية للاستعارة من خلال حصرها على اللفظ دون المعنى، وجعلها زخرفاً لفظياً لا تملك قوة تأثيرية ولا تؤدي وظيفة معرفية، وهذا من أعظم المآخذ على تفسير (أرسطو) للاستعارة "[٣]. أمّا في ربطه بين الاستعارة والتشبيه فهو يجر اللوم عليه، وذلك بجعله الاستعارة تشبيهاً غابت فيه الأداة، إذ لا ينكر عاقل ما بين الاستعارة والتشبيه من البون والاختلاف، فالاستعارة تحوى من الخيال وتملك من الجمع بين المتناقضات ما لا يستطيعه التشبيه، ففي الخطاب الاستعاري تذوب الفوارق بين المستعار له والمستعار منه في الخصائص والصفات؛ وهذا التلاحم المرسوم من طرف المرسل يجعله حوار مع المتلقي إذ يسعى إلى إنشاء الروابط بين المتناقضات وإزالة الفوارق بين المتباعدات، وهذا ما جعلها نقطة محيرة في تاريخ الفكر الإنساني[٤].

أن الاستعارة الحجاجية عند أرسطو هي التي تهدف إلى إحداث تغير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، ويشترط لها لكي تؤدي هذه الوظيفة أن تكون:

- بسيطة قريبة واضحة، وأن تكون غير متكلفة؛ مألوفة وبعيدة عن الغرابة.
- ذات جودة وحسن وتميز حتى تبتعد عن الابتذال المفضي إلى الجمهورية.

(١) ينظر: مدخل إلى الحجاج، محمد الوالي: ٣١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦.
(٣) اللغة والخطاب، عمر أوكان، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠١م: ١٢٤-١٣١.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٣-١٣٤.

– قليلة، لأن الإفراط فيها يخرجها من الحجاجية إلى الشعرية، ويخرج القول من الخطابة إلى الشعر[١].

أولاً: حجاجية الاستعارة

يعد عبد القاهر الجرجاني رائد علوم البلاغة العربية من خلال أفكاره ونظرته الدقيقة لمختلف مفاهيم البلاغة، ومن أبرز هذه المفاهيم (الاستعارة)، ويعد أول من تفطن إلى الوظيفة الحجاجية للاستعارة، وهذا راجع إلى تأثره بأساليب الحجاج المتعارف عليه، كالرد على الأقوال والآراء والادّعاء والإثبات والمعارضة والدليل والشاهد والاستدلال وغيرها، وهذا واضح من خلال كتاباته التي يرسلها على شكل قضايا مدّعمة بالدليل والبرهان.

إنّ نثر ما قبل الإسلام ممثلاً في الحِكم والأمثال مجهول القائل في بعض الأحيان، ولذلك كان لا يفهم المعاني المقصودة المرادة منها إلا بالرجوع إلى كتب الأمثال مثلاً في قولهم (بعين ما أرينّك) فهو يعني " معناه: أسرع، وهو معنى لا يتبادر إلى السامع من ظاهر اللفظ، ومن ثم علّق عليه أبو هلال العسكري بقوله "هو من الكلام الذي عُرف معناه سماعاً من غير أن يدل عليه لفظه"[٢]. ولا بد أن نلاحظ أيضاً أنّ الأمثال لا تتغير، فتقول: " الصيف ضيِّعتِ اللبن "[٣] بكسر التاء إذا خاطبت الواحد والواحدة والاثنين والاثنتين والجماعة، ومن ثم كانوا يستجيزون في المثل مخالفة النحو وقواعد التصريف والجمع، ففي أمثالهم: " أعط القوسَ باريها " بتسكين الياء في باريها والقياس فتحها، وفيها أيضاً: " أجناؤها أبناؤها " جمع جان وبان، والقياس: " جنُاتها بُناتها " لأن فاعلاً لا يجمع على أفعال"[٤].

وقد عدّ الجرجاني حجاجية الاستعارة قائمة على مفهوم الادّعاء، فالاستعارة ليست حركة في الألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات؛ وهي ليست بديعاً بل هي طريقة من طرق الإثبات التي تقوم على الادّعاء [٥].

(١) اللغة والخطاب: ١٣٤، ١٣٨.
(٢) جمهرة الأمثال، لعسكري على هامش مجمع الأمثال الميداني: ١٦٨/١.
(٣) يضرب هذا المثل لمن يطلب حاجته بعد فوت أوانها.
(٤) العصر الجاهلي شوقي ضيف: ٤٠٨.
(٥) ينظر: الاستعارة عند المتكلمين، أحمد أبو زيد، مجلة المناظرة، ع٤، ١٩٩١م: ٤٦، ٤٧.

وهذا التصور الجديد للاستعارة ظهر معارضاً للتصور اللفظي البديعي للاستعارة، وحدة الاستعارة لدى البلاغيين هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين اللفظ والمعنى المنقول والمعنى المستعمل منه مع قرينة صارمة عن إرادة المعنى الأصلي [١].

وكذلك قد فرق الجرجاني بين التشبيه الصريح والاستعارة حين أوعز الفرق بين الاثنين لمبدأ نفسي وهو " مبدأ التوهم "[٢]، إذ يصل التشبيه إلى حذف المؤشرات وحذف أداة التشبيه وحذف المشبه به؛ فإنه يؤدي إلى التوهم انتساب المشبه إلى جنس المشبه به فتكون هنا الاستعارة، وقد أسدّى رأيه هذا بالمثال: (رأيتُ أسداً) ويقصد (رأيتُ رجلاً)؛ وذاك أنّا لا نجري اسم الأسد على المشبه بالأسد حتى ندّعي له الأسدية، وحتى نوهم أنه حين أعطاك من البسالة والبأس والبطش ما نجده عند الأسد صار كأنه واحد من الأسود، وقد استبدل بصورته صورة الأسد [٣].

ولئن استمر موقف بعض البلاغيين في العموم بنوع من التذبذب بين الانتصار لجانب الإقناع العقلي، والتركيز على جانب التأثير الوجداني، فإنهم يجعلون أفضلية الاستعارة في تأكيد المعنى وتشديده والمبالغة فيهن، وهذا التأكيد ذو طابع حجاجي إقناعي على الرغم من إمكانية تداخله مع التأثير الوجداني، ولكن الرازي ينحو في تعليله لمزية الاستعارة منحى حجاجياً إقناعياً خالصاً، حين عد التشبيه مكونا من مقدمتين كل واحدة منهما مشكوك فيها، وأمّا الاستعارة فإن مقدمتها الثانية يقينية الشك كما كان أقل في المقدمات المنتجة، كانت الدعوى من القبول أقرب [٤]، وهذا انحياز صريح إلى الجانب الحجاج الإقناعي الكامن في الاستعارة.

ومن يقرأ الفقرات القصيرة أو المحاورات المختصرة التي رواها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) يشعر كأنّهم يهدفون إلى التجويد في الكلام بما يحمل من صياغة وسجع وكذلك بما ينضح من استعارات وأخيلة، إذ كانوا يهتمون برونق اللفظ وقوته ونصاعته اللغويّة وكذلك بوضوح الحجة ومثال على ذلك

(١) ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني جلال الدين، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، مصر: ٣٢٩؛ وينظر: الايضاح في العلوم والبلاغة، الخطيب القزويني جلال الدين، تحقيق: لجنة من استاذة كلية التربية بالازهر: ١٧٨؛ وينظر: مفتاح العلوم، سراج الدين السكاكي، تحقيق: اكرم عثمان يوسف، بغداد مطبعة الرسالة، ط ١، ١٩٨٢: ١٧٥.

(٢) البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري: ٣٤١.

(٣) ينظر: اسرار البلاغة: الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، (د.ت): ٢٠٣.

(٤) ينظر: أسرار البلاغة، الجرجاني، تح: محمد رشيد رضا، (د. ت.): ٢٤.

قولهم: فلان " يفل المحزَّ ويصيب المفصل ويضع الهناء وواضع النقب "[١]، وهذه العبارة مستعارة مما يصنع الحاذق حينَ يداهم الجرب إبله إذ يضع الدواء في موضعه الدقيق، وهذا يضاهي الخطيب الموجز في خطابته وبيانه إذ استعارَ صفة إصابة الهدف في موضعه الصحيح عبر محاججة التعبير، ومن ثم استعملوا " مدرة للشجاع والخطيب المفلق في الوقت نفسه، وأصل معناه المرامى فاستعيرت من رامي السهام لرامي الكلام الذي يبلغ به ما يريد من إصابة خصمه والنكاية به "[٢]، إذ يقول زُهير بن سُلمى في ديوانه:

ومـــــدره حـــــرب حميـــها يتقـى بـــه شـــــديد الزِّجـــام باللســـان وبالـــيد[٣]

وما تحدثنا فيه هو استعارة من إذ الوظيفة التزينية، أمّا من إذ وظيفتها الحجاجية إذ رأي كل من جورج لايكوف ومارك جونسون أن الاستعارة لم تعد تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمراً مرتبطاً بالخيال الشعري والزخرف البلاغي، وإنما أصبحت ذات بُعد حجاجي لها مقومات حجاجية حاضرة في كل مجالات حياتنا، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها [٤].

ومن هنا فإنّ الاستعارة تمتلك قوة حجاجيّة، وهي وسيلة لغوية قوية تيسر الأهداف الحجاجية للمتكلم وتستخدم بشكل واسع من أجل هذه الغاية، ومن خصائص الاستعارة الحجاجيّة كونها لا تأتي في سياق الإبطال، والتعارض الحجاجي كما هو الشأن بالنسبة للأقوال العادية، فالقول الحجاجي لا يفترض أن يليه رابط حجاجي يعارض قوته الحجاجية، إذ لا يمكن بحال تصور ورود سياق الأبطال والتعارض الحجاجي بعد قول استعاري، و بالعودة مرة أخرى لتراثنا العربي لننظر نظرة ثانية للاستعارة نجد أن " عبد القاهر الجرجاني أول من استخدم أدوات حجاجية لوصف الاستعارة "[٥].

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ١٠٧/١، الهناء: القطران، النقب: أول ما يبدو من الحرب في الإبل.
(٢) العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٤١٩.
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، طبعة دار الكتب، القاهرة: ٢٢٣.
(٤) الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف ومارك جونسون: تر: عبد المجيد جحفة: ٢١.
(٥) حجاجية المجاز والاستعارة، حسن المودن، (مقال) ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي: ١٦٣/٣، الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحجاج، طه عبد الرحمن، مجلة المناظرة، ع٤، السنة ٢، ١٩٩١م: ٧٠.

وهي مجاز لغوي علاقتها " المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي"[١]. وقد عدّ بيرلمان في أبحاثه حول الاستعارة إذ عدّها مقوماً حجاجياً إقناعياً، إذ حاول أن يردم الهوة بين الخطاب الحجاجي النفعي والوظيفي والأدب، فالاستعارة متى نجحت في استمالة المخاطب لم تعتبر زخرفة، وإنما مقوماً حجاجياً.

وقد سبق طه عبد الرحمن غيره في الدراسة للنظرية الحجاجيّة للاستعارة، وأقرّ عبد الرحمن أن الاهتمام بالحجاج قد تجدد بتجدد الدراسات الخطابية، وقد بني فكرة الاستعارة على أسس نظرية عبد القاهر الجرجاني بأطر فلسفية، وقد ركز على خاصية الالتباس حينما تحدث عن المجاز ثم الاستعارة، لأن خاصية الالتباس في الخطاب الطبيعي إنما تتجلى في المجاز الجامع بين معنيين متقابلين هما العبارة والإشارة، فالمعنى الأول حقيقي والمعنى الثاني قيمي أو مجازي، وهذا الجمع هو عين الالتباس المطلوب في الحجاج، ومن هنا يظهر أن المجاز هو الأصل في الحجاج، وقد ركز الدكتور صلاح فضل في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) على أن " الاستعارة ليست وجهاً بلاغياً مقصوراً على الخيال والزخارف اللفظية، وإنما هي عنصر "[٢] دخل بقوة في خطاباتنا اليومية " إذ أن فعل الاستعارة بطبيعة تكويننا الثقافي، ومعرفتنا بالعالم وقرب المتكلم والمتلقي من مورد الاستعارة لتتوحد الصورة بينهما، وتتعلّق هذه المعرفة سواء الوراثي والمكتسب [٣].

وفيما قبل الإسلام هناك نساء كاهنات يهبن أنفسهن للآلهة والمعبد ومن أشهرها زبراء كاهنة بني رئام ويروى أنها أنذرتهم غارة عليهم فقالت: " واللوح الخافق والليل الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدو ختلاً، ويحرق أنياب عصلاً، وإن صخر الطود لينذر ثكلاً، لا تجدون عنه معلاً "[٤]، هنا نرى تجلّى حجاجية الاستعارة بوضوح في اللوح الخافق أولاً إذ حذف المشبه به وجاء بشيء من لوزمه ألا وهو القلب الذي يخفق، وكذلك الحال في الطارق إذ حذف المشبه به وجاء

(١) دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، أيلول/ ١٩٩٢م: ٥٩.
(٢) اللسان والميزان، طه عبد الرحمن: ٢٣٢.
(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل: ١٥١.
(٤) الأمالي: ١٢٦/١، اللوح هنا: الرياح، الوادق: الممطر، يأدو: يختل، يحرق أنياباً غصلاً: كناية عن الغضب والشر، عصلاً: معوجّة، الطود: الجبل، المعل: المنشأ.

بشيء من لوازمه ألا وهو الإنسان الذي يطرق، وكذلك حذف المشبه به في كلمة ليأدو ختلاً إذ العقل هو الذي يختل، ولكنه استعار هذه الصفة منها وأسندها إلى الشجر وفي جملة يحرق أنياباُ عُصلاً هي كناية عن الغضب والشر في المقام الأول، واستعارة حجاجية إذ حذف المشبه به وهو الأسد وجاء بشيء من لوازمه وهي الأنياب المعوجّة، وفي جملة لينذر ثكلاُ جاء بشيءٍ من لوازم الإنسان وهو التحديد والإنذار إذ أسندها للجبل.

ثانياً: خصائص حجاجية الاستعارة

قد ركزت على الخصائص المتعددة " للاستعارة من حيث البنية والسياق والدلالة منحتها أدواراً حجاجية"[١] وهي:

١- تأكيد المعنى

أحد خصائص الاستعارة هي تأكيد المعنى وبيانه منها قائمة على تناسي أحد طرفي التشبيه والمشبه به؛ وكذلك ادعاء أن المشبه صار فرداً من أفراد المشبه به، فلو قلنا: (رأيتُ بدراً) أو قلنا: (أضاء محمد الأرض شرقاً وغربا)، أشد تأكيد في الدلالة من قولنا: (محمد كالبدر)، وهو التشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة، حتى انصهرت صفات (محمد) بالبدر فصار بدراً تأكيد له، ومن أمثلة على ذلك في نثرنا العربي هو في " وصية ذو الأصبع العدواني "[٢] لابنه أسيد وهي ساعة احتضارهِ، قال " يا بني إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني. ألِن جانبك، لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وأبسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم... فإن لك أجلاً لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سؤددك "[٣].

ولاشك أنّ الخطيب أو الناثر يؤثر في القلوب والأرواح، وذلك عبر أعذب الألفاظ وأشوقها وأقربها للقلوب، وهناك من الوصايا والخطب قد بقيت حيّة حتى زمننا هذا من حلاوة التصوير، وذلك كما في

(١) الأمالي: ١٥٢/١.
(٢) الأغاني، وهو حرثان بن الحارث بن عدوان، شاعر فارس، له غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة سمي (ذا الأصبع) لأن حية نهشته بأصبعه فتشنجت، وهو من المعمرين.
(٣) الأغاني: ٩٤/٣، ٩٥.

خطبة أكثم بن صيفي إذ هناك استعارة في النص وهي (فإن لك أجلاً لا يعدوك) هذه الاستعارة المكنية شبه فيها الأجل بالكائن الحي الراكض، وقام بتوكيد لهذا الأجل، وقد وظف توقعات متلاحقة متتابعة هي (احم حريمك، واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك) كل هذا لأنك ستنتهي النهاية الحتمية لكل بشر، فهذا لم يذكرها بصورتها المباشرة وإنما شبه (الأجل) بشيء مادي يمتد وحذف المشبه به وجاء بأحد لوازمه وهو (يعدّو)؛ وهي للكائن الحي لما فيه من سرعة العمر، وفي هذا اللفظ قوة تعمل على تحريك النفس، فالاستعارة هنا عملت على تكثيف القول؛ لأن الأب لم يشرح ولم يفصل، بل ترك المتلقي يمعن التفكير ويقلب الأمر على جميع الأوجه حتى يصل إلى ما وصل إلى نتيجة معينة أكثر تأثيراً من تلك الجاهزة محاولاً إقناع المتلقي بصدق شعوره، وهول حالته عند بلوغ هذه المرحلة، وهذا الذي نوده من الاستعارة، فلو ذكر وصيته له دون استعارة فظهر ناصحاً عادياً، أما في هذه الحالة فهو يقنع ولده بأنه واصل لا محالة كيف لا وهو يظهر العجز أمام الموت، ثم يفتح مجال التأويلات لتأكيد المعنى في الاستعارة أعطاها مزّية لتفرع الذي يكسبها طاقة حجاجية، فهنا عندما تنهمر هذه الدلالات على ولده لا يجد إلا أن يستسلم بما دعاه عليه والده الذي خرج بهذه التجارب والخبرات.

ومثالاً أخرا عن تأكيد المعنى في الاستعارة في خطبة مرثد الخير في شأن إصلاح البين بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوّب، حين تنازعا الشرف، حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حيهما شر، فيتفانى جذماهما [1]، فبعث إليهما مرثد فأحضرهما ليصلح بينهما، وخطب فيهما وأعطى فرصته لكل منهما ليلقي كلمته ثم قام فقال " لا تنشطوا عقل الشوارد، ولا تلحقوا العوان القواعد، ولا تورثوا نيران الأحقاد، ففيها المتلفة المستأصلة والجائحة والأليفة، وعفو بالعلم، أبلاد الكلم، وأنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأقصد، فإن الحرب تقبل بزبرج الغرور، وتدبر بالويل والثبور "[2].

إنّ القول الاستعاري في هذه الخطبة انتشر بطريقة مكثفة، مما يدل على أن (مَرْثَد الخيرِ) يسعى إلى ترك المجال مفتوحاً أمام التأويلات المختلفة للسامع حتى يشرك سامعيه فيما يذهب إليه، وبالتالي يؤثر فيهم وهو ما نلمسه في قوله (فإن الحرب تُقبل بزبرج الغرور، وتدبر بالويل والثبور)، واستعمل الاستعارة

(١) الجذم: الأصل وكذلك الجذر.
(٢) الأمالي: ٩٣/١.

في قوله عن (الحرب) وشبهها بالكائن الحي وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، وأفصح عن أحد لوازمه (تقبل، وتدبر)، أما قوله (تلقح العوان) فهي استعارة تصريحية إذ شبه تكرار القتال آخذاً بالثأر، والمرة بعد المرة بالنياق تلقح المرة بعد المرة فتلد لكم، وقد صرح بالمشبه به وهي العوان القواعد، ناهيك عن الأبيات التي ذكرت أثناء الخطبة المليئة بالاستعارة، ولم تذكر منها الباحثة من شعرها حتى تكون الدراسة نثرية خالصة.

إنّ الخطيب وظّف الاستعارة في خطبته بشكل ملفت للنظر، فإلى جانب البُعد الجمالي الذي أضافته على الخطبة عملت على تأكيد المعنى وتمكينه لبيان ما للحرب من نتائج وخيمة وآثار أليمة، ويصف من خلال خطبته عواقب الخلاف وما يصيب الناس من تشتيت وإتلاف، محذراً الجميع من الخلاف وما تخلفه من القحط والمرض والويل والثبور، وزرع الخوف والفقر وتخلف الثكالى والدمار فعظم النتيجة بعظم السبب مما يجعلهم يقبلون النصح ويستمعون للقول ويتأثرون بالموعظة ويتوبون إلى السلم.

لقد أراد من وراء استعماله للاستعارة تجسدا معنويا، وإعطائه أبعادا مادية محسوسة حتى ليمّكن رؤية أمام ناظريه؛ فهو يجسد الفكرة الذهنية ليسهل على العقول إدراكها بمساعدة الشعور والخيال " فالصورة إذن لا تخاطب العقل، وإنما المشاعر والخيال ومحاولة إشغال الشعور بإعادة تركيب الصورة التي تثيرها لديه أنها تستخدم في الغالب للتذكير بالمشاعر المقترنة عن المتلقي "[١].

أنّ هذا يؤدي إلى أن تحيل الفكرة على الشعور الجمالي والعقلي والنفسي والانفعالي، فهي تجمع بين قطبين حجاجين أساسين هما العقل والنفس، فإقناع العقل ودغدغة الفؤاد أدعى إلى الإقناع، وهذا الذي ترتجيه النظرية الحجاجية من الاستعارة ملء الفراغ الذي تركه الخطيب وقول ما سكت عنه، واستخراج الدلالات التي لمّح إليها ليعير المتلقي جزءا هاماً في عملية التخاطب.

٢ – المبالغــة

المبالغة في اللغة " تعني التمكن من الوصول إلى الغاية أو بلوغ الهدف "[٢].

(١) المناظرة في الأدب الإسلامي، حسني الصديق: ٢٩٥.
(٢) تاج العروس، الزبيدي، م٦، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، مادة (بلغ).

إن عناية المتكلم بتوصيل الفكرة كاملة غير منقوصة من جانب، وميل العربي إلى تثبيت الفكرة من جانب أخر، والبالغة في ذلك بما لا يدع مجالاً للشك أو النقص فيها، ولعل هذا الاهتمام يردّ إلى أسباب نفسية تملأ عليه أن يبالغ في توصيل الفكرة، وأن يحشد أصواتاً خاصة، وأساليبا مميزة كي يقنع السامع بما يقول من أفكار ويكشف الستار عن مدى رسوخ الفكرة وعظمها في ذهن المتكلم نفسه، فهو يكشف الستار عن نفسيته حين يُعلن عن مدى حفاوته واهتمامه بالقضية التي يُعبر عنها [١].

والمبالغة هي أحد آليات الاستعارة، وقد ظهر ذلك من خلال تعريف الزركشي للاستعارة، حين قال " وحقيقتها أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو بحصول المبالغة أو المجموع "[٢].

ويقول ابن جني "لا تقع الاستعارة إلا للمبالغة، ولولا ذلك لكانت الحقيقة لا يجوز غيرها "[٣]، إذ قصر المبالغة على الاستعارة، ومعنى كلام ابن جني هنا" إن من أهم ما يرمي إليه المتكلم في الصورة الاستعارية هو توكيد المعنى المراد نقله في نفس المتلقي عن طريق المبالغة في إثبات تحقيق الصفة فيه، وذلك عن طريق استعارة لفظة أكثر تمكنا في الدلالة على الصفة من اللفظة الأصلية، واستعمالها في التعبير بدلها للدلالة على ذلك نحو المجاز، وإذ لم تدل حقيقة العلاقة ترابط بينها وتصحح مثل هذا الاستعمال بإذ توحي للمتلقي من طرفي الصورة الاستعارية اتحدا حتى أصبح المستعار له كانّه المستعار منه نفسه "[٤].

ونسوق مثالاً على هذه الآلية في الاستعارة من نثرنا العربي القديم المثل العربي: (الصيف ضيعت اللبن)[٥] ، هنا مجاز بالاستعارة التمثيلية والاستعارة التمثيلية هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بإذ يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين او أمور ثم تدخل المشبه في صورة المشبه به مبالغة في التشبيه، وهذا كله نجده بالاستعارة التمثيلية، وقد وجدنا هذا في الأمثال كثيراً،

(١) ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة لعربية: ٢٢٠، ٢٢١.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٤٣٣/١.
(٣) المفسر: ٣٠/٢.
(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٢٢٠.
(٥) مجمع الأمثال، الميداني: ٧٩٧/٢.

منها المثل أعلاه، ويضرب لمن أفرط في تحصيل أمر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه، وأصل المثل أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غني فطلبت طلاقها في زمن الصيف لضعفه، فطلقها وتزوجت بشاب فقير، ثم طلبت من مطلقها لبناً وقت الشتاء فقال لها مطلقها: (في الصيف ضيعت اللبن) وإجراء الاستعارة هنا أن يقال: شبهت هيئة من فرط في أمر زمن بإمكان تحصيله بهيئة المرأة التي طُلقت من الشيخ الثاني، ثم رجعت إليه تطلب من اللبن شتاءً، بجامع التفريط في كل هذا، واستعير الكلام الموضوع المشبه به للمشبه عن طريق الاستعارة التمثيلية، وهذه الصفة تبين لنا جمع الصفتين هي ما أراده المتكلم أن يوصله إليه لإقناعه، وتلاحظ الباحثة أن القول الاستعاري ورد في أعلى درجات السلم الحجاجي ليدعم النتيجة أكثر [١].

ومن الأمثال أيضاً التي نلمس بها المبالغة في الاستعارة هي (أنت ترقم على الماء) [٢]، وهنا استعارة تمثيلية أيضاً، تشبيه حالة بحالة أخرى، حذف المستعار للمبالغة وبقى المستعار منه وهنا " تقال لمن يجهد نفسه في أعمال لا فائدة منها، وحذف المشبه هنا وهو حال المخاطب وما يقوم به من أعمال، وبقي المشبه به في حال من يرقم على الماء لا يستفيد من عمله شيئاً "[٣]، ولا يترك أي أثر على الماء وفي ذلك إيجاز في اللفظ واكتظاظ في المعنى ومبالغة في الاستعارة وإيضاح الفكرة.

ومن أقوال العرب أيضاً الذي يخص هذه الفقرة، عند رؤية الهلال " لا مرحباً باللجُّين مقرب أجل ومحْلٍ "[٤]، وأن العبارة ككل هي استعارة للهلال فذكر كما جرت العادة في الأمثلة السابقة المستعار هو (اللجين) وحذف المستعار له وهو (الهلال) فأصل هذا القول (لا مرحبا بالهلال الذي هو كاللجين مقرب أجل ومحل).

استعار العرب هذه العبارة لتبين أن كل رؤية جديدة للهلال تعني انقضاء شهر وميلاد شهر آخر مما يؤدي إلى مرور الأيام في الحياة واقتراب الآجل المنتظر، وبهذا استطاعت العرب أن توصل المعنى

(١) ينظر: كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي: ٢٧٥.
(٢) البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، علي الجارم: ٩٨.
(٣) ينظر: كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، تح: محمد التنوفي، ط١، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٩٩م: ٣٥٨-٣٥٩.
(٤) المثل السائر، ابن الأثير: ١٠٣/٢.

الدقيق لرؤية الهلال إلى الأذهان، وذلك من خلال استعمالها لهذه الاستعارة لأنها لو ذكرت مباشرة كلمة الهلال لما توصلنا إلى هذا المعنى الذي توصلنا إليه الآن.

إن هذا التصوير من درجة إلى درجة من تشبيه المفقود هذا يدخل المتلقي هول الدلالات التي تحملها هذه الإشعارات وهي كفيلة بدفعه إلى التسليم بما أريد منه، وهنا نجد أن هذه الصفة وهي صفة المبالغة لا تتواجد إلا في سبيل الاستعارة على سبيل التمثيل، فهو إذن " ممارسة استدلالية يسعى بها المتكلم إلى الانتقال من حكم إلى آخر معتمدا على الحرية في اختيار ما يحتاجه من الألفاظ والتراكيب والصور ومتجاوزاً في ذلك كل الحدود والعلاقات التي تراعي متغيرات الوضع اللساني، ومتغيرات السّياق التي تكتنف المتخاطبين، ومن أبرز ذلك الصّور والاستعارات التي يبنى فيها القياس على المعروف إلى اللامعروف "[1] إذن " فالقياس التداولي يربط بين موضوعين (مقيس ومقيس عليه)، وظاهرتين أو فكرتين هما في الحقيقة ينتميان إلى مجالين متباعدين في التداول، وليتم الرّبط عن طريق علاقة القياس بالمغايير لا المجانسة مما يحافظ على وجوه الاختلاف بين الطرفين العملية ذاتها، وفي الوقت نفسه تسعى إلى إذابة الفوارق وتشتيت وجوه التشابه والتقارب بينهما "[2]، وكذلك " لا تكمن قيمة القياس التّداولي في حمل الخبر لمن لا يعلمه، وإنما في محاولة التأثير في سلوك المخاطب عن طريق القيمة الفكرية التي يحملها والتي تؤدي به إلى الاقتناع بمضمون القول عملاً أو كفاً عنه" [3]، وهذا ما وجدناه في المثلين السابقين لخدمة الحجاج.

(١) تجديد المنهج في تقويم التراث ، طه عبد الرحمن: ١٨٥.
(٢) أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن: ١٠٧-١٠٨.
(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ١١١.

الفصل الثالث

آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج

المبحث الأوّل: آليّات الإقناع

المبحث الثاني: استراتيجيّات الحجاج

المبحث الثالث: قصديّة الحجاج

المبحث الرابع: الحجاج في نثر ما قبل الإسلام تطبيقيا

الفصل الثالث: آليّات الإقناع واستراتيجيّات الحجاج

تتداخل وسائل الإقناع في حجاج نثر عصر ما قبل الإسلام بوصفها تحمل أبعاداً لغويّة وفكريّة وأدبيّة وحضاريّة في طيّاتها، وهذا قد دفع كثير من النقاد إلى البحث عنها إذ اعتبرها رولان بارت ملتقى لخطابات متنوعة واعتبرها" امبراطورية حقيقية أكثر امتدادا وإصرارا من أيّة امبراطوريّة سياسيّة بحجمها وديمومتها "(١)، ويقصد هنا رولان البلاغة التي تحمل في طيّاتها بلاغة الحجج إذ أصبح هذا الحجاج أكثر اتساعاً إذ انفتح على مساقات أخرى مثل الصورة البصريّة والإعلاميّة والتجاريّة أيضاً، وهذا يعني أنها لم تعد" محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل إنها لا تنزع إلى أن تصبح علماً واسعاً "(٢)، وكذلك يرى بول ريكور أن الحجّة عبر وسائلها الإقناعيّة هي " فنٌ للخطاب الإنساني الأكثر إنسانيّة لا بل إنها تطالب بتفوقها على الفلسفة ككل "(٣)، وهذا يعني أنّ اهتمام النقّاد بآلية الإقناع وبلاغته بوصفه معياراً للحجاج الذي تغلل في البلاغة إذ أعطاها طاقة أن تعايش" عصوراً حافلة بالأمجاد "(٤).

إنّ آليات الإقناع تستمد كل الإمكانيّات اللغويّة والعاطفيّة والفكريّة من المحاجج مستمدة منه السيادة البلاغيّة للصورة والمعنى، وهذا ما تلمّسناه لعصر ما قبل الإسلام، وقديماً لم يكن موضوع البلاغة الحجاجي " يهتم بتقنيات الإقناع المؤثر، بقدر ما أصبح يهتم بجماليّة الأسلوب وزخرفته وشكله"(٥)، ولكن حديثاً اختلف الأمر في العصر الحالي إذ ارتبط الحجاج بآليّات إقناعيه وتفاعل قضايا الإقناع فيه، وهذا الأمر قد أدّى إلى تداخل المعرفة وتكاملها في كل نسق أدبي يحتاج الحجاج.

(١) قراءة جديدة للبلاغة العربية، رولان بارت، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، الفنك للغة العربية، ١٩٩٤: ٣٥.
(٢) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩: ١٦.
(٣) البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا، بول ريكور، تر: مصطفى النحال، مجلة (فكر ونقد)، السنة الثانية، ع ١٦١، فبراير ١٩٩٩: ١٠٦.
(٤) البلاغة والمدخل لدراسة الصور البيانة، فرانسواز مورو، ترجمة: محمد الوالي وعائشة جرير، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، المغرب، ط١، ١٩٨٩: ٥.
(٥) الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدارسات الأسلوبية، مازن الوعر، مجلة عالم (الفكر)، مجلد ٢٢، الكويت، العدد ٣ و٤ يناير / مارس، أبريل / يونيو، ١٩٩٤: ١٤٢.

وكذلك إن عناية النقّاد باستراتيجيّات وآليات الإقناع قد عملت على هيمنة بلاغة البديع التي سمّاها محمد العمري " نظرية الإقناع القائمة على المقام... أو نظرية الشعر القائمة على البناء اللّغوي دون الاهتمام بأحوال المخاطبين "[1].

إن لحظة الإقناع هي لحظة انبثاق معرفية خاصّة بالنسق المراد محاججته إذ تجسّد بناء نظرية الإقناع الثقافة العقليّة والصراع المذهبي وبروز ثقافة الحجاج والحوار.

وينطلق الرأي من فرضية اعتبار آليّات الإقناع و استراتيجيّات الحجاج واقعية تواصليّة، وفعلا اجتماعيا لُغويا تفاعليّا بين الملقي والمتلقين بغض النظر عن مواكبة هذا الوعي من الجميع بمعطيّات الوضع الراهن بتعقيداته المتنوعة واقتضاءات المقام بعناصره المختلفة إذ تعمل على إيقاع التأثير في وجدان المتلقين وغاياتهم.

نحاول في هذا الفصل إبراز كيفية انتظام الفعل الحجاجي عند المتحاجين، وذلك عبر إمعان النظر في استراتيجيات رصد الحجج ودحض الآراء وتقنيّات البرهنة باعتباره منجزا لُغويّا دلاليّا جماليّا لخلفيّة أيديولوجيّة وقصديّة خطابيّة، وكذلك مؤسسا على بناء حجاجي مخصوص، وهنا سوف نجيب خلال الفصل على الأسئلة الآتية:

١- ما مدى تأثير آليات الإقناع في نثر ما قبل الإسلام؟

٢- كيف تجلّت استراتيجيات الحجاج في إبراز ثقافة الملقي و المتلقي؟

٣- كيف تجلّت نصوص نثر ما قبل الإسلام عبر الدورات الحجاجيّة؟

(١) المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، محمد العمري، مجلة (دراسات سيمائية أدبية لسانية)، العدد ٥، خريف / شتاء ١٩٩١: ١٤.

المبحث الأوّل: آليّات الإقناع

إنّ النظر ببلاغة الإقناع في العصر الحالي يعطي لها أهمية كبيرة ما دامت الدوائر والمؤسسات تستخدم خاصية الإقناع لفرض هيمنتها في أنحاء العالم، كما أنّ الإقناع في الحجاج يبني ويُنتج قيم الإنسان المعاصر في ظل خطابات سياسيّة وفكريّة وحجاجيّة.

ولا ريب أنّ آليّات الإقناع تمثل لوناً من ألوان الحجاج التي تعمل على تكوين خطابا حجاجيّا، إذ أن تلك الآليّات في هذا المجال المتعارف عليه في ترسيخ وتوطيد بلاغة الإقناع كما يرى الجاحظ هو " جماع البلاغة البصر بالحجّة و المعرفة بمواضع الفرصة "[١]، وآليّات الإقناع بوصفها تؤثر على المستمع والمتلقي معا حتى يصل المحاجج إلى هدفه تقوم تلك الآليّات بتحويل القول البليغ تجاه المتلقي / الخصم من أجل أن يتجاوب معه، وقد وجهّت تلك البلاغة رؤية المحاجج إلى استعمال أساليب خاصة معتمدة على ثقافته بوصفها جنساً حجاجياً، ولهذا قد انتبه العديد من النقاد القدامى إلى هيمنة الكلام والقول المؤثر ومعارضة الاحتجاج لما لهم من تأثير السحر في استمالة المستمعين.

وقد عبّرت الأحداث والحياة الواقعيّة في عصر ما قبل الإسلام عن فلسفة التوافق والتعارض والنقد والرفض والاختلاف في الآراء، وذلك عبر أساليب إقناعيّة يمتلكها أولي الأمر في النسق الحجاجي، إذ إنّ تجديد الصلة بالإقناع ينطوي " على إعادة الاعتبار للممارسة الحوارية لقيم الاختلاف والتفاعل، والتي قد تكون بديلاً عن الانهيارات والكوارث وأشكال العنف المميزة من المشهد العالمي "[٢]، ولكن الحياة الخاصة في ذاك الزمان كانت لها دلالة معينة عن " إفلاس البشر في تدبر مشكلاتهم وقيادة مصائرهم، وبهذا المعنى لسنا ضحايا بعضنا البعض كما يعتقد أصحاب نظرية الصدام والأصوليين على الجانبين بقدر ما نحن ضحايا عقلياتنا ومفاهيمنا واستراتيجياتنا "[٣]، وهنا يعدّ الباحث علي حرب بأن الإقناع بالعقلانية والحوار والوسطيّة تمكن الناس من تحمل بعضهم، إذ يقول " فما دمنا نتواصل ونتباحث ونتبادل ونتفاعل ثمة إمكان لأن نغير ونتغير، تلك لغة التداول وذلك منطق التحول "[٤].

---

(١) البيان و التبيين، الجاحظ: ٨٨/١.
(٢) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، ط١، ٢٠١٣: ١٦.
(٣) العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول، علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٢: ٦.
(٤) العالم ومأزقه، منطق الصدام ولغة التداول، علي حرب: ١٦.

أن امتلاك المحاجج لأساليب الإقناع في النسق الحجاجي ذات مستوى عالٍ تجعل من وصوله لغاية الإقناع أمراً يسيراً عبر آلياته، إذ أن الهدف من الحجاج القائم على الإقناع والحوار يعدّ أفقا ديمقراطيا للمجتمع الإنساني في ذلك العصر، وقد لخص الدكتور محمد العمري الأغراض الإقناعيّة التي يحققها القول حسب ما يرى الجاحظ في " استمالة القلوب و ميل الأعناق والتصديق وفهم العقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار والتحريك وحل الحبوة "[١]، وهي أغراض ينشدها الإقناع متى توفر للقول مقومات الإبلاغ والتوضيح والصحة والإيجاز والدلالة والحجة مع مراعاة الترتيب في العرض بعبارات مكثفة إذ يرى الجاحظ " إنك إن أوتيت تقرير حجّة الله تعالى في عقول المكلفين وتحقيق المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحبة في الآذان المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم و نفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب"[٢].

وكذلك فإن الإقناع يتوقف على الرسالة التي يجب بناءها وتفاعلها حجاجياً والعمل على توصيلها بالأدلة القادرة على إثبات الاعتقادات أو تغيرها، وهذا ما ستقوم الباحثة بتوضيحه من خلال رصد وتتبع آليّات الإقناع و الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما مدى تجليّات الحوار لدى المحاجج باعتباره وسيلة إقناعيّة؟

٢- كيف تجلى النفي و الإثبات في إقناع المتلقين؟

٣- إلى أي حد أثرت نقاوة العبارة و مضمونها في آلية الإقناع؟

أولاً: حركيّة الحوار

يرتبط الحجاج بوسائل الإقناع ارتباطا وثيقا عبر فعاليّة الحوار التي أساسها الاختلاف على قضية ما ضمن بناء منثوي طرفاه مؤيد ومنتقد(معارض)، والحوار يتسم بالمواجهة الإقناعيّة المباشرة إذ أن الحوار هو أهم " أشكال التفاعل اللفظي وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز "[٣]، وقد هيمن الطابع الحواري في التراث القديم بشكل مباشر و غير مباشر أيضا إذ يمكن الافتراض أن " هذا الحوار كان في

(١) البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، محمد العمري، افريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٩م: ١٩٨.
(٢) البيان والتبيين، الجاحظ،: ٨١/١.
(٣) الحجاج و الشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، أبو بكر العزاوي: ١١٠.

الأساس مباشرا ولأسباب معينة قام الراوي بتحويله إلى حوار غير مباشر، وهذه الأسباب تتعلق في رأينا بالبناء الحكائي للنص من جهة، ومن جهة أخرى اولحالة النفسية للراوي وبوظيفة كتابه الذي يروي النص من جهة أخرى "[1].

أن أهم ما يميز نثر ما قبل الإسلام أنه أتاح للنثّار التعبير عن عمق المجتمع وتقاليده وأفكاره في هذا الوقت مستعملين آليّات الإقناع، واللغة كوسيلة لتوصيل رؤاهم الإبداعيّة التي تبنوها إذ وصلتنا أصواتهم في هذا الزمان من داخل النثر الجاهلي، ومنهم خطباء غطفان " قيس بن خارجة بن سنان الذي خطب في حرب داحس والغبراء يوما إلى الليل، وهرم بن قطبة الفزازي الذي احتكم إليه علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل، فقال لهما: أنتما كركبتي البعير الأدم (الفحل) تقعان على الأرض معا"[2]، وهنا تبدو صفة المواجهة في هذا الجنس الحجاجي من خلال الضمير المخاطب (أنتما) إذ يمثل هذا نموذج " ضمائر أشخاص "[3]، وكذلك إن العلاقة التخاطبيّة تتحدد لدى المتحاجين من خلال:

١- دلائل القول

وهي القرائن التي تظهر طبيعة المتكلم (المحاجج) لغويّا، وقدرته على استثمار وعيّه اللّغوي في التأثير على المتلقي من خلال استعمال الضمائر وأسماء الإشارة وغيرها من دلائل القول، وكذلك إصراره على أن يكون مقامه لمقتضى الحال لديه، وهي سمات ذاتية يتسم بها الناثر، وكذلك للضمائر أهمية كبيرة في بناء تلك الذاتيّة في أدب عصر ما قبل الاسلام، وفي مواضع خاصة قد يستغني الأديب في سياقات معينة عن الضمائر ولكنه يستعمل في المقابل: حالات على الأشخاص ولو كان ذلك بطرق مباشرة أو ضمنيّة، إلا أن قضيّة الضمائر " تشكل الحجر الأساس في خلق الذاتيّة داخل اللسان وتتعلق بهذهِ الضمائر أنواع أخرى من ضمائر الحاضر و الغائب و أسماء الإشارة التي تشترك في الوضع نفسه والحالة إنها أدوات قريبة أخرى مثل: الأمس، السنة الماضية، غداً، وهذه الأدوات لا يمكن فهم مدلولاتها إلا من خلال سياق الكلام الذي استعملت فيه "[4] و تنقسم على:

(١) المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق: ٢٤٦.
(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل: ٤١٤.
(٣) اللغة العربية معناها و مبناها، تمام حسان، الشركة الجديدة، دار الثقافة، المغرب: ١١٠.
(٤) عندما نتواصل نتغير، عبد السلام عشير: ٩٨.

أ- **الضمائر:** التي تدل على المتخاطبين، أي ضمائر الشخص الأوّل المرسل (أنا)، والشخص الثاني (المتلقي)، وهنا نسوق مثالاً واحداً لإيضاح كل هذه المعاني على سبيل المثال وهي المفاخرة التي حصلت بين:

- **الطرف الأوّل / الملك كسرى:** سنقف على هذه المفاخرة فقط لأنه يجب أن تكون أفكارها متسلسلة ، وتبدأ هذه المفاخرة من قدوم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الرّوم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم، وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب، وفضلهم على جميع الأمم لا يستثنى الآ هي؛ وهنا دلالة واضحة على الأنا في داخل الملك التي وثبت في بداية الحجاج (قال كسرى: أخذته عزة الملك)، فأعلى محاججته بكل الحجج والدلائل فقدّم فكرته؛ لذلك يبدأ طرحه بهذا التخاطب: الطرف الأول: الملك كسرى

- يا نعمان، فكرتُ في أمر العرب، وغيرهم من الأمم، ونظرت في حالة من يَقْدَم عليَّ من وفودِ الأممِ، فوجدت للروم حظاً..."[1]، وهنا من خلال قوله ظهرت الأنا من خلال تاء الفاعل؛ فكرتُ (أنا)، نظرتُ (أنا)، وجدتُ (أنا).

ثم قام بتوجيه الكلام واصفا العرب: ولم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوة، ومع أن مما يدل على مهانتها، وذلها وصغر همتها مَحِلَّتَهم التي هم بها مع الوحوش النافرة، والطير الحائرة يقتلون أولادَهم من الفاقة، ويأكلون بعضهم بعضا من الحاجة، وقد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذتها "[2]، فما دام الطرف الثاني المحدث هو أمة العرب؛ فالإشارة لهم بالضمير (هم)، مهانتها (هي)، ذلتها (هي)، صغر همتها (هي) ثم لا يكتفي بالإفراد، ويتجه بالضمير إلى الجميع ليدل على أفراد أمة العرب أجمع يقتلون أولادهم (هم)، يأكلون بعضهم بعضاً (هم)، خرجوا (واو الجماعة) هم أيضاً.

- **الطرف الثاني / النعمان بن المنذر**

في مقابل هذا هناك طرف آخر في هذه المحاججة وهو النعمان بن المنذر، وهنا يتحول المتكلم إلى سامع، ويرد النعمان، وحدث هنا تبادل الأدوار، فحين انتهى كسرى طلب النعمان أن يرد حجته بحجة يدافع بها عن العرب ولكنه ابتدأها بأسلوب مهذب ومؤدب ليكون أكثر إقناعا قال: " أصلح أله الملك[3]،

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه: ١٠٢/١؛ جمهرة خطب العرب، احمد زكي صفوت: ٥٠/١.
(٢) العقد الفريد: ١٠٣/١-١٠٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٢/١.

ابتدأها بالدعاء " حق لأمة الملك منها أن تسمو فضلها، ويعظم خطبها وتعلو درجتها، إلا أن عندي جوابا من كل ما نطق به الملك في غير ردّ عليه، ولا تكذيب له، فإن آمنتني من غضبك نطقت به، قال كسرى: قل فأنت آمن "[1] وهنا نجد الكثير من العبارات أو الضمائر التي يظهر فيها الأنا إلا أننا نجده مهذبا لما يحط به من عبارات الأدب في السياق فـ (عندي – أنا) (آمنتني – أنا) (نطقتُ – أنا).

ردّ النعمان: " أما أمتك أيّها الملك، فليس تُنَازعُ في الفضل لموضعها الذي هي به: من عقولها وأحلامها، وبَسَطْة محلها، وَبُحْبوحَةِ عزّها، وما أكرمها أله به من ولاية آبائك وولايتك، وأمّا الأمم التي ذكرتَ، فأي أمة تَقْرِنُها بالعرب إلا فضلتها؟ قال كسرى: بماذا؟ قال النعمان: بعزّها ومنّها، وحسن وجوهها، وبأسها، وسخائها، وحكمة ألسنتها، وشدة عقولها ووفائها "[2]، وحين عاد النعمان وذكر فآثر الفرس، فقد بدأ عبارته – أيّها الملك – وهي الجملة الاعتراضيّة التحببيّة لما يعلمه من بطش هذا السلطان الجائر الذي نبه وحذر به أبناء جلدته من العرب فيما بعد قال محذراً: " فإنّه ملك عظيم السلطان، كثير الأعوان، مُترف، معجب بنفسه "[3]، لذلك بدأ بذكر بلاد فارس بشيء من المدح وظهرت الضمائر ليعود المدح بالتالي للملك:

(أمتك / أنت) (موضعها / هي) (أحلامها / هي) (محلها / هي) (عزّها / هي) (إكرامها / هي)، ثم يعود ليخاطب الملك بشيء من الضمائر العائدة للملك (ولاية آبائك و ولايتك / الكاف = أنت) (الأمم التي ذكرت / التاء = أنت) فالضمائر مهما وجدت لا تكون على مستوٍ واحدٍ، (الأنا) تكون دائماً في مكان أعلى من (أنت)، ومع ذلك فكلا المصطلحيْن لا يمكن لأحدهما أن يفهم بدون وجود الآخر؛ فهما متكاملان من خلال (معادلة تعارض داخلي، خارجي) وهذا ما يدعمه النص الذي سبق، وهذا يعني أنّ الضمير يعمل على تنظيم النص الحجاجي منطلقا من الذات المتكلمة (الأنا) التي تعد مركزية إذ تربط علاقات الحجاج فيما بينها.

ب–أدوار الكلام

إن الحوار بين المتحاجين يتم بين طرفين يتناوبان على:

(١) العقد الفريد: ١٠٢/١.
(٢) المصدر نفسه ١٠٣/١.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٣/١.

- **التناوب القولي**

هنا يتجلى التبادل المستمر لـ (قال) بوصفها الحد الفاصل بين المتكلمين كما جاءت في قصة حجر الملقب آكل المرار مع زياد بن الهبولة الغساني بشكل مفصل والحارث بن الأيهم بن الحارث الغساني التي خلاصتها في تناوب القول كالآتي:

- قالا لحجر: إنّا متعجلان إلى زيّاد ولعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا، وكان بينه وبين عوف إخاء فدخل عليه
- وقال له: يا خير الفتيان اردد عليّ امرأتي أمامة فردها عليه وهي حامل.
- ثم إن عمرو بن أبي ربيعة قال لزيّاد: يا خير الفتيان اردد عليّ ما أخذت من إبلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل إلى الإبل؛ فصرعه عمرو.
- فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم.
- فقال عمرو: لقد أعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا...
- فمما يوردون قالوا: أراد رجل أن يمتحن عقلها وجوابها.
- فقال: إني أريد أن أسألك. قالت: هات.
- قال: كاد...
- فقالت:... المنتعل يكون راكباً.
- قال: كاد...
- فقال:... النعامة تكون طائراً.
- قال: كاد...
- قالت:... السِّرار يكون سحراً.
- ثم قالت للرجل: عجبت...
- قال:... للسباخ لا ينبت كلاها، ولا يجف ثراها.
- قالت: عجبت...
- قال:... للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها.

- قالت: عجبت...
- ويظهر أنها أفحمته فلجأ إلى ما يظن أنه يغيظها.
- فقال:...
- قالت: (...) لا يدرك قعره ولا يُملأ حفره [1].

أن التناوب بين المتحدثيْن هي أساس الجنس الحجاجي هنا، إذ أن الخطاب الحجاجي قد تجلّى في علاقة حاليّة تربطهم اللحظة نفسها والظروف نفسه، وكذلك فإن الانتظام واحترام الرأي الآخر ومعرفة كل متحدث بحقوقه وواجباته جعله يحتفظ بدوره في هذا التفاعل اللفظي في قول ما يريد في اللحظة التي يتعين عليه القول بها وكذلك منح الآخر فرصة الكلام في اللحظة الأخرى.

وهذا يعني أن المتحاججيْن قد عالجا القضيّة بينهما من خلال ثنائيّة المرسل والمستقبل إذ حرص كل واحد منهم على بناء وتعزيز موقفه حجاجيّا من منطلق الأخذ والرد، إذ تتشكل آليّات الإقناع وتبادل الآراء، وكذلك فإن هذا التناوب القولي يجسد الصفة الحجاجيّة إذ تظهر الاختلاف فيعمل الحوار بينهما على إثبات اهتمامهما لما يجري مما حذى بهما إلى إبراز مشاركتهما و مفاوضتهما حول المسافة الفاصلة بينهما وكل قول من أي منهما كان يتوخى إقناع الآخر، وهذا كله عمل على احتدام حرارة المواجهة والإصرار على إقناع الطرف الآخر وهذا لا غرابة فيه لأن الحجاج لا يبلغ هدفه بدون آليّات الإقناع، ونجد ذلك في قوله (يا خير الفتيان) فهو منادى الاقناع الطرف الآخر بالاتجرار الى ما يطلب، لوكنه استرد زوجته حاملاً، وحينما وجده مصغي ويجيب لما يريد أعاد عليه القول نفسه (ياخير الفتيان) ليحصل على مآربه كلها، لكنه يحصل عليه غير مكتملة لذلك صرع الفحل.

- **خرق التناوب الكلامي المنتظم**

أحيانا إرادة المحاجج في إقناع خصمه وتحقيق هدفه تجعله يخترق هذا التناوب من منطلق أن التناوب لديه عملية غير مجديّة حسب وجهة نظره، ويتجلى هذا الخرق من خلال صمته أو قطع كلام الخصم أو انشباك حديثه بحديث الآخر التي قد تؤدي بالمجاجج إلى تسليم " مناظره إلى إيثار السكوت"[2]، كان

(١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٢/١-٣.
(٢) المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافي ومتى، محمد حسن عبدالله، مجلة (البيان الكويتية)، العدد ٣٦٨، الكويت، مارس ٢٠٠١: ٤٧.

الرجل الجاهلي إذ قيل له: " إن زوجتك قد أنجبت، يسأل: وما أنجبت؟ فاذا قيل له: إنجبت أنثى، قال: ما هي نعم الولد، مصرها بكاء، وبرها سرقة، إذا ارادت ان انصرني تبكي وتولول، ولا تستطيع ان تحمل السلاح، واذا ارادت ان تبر أباها وأهلها سرقت من زوجها[1]" وعلى الرغم من تفضيل العرب المولود الذكر الا ان البعض أعتبر الفتاة مصدر رزق عند زواجها، فتاتي له بـ (حلوان) أي مهرها، وهو ما كان يسمى (النافجة)، لذا كان يقال للأب عند ميلاد ابنته: هنيئاً لك النافجة، أي المعظمة لمالك.

التشابك القولي

التشابك القولى غرضه الهجوم الإقناعي وتصيد الأخطاء للآخر، إذ يتدخل المحاجج في كلام الآخر معلنا اعتراضه ومخالفته الرأي مقاطعا إياه وفي نفس الوقت مركزا على حضور تركيزه وانتباهه للمفاصل الحساسة في الحوار، بل ووعيه بالسياق الحجاجي عبر تحويل آلياته الإقناعيّة نحو خصمه كما جاء في خطبة النعمان بن المنذر إنّ عنوان هذه الخطبة يُحيلنا إلى معرفة شيء من طبيعتها ف"وفود العرب على كسرى" تتضمن صيغة الجمع ممّا يجعلها متعددة الخطباء على اختلاف طبيعة الخطبة العادية التي يكون فيها الخطيب شخص واحد يخطبُ في جمع مثلا، ولكن المميّز في عنواننا أنّ هذه الخطبة يمثلها وفود بمعنى خطباء، وهو الأمر الذي يدعونا للبحث عن استراتيجية بنائها، وكيفية إلقائها، وهذا لا يتأتى من غير معرفة موضوعها الذي يدور حول حادثة التقاء الملك "كسرى" بزعيم العرب "النعمان بن المنذر" في زمن ما وكان هذا اللقاء النواة الأولى التي انبثقت منها خطب هؤلاء الوفود، فقد أراد كسرى أن يغيض العرب وعلى رأسهم "النعمان" على مرأى وفود أمم أخرى)الروم والصين والهند(من خلال حديثه عن صور سيئة لمواقف من أهل العرب جعلته يحكم على إساءتهم وعدم صلحهم فهو لم يعجبه فيهم مأكلهم وملبسهم وكثرة كلامهم، وجهل وعصبية بعضهم ،وفخرهم بإكرام ضيفهم، ووأد النساء من فقرهم، وما إلى ذلك من التُهم المنسوبة بحق وبغير حق للعربي إلى الدرجة التي جعلت الملك "كسرى" يدّعي «ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوّة وممّا يدل على مهانتها وذلها، وصغر همّتها محلّتهم التي هم بها في الوحوش النافرة، والطير الحائرة،...) و إستراتيجية الحوار هنا تمثلت في خطيب يُلقي خطبته على الملإ وبعد سرد هذه التُهم على مسمع مختلف الوفود ما كان من "النعمان" إلا الردّ

(١) المرأة في التاريخ العربي: ٨١.

بالحجة والدليل على كل اتهام منسوب للعرب، لينتقل الحوار إلى النعمان كونه يُمثل خطيبا. ليعود بعد ذلك إلى قومه وفي قلبه شيء من الغبطة والحزن فما كان منه إلّا أن يستدعي أشهر خطباء قومه المعتمد على فصاحتهم وفطنتهم وتكليفهم بالتخاطب مع الملك "كسرى" عن الموضوع ذاته والمتمثل في ظنّه السيئ بالعرب، و عند لقاءهم بالملك بدأ الواحد تلو الآخر بالحديث للملك، ومحاولة إقناعه بكل ما أتيح لهم من حجج متفاوتة القوة، ممّا يُبهر الملك كسرى مرة ويُحيره مرة ثانية وثالثة يُقنعه فيصمت، وهذه الاستراتيجية التخاطبية جعلتنا نتوصل للقول بأنّ الملك "كسرى" هو المحور الدوّار الذي التفت حوله جميع الخطب الأخرى من طرف وفود العرب. وبتدرج خطبهم وحسن رصفها وقوة الحجج المستخدمة في مجملها تمكنوا من إقناعه وتغيير نظرته للعرب ممّا دعاه للقول والاعتراف بذلك حينما قال في آخر الخطبة (قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم، وتفنّن فيه متكلموكم، ولو لا أنى أعلم أنّ الأدب لم يُثقف أُودكم، ولم يُحكم أمركم، وأنّه ليس لكم ملك يجمعكم ، فتنطقون عند منطق الرعية الخاضعة الباخعة، فنطقكم بما استولى على ألسنتكم، وغلب على طباعكم، لم أجز لكم كثيرا ممّا تكلّمتم فيه....) ومن هذا المنطلق يمكن القول أنّ هذه الخطبة في الحقيقة ليست خطبة واحدة خطيبها شخص واحد وجمهورها جمع مستمع، بل هي أكبر من ذلك إذ أنّها عبارة عن مجموعة من الخطب التي يلقيها الخطباء، لكل منهم دور في إلقاء خطبته وبذلك يتنوع شخص الخطيب وبتنوعه تتعدد الحجج وتتفاوت في قوة توظيفها وهو الأمر الذي من شأنه إثراء الحجاج وتحقيق غاياته المتمثلة أساسا في إقناع المتلقي والظفر بالفكرة المُدافع عنها والتي تُجسد موضوع ومحور الخطبة من بدايتها إلى نهايتها والمُتمثل في" الدفاع عن العرب وإثبات صدقهم وشجاعتهم وقوتهم وتصحيح ذلك في معتقدات الملك كسرى".

أمر الذي رصدناه في خطبتنا وهذا أوّلا: ضمنيا من خلال عرض كل وفد من الوفود خطبته أي حجته على

قال النعمان: أصلح الله الملك، حُقّ لأمّة الملك يسمو فضلها، ويعظم خطبها، وتعلو درجتها، إلاّ أنّ عندي جوابا في كل جواب في كلّ ما نطق به الملك في غير ردّ عليه، ولا تكذيب له، فإنّ أمتي من غضبه نطقت به، فأيّ أمّة تقرنها بالعرب إلاّ فضلتها، بعزّها ومنعتها، وحسن وجوهها، وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها

واما عزها ومنعتها، فأنها لم تزل مجاورة لأبائك الذين دوّخوا البلاد، ووطدوا الملك، وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع...
وأمّا حسن وجوهها وألوانها، فقد يُعرف فضلهم على غيرهم: من الهند المنحرفة، والصين المنخفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة.
وأمّا أنسابها وأحسابها، فليست أمّة من الأمم إلاّ وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها.
وأمّا سخاؤها، فإنّ أدناهم رجلا، الذي تكون عنده البكرة والناب، عليها بلاغة في حموله، وشبعه وريه، فيطرق الطارق الذي يكتفي بالفلذة، فيعقرها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها.
وأمّا حكمة ألسنتهم، فإنّ الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفة الأشياء وضربهم للأمثال، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس.
وأمّا دينها وشريعتها، فإنّهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه أنّ لهم أشهرا حرما، وبلدا محرمّا، فيلقى قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه، فيحجزه عن كرمه ويمنعه دينه عن
وأما وفائها، فإنّ أحدهم يلحظ اللحظة، ويومئ الإيماءة، فهي ولث وعقدة، ولايحلها إلاّ خروج نفسه، فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة، ، ، فتكون أنفسهم دون نفسه، وأموالهم دون ماله.
أمّا قولك أيها الملك يئدون أولاده، فإنّها يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار، وغيرة من الأزواج.
وأمّا قولك إنّ أفضل طعامهم لحوم الإبل، وإنه لا شيء من اللحوم يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه [1]

(١) العقد الفريد: ١/١٠١-١٠٤.

الاستبداد القولي

حواريا يعدّ الاستبداد في القول هو كفة راجحة لأحد المتكلمين وفيه قوة لموقفه ورأيه، وهذا يجعل منه ممتلكا آليّة إقناعيّة بوصفه محتفظا بالكثير من القول مما قد يؤدي به إلى فتح الحوار وإغلاقه كما يحلو له، وهذا يظهر كيف أن الطرف الذي يفتح الحوار ويغلقه هو الطرف المنتصر دوما والذي يمتلك كلمة الحسم " نجد في هذه القصة: "كان مخالس بن مزاحم وقاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر:

كان مخالس بن مزاحم الكلبي، وقاصر بن سلمة الجذامي بباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة؛ فأتى قاصرًا إلى ابن فرتنى وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن مخالسًا هحاك، وأنشده في ذلك أبياتًا؛ فلما سمع عمرو ذلك آتى النعمان؛ فشكا مخالسًا وأنشده الأبيات؛ فأرسل النعمان إلى مخالس؛ فلما دخل عليه قال: "لا أم لك! أتهجوا امرأ هو ميتًا خير منك حيًّا، وهو سقيمًا خير منك صحيحًا. وهو غائبًا خير منك شاهدًا؟ فبحرمة ماء المزن، وحق أبي قابوس ، لئن لاح لي أن ذلك كان منك؛ لأنزعن غلصمتك من قفاك، ولا طعمنك لحمك". [١]، هذا سيكون جانب الاقناع من الطرف المتهم.

أبيت اللعن! كلا، والذي رفع ذروتك بأعمادها، وأمات حسادك بأكمادها، ما بلغت غير أقاويل الوشاة، ونمائم العصاة، وما هجوت أحدًا، ولا أهجو امرأً ذكرت أبدًا، إني أعوذ بجدك الكريم، وعز بيتك القديم، أن ينالني منك عقاب، أو يفاجئني منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان" [٢].

كذلك كما صنع نفيل بن عبد العزّي حين تنافر إليه عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم وحرب بن أميّة خاطب نفيل حربا فقال:" يا أبا عمرو، أتنافرُ رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم منك وسامة وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل صفدا وأطول منك مذودا، وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب جد المريرة، جليل العشيرة ولكنك نافرتَ منفرا "[٣]، وهنا نجد أنه رغم فضائل حرب المتعددة لكنه لا يصلح له أن يتحاور و يستبد برأيه حجاجيّا أمام قوة عبد المطلب.

(١) مجمع الامثال: ١٤٠/١.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٠/١.
(٣) الكامل لابن الاثير: ٦/٢.

ونجد أنّ أدوار الكلام الممثلة في الحجاج هو جنس حواري إذ أن التفاعل القولي ما بين التشابك والانتظام والاستبداد هو مفتوح ومتقلب حسب اللحظة الحاليّة للموقف الحجاجي وخواصه الإقناعيّة، وكذلك يمكن أن تكون نفس العبارات نفسها في طيّاتها التشابك والاستبداد وخرق التناوب كما.

٢- تمديد الحوار

يتم تمديد الحوار عبر اختلاف الرأي والتناقض في فهم المقصود، والقضايّا دوما هي بؤرة إشكاليّة التداول في الحجاج، وهنا يعمل الحوار بـ:

أ- تذويب المسافة

نجد ذلك في كثر من المقدمات الجاهلية في الخطب والوصاسا على سبيل المثال في وصية الحرث بن كعب لبنيه حين قال:" يا بني، قد أتت على مائة وستون سنة ... [١]" هذا التذويب لمسافة السنين وحاول ان يقنعهم بوصاياه بألفاظه القليلة الغزيرة المعنى، من البديهي ان يقنعهم بما سيقول ونظراً لهذا العمر الطويل هو خلاصة تجاربه وخبراته التي اكتسبها به وبصفته رئيساً لقومه، وفارساً من فرسانهم فمن البديهي ان تذويب مسافة السنين تودي الى الاقناع بالنصح.

ب-تعميق المسافة

إن التعميق في الحجاج يكون عبر التناقض في الرأي وذلك لأنّ المعطيّات تتواتر فيما بينها بسبب اختلاف المواقف بين أطراف الحجاج، وتكون دوما القضية إشكاليّة بوصفها محور المحاججة، وتظل المسافة تزداد عمقا بين الطرف الأول والآخر، ويظل الحوار مرهون بتلك المسافة، وقد تجلّت هذه المسافة بوضوح في قصة المرقّش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف وما كان من عشقه لها وهو " غلام ومحاولته خطبتها من أبيها واعتذار الأب له بحداثة سنّه وأنه لم يعرف بعد بالشجاعة، وما كان من انطلاق المرقش إلى بعض الملوك ومديحه له وبقائه عنده زمنا، وفي هذه الأثناء أصاب عوفا زمانا شديدا، فأتاه رجل من مراد فأرغبه في المال فزوجه ابنته على مائة من الإبل ورحل بها إلى أهله، وقال إخوة المرقّش لا تخبروه بخبرها حين يرجع، بل قولوا له إنها ماتت و ذبحوا لذلك كبشا أكلوا لحمه و دفنوا عظمه "[٢].

(١) ينظر: الشعر والشعراء: ١١٧-١٢٠؛ الأغاني: ٤٦/١١-٥٤.
(٢) الاغاني: ١٢٦/٦.

٣- إغلاق الحوار

إغلاق الحوار هنا بوصفه مواجهة إقناعية تعمل على إنهاء المسافة الفاصلة بين المتحاورين حول موضوع ما، ولكي يكون الحجاج منتجا عقليّا فكريّا مقنعا لابدّ له من نهاية إذ أن استمرار العناد يحوّل الحجاج إلى منطق عقيم غير متطور ومجدٍ لجميع الأطراف وكذلك استمرار المحاججة إلى مالا نهاية يعدّ مستحيلا وذلك " لعدم وفاء طاقة البشرية على ذلك "(١).

ومن أشهر الأمثلة على ذلك خطبة الوعّاظ المأمون الحارثي في قومه قائلا " أرعوني أسماعكم وأصغوا إليّ قلوبكم، يبلغ الوعظ منكم إذ أريد، طمع بالأهواء الأشر، وران على القلوب الكدر وطخطخ الجهل بالنظر، إنّ فيما ترى لمعتبرا لمن اعتبر، أرض موضوعة وسماء مرفوعة وشمس تطلع وتغرب ونجوم تسري فتعزب، يأيها العقول النافرة والقلوب النائرة أنّى تؤفكون، وعن أي سبيل تعمهون وفي أي حيرة تهيمون وإلى أي غاية توفضون، لو كشفت الأغطية عن القلوب وتجلّت الغشاوة عن العيون لصرّح الشك عن اليقين و أفاق من نشوة الجهالّة من استولت عليه الضلالة "(٢).

أنّ الوعّاظ أغلق الحوار بتعبيرات حجاجيّة مقنعة للناس تحمل في طياتها عجزهم عن الاعتراض مستخدما الحجّة في إغلاق الكلام معهم (يبلغ الوعظ منكم إذ أريد).

ثانيّاً: نقاوة العبارة

عند قراءة النثر القديم بإمعان شديد يلاحظ المتخصص على الفور نقاوة العبارة و سلاستها عند أغلب النثّار، وحلاوة الألفاظ المطليّة بالتعبيرات المسجعة والخفيفة على الأذن وكأنّهم يقودون اللغة كما يحلو لهم، وتكون العبارات مثل الشلالات كلها تنساب انسيابا دون تلعثم أو تردد، وهنا تأتي الجمل ذات سيولة خاصة معبرة عن الحدث الحجاجي دون تكلف، وهذا يدل على وعي المحاجج وحسن ترجمته لرؤيته وأفكاره بما يتوفر لديه من مخزون لُغوي، وحسن نقاوة العبارة ورصف كلماتها بشكل خاص يعمل على تعزيز الحضور البلاغي والبياني للمحاجج من جهة؛ ومن جهة أخرى يتعزز تأثير المحاجج على المخاطب من جهة أخرى؛ فتأتي نقاوة العبارة قاصدة تعزيز الفعل الحجاجي والوصول للهدف المنشود.

---

(١) شرح آداب البحث، طاش كبرى زاده، مجلة (المناظرة)، السنة الثانية، العدد ٣، ذو الحجة، ١٤١٠هـ/ يونيو ١٩٩٠: ٢١.

(٢) الآمالي: ٢٧٦/١.

وقد أعطت إعرابية في وصفها لحالة العاشق، صورة من الألم والمعاناة التي يمر بها على سبيل معشوقته، فكل ما يحيط به يشعره بالقلق، والتوتر، قالت الاعرابية: "مسكين العاشق، كل شيء عدوة، هبوب الريح يقلقهُ ولمعان البرق يؤرقه، ورسم الديار تحرقه، والعذل يؤلمه والتذكر يسقمه، إذا دنا الليل منه هرب بالنوم عنه، ولقد تداويت بالقرب والبعد، فما انجح فيه دواء [١]"

والمحاجج الفصيح ينهمر في عرض حجته فيكون وقعه على المستمع مثل السحر؛ وذلك بما يمتلك من فصاحة القول وبلاغة الدلالة والتعبير التي تأخذ المتلقي إلى أعلى درجات التأثر العاطفي والعقلي بما يسمع؛ وهذا يجعل المستمع يحصل على مبتغاه في تكييف سامعه كيفما يريد.

والحجاج بوصفه حدثا ديناميّا وبيانيّا تتوسده تقنيّات خاصة في الإخراج النثري البلاغي غايته لفت انتباه المستمعين سواء كانت بالتلميح أو التصريح، وتعتقد الباحثة من جهة أخرى نقاوة العبارة الشفهية الارتجاليّة لا تعطي دائما المحاجج المساحة الكافية للالتزام بالسجع والجناس، وذلك في مقام يطرأ فجأة لأن الفعل الحجاجي يتطلب من صاحبه مخزونا خاصا في التصرف في مثل تلك الظروف.

وإنّ الروح التقييمية المنفتحة على المتلقي تظل تحمل بين طياتها صفاوة العبارة و نقاوتها دلالة على التمايز الحجاجي البياني بين الأطراف إذ يكون لكل طرف رؤيته وجديته في الحدث معلنا بلاغته في ردهات الحجاج، وكذلك يعمل بدهاء بلاغي على إرباك خصمه كما تجلّى ذلك في خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني محرضا قومه يوم ذي قار قائلا:"يا معشر بكر، هالك معذور خير من ناج فرور، إنّ الحذر لا ينجي من القدر، وإنّ الصبر من أسباب الظفر، المنيّة ولا الدنيّة، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز و الظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا بُدّ"[٢]، الخطيب هنا يكون صاحب قرار، ويمتلك من بلاغة القول وحسن البيان في إطار الحميّة القوميّة والصراع بين القبائل إذ يذكّر الخطيب الناس بالقيم الجميلة الإيجابيّة حتى في الصراع ويحاول تزهيدهم في الحياة ودعوتهم إلى ساحات النزال، حيث افتتح النص بالنداء، وأختتم بالنداء ايضاً وفي النص على قلة عدد حروفه وكثرة معانيه،

(١) اخبار النساء، أشهر اخبار النساء في التاريخ العربي، (د.ط)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت): ٧١.
(٢) الآمالي: ٩٢/١.

طباقات، ومقابلات، وسجع، وأسلوب جزل كانه التوقيعات، لذلك نجد أسلوبه الانشائي منه والخبري قد خرج الى الارشاد والنصح والتحريض على الحرب بطريقة الحجة والاقناع.

ثالثاً: نفي وإثبات العبارة

عالج البلاغيون النفي بوصفه شقا للإثبات في الكلام، ويعدّ النفي عاملا مهما في القول الحجاجي إذ يعمل على تحويل القضيّة من صحيحة إلى خاطئة، وبالعكس إذ يحقق به المحاجج وظيفته الحجاجيّة من خلال اللغة المتمثلة في التأثير على المتلقي و ذلك بتوجيهه من الكلام الأوّلي إلى النتيجة، وهذا ابن يعيش يعرّف النفي بأنه إكذاب قائلا:" اعلم أنّ النفي إنما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون لى وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أنّ أحدهما نفي و الآخر إيجاب "[1]، ورغم قوة عامل النفي والإثبات في تحديد درجة قول المحاجج من السلم الحجاجي إلا أنه يبقى ثمة جانب من القول الذي تلفظ به المحاجج تتدخل فيها أمور عدة مثل المقام نفسه.

وقد قسّم شكري المبخوت النفي على ثلاثة أقسام مستندا إلى تقسيمات شبيهه ديكرو و هي:

١- النفي الوصفي: وهو النفي الذي يكون مثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدمه قائله على أنه يعارض قولا آخر.

٢- النفي الجدالي: هو النفي الذي يعارض به المتكلم رأيا معاكسا لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية.

٣- النفي الميتالغوي: هو قول منفي يهاجم متكلما له خاصيتان: يبطل المقتضيّات و إعلاء الصفة [2].

وإذا كان الحجاج مبنيّا على جدلية الاعتراض والقبول؛ فإن العلاقة بين المتحاجين تقودهم إلى استهداف آراء بعضهما البعض لإثبات تهافتها الجزئيّة أو لإبطالها كلها، وهنا يأتي أثرالنفي بوصفه آليّة للاعتراض والنقض إذ يعمل على تفتيت أفكار الخصم ونزع مصداقيته وتثبيت مكانه رأي المتحدث، وعليه هنا فإن الحجاج الذي يوظف النفي بوصفه آليّة إقناعيّة هو تفاعل مبني على الانتقاد والاعتراض وهذا الذي أسماه العرب القدامى " النفي سلب "[3].

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب القاهرة، د.ت: ١٠٧.
(٢) نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو حتى اليوم، شكري المبخوت، إشراف: حمادي صمود، كلية آداب منوبة، تونس، ١٩٩٨: ٥٩.
(٣) البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب : ٧٤.

وهناك صيغ عديدة تجسد النفي في الحجاج من خلال أدوات النفي البسيطة (ما – لم – ليس – لا – لن) أو أدوات نافية مركبة تتألف من إحدى هذه الأدوات وأداة الحصر (إلا) مثل ما أحب قيس إلا ليلى، أو أسماء شبه نافية مثل " أبدا – أحد – قط "[١]، وذلك كما تجلّى في مناسبة قصة المثل القائل (جزاء سنمّار)؛ والقصة هي أن " النعمان بن امرئ القيس اللخمي ابتنى قصرا له يسمى الخورنق، بناه له رومي يسمى سنمار، فلما أتمّه قال له سنمار: إني أعرف موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله، فقال له النعمان: أيعرفها أحد غيرك؟ فقال: لا، فقال: لاجرم لأدعنها و ما يعرفها أحد، ثم أمر به فرُمي من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع، فضرب به الجاهليون المثل فقالوا: جزاء سنّمار "[٢]، ويعدّ النفي آليّة إقناعيّة نشيطة في الحجاج بوصفه أحيانا يعمل على نفي إثباتا سابقا ومثال على ذلك قول أبي سعيد السيرافي " ليس كل ما في يوزن "[٣].

وهكذا يظهر النفي في المواجهة الإقناعية بين المتحاجين من أجل التشكيك و قلب اعتقاد الخصم وقطع الطريق عليه فيما يرى.

إنّ البناء الحواري للحجاج تتناوب فيه أدوار الكلام في نسق توزيعي إذ يحرص على التبادل والمشاركة عاكسة المقصد الحجاجي، وقد يكون الكلام عرضة لتدخلات طارئة مثل الصمت والقطع والتشابك القولي، وبالنهاية الهدف الرئيس هو الإقناع، والنفي والإثبات ونقاوة العبارة، وتعد جميعها مركزاً للحجاج وكلٌّ حسب وظيفته في الحجاج إذ يشكل كل عنصر الآلية الأكثر استعمالا وكذلك يحرك عملية التوليد والاستدلال في افتتاحية الحجاج أو في طور المواجهة والمحاججة، وكذلك يعد النفي آليّة تقويميّة وتشكيكيّة في الحجاج إذ يستجيب للنقض والاعتراض.

(١) الوظيفة و البنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٣: ٩٠.
(٢) مجمع الامثال: ١٥٩/١.
(٣) الإمتاع و المؤانسة، أبو حيان التوحيدي، تصحيح و ضبط: أحمد أمين و أحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: ١٠٩/١.

المبحث الثاني: استراتيجيّات الحجاج

من يقرأ نثر ما قبل الإسلام يلاحظ تعدد استراتيجيّات الحجاج، وكذلك تمكن المتحاجين من الأساليب البلاغيّة والبيانيّة وتمكنهم من فن القول والتعبير للخطاب الحجاجي، وهنا سوف تقوم الباحثة برصد أهم استراتيجيّات الحجاج عبر صفوة العبارة الإيحائيّة والإيقاعيّة الإقناعيّة الخاصة في إجابتها عن الأسئلة التالية:

١- ما مدى أهمية البؤرة في الدورة الحجاجية؟

٢- ما هي أنواع الحجج التي تجلّت في نثر ما قبل الإسلام؟

٣- ما هي الاستراتيجيّات الأكثر ورودا في النثر القديم؟

أولاً: بؤرة الحجج

تتحرك الحجج دوما عند البؤرة الأساسيّة مهد الحوار والتحاجج في تركيز جدلي حول الخصوصية الأهم؛ تريد بذلك توجيه انتباه المستمعين أو المتلقين إلى نقطة ما دون غيرها، وعند قراءة النثر القديم نلاحظ أنه قد ركز فيها النثّار على قضايا المجتمع السياسيّة والعسكريّة المتعلقة بالحروب والاقتتال بينهم، والاجتماعيّة الممثلة في بعض الأمثال التي قيلت والوصايا كوصيّة الأم لابنتها المشهورة وخطب الزواج وغيرها، والدينيّة الذي تمثل في أقوال الكهان، وهذا أمر كان ينسجم مع طبيعة الفضاء المعرفي لديهم، وهنا يمكن القول أنّ طبيعة الحدث ساهمت في تشكيل محتوى الجدل الحجاجي وفق مقتضيّات الحياة في ذلك الوقت وطبيعة المكان لاسيّما الصحراء.

وأغلب قضايا النثر القديم ذات علاقة وطيدة بالواقع القديم من قبيل الحياة غير المستقرة والأعراف الاجتماعيّة السائدة فيما قد تغيب الحياة الخارجيّة عن حياتهم

إنّ وجهات النظر حول قضيّة ما وهي بؤرة الحديث عند قراءة التراث وتركيز الحوار عليها في الأمور الداخليّة للإنسان العربي تكون متقاربة نوعا ما بالنسبة للأمور الخارجية في وجهات النظر، وتكون غاية المحاجج هنا هو إقامة الحجة والتنبيه للمخاطب بأنه إذا فعل هذا الأمر سينتج عنه ذاك الأمر؛ وهذا بطبيعة الحال يكون مرجعه الحب والخوف على من يخاطب كوصيّة الأم لابنتها التي ركزت فيها على

الزوج (بؤرة الحجّة)، وكان هدفها هنا وتركيزها على خطورة عدم سماع كلامها لما في ذلك من تأثير على ردود أفعال الزوج مع الابنة، والبؤرة الحجاجيّة هنا هي تقنية استراتيجيّة اعتمدتها الأم في توجيه ابنتها نحوه بوصفه العنصر الأساسي والفعال في حياتها القديمة وتحويلها إلى عنصر فعال ومشارك صادق في حياتهما المستقبليّة.

ثانياً: حجج متنوعة

١- حجّة الهيمنّة

الحجّة المهيمنّة هي ذات السلطة على الغير ويكون أغلبها في التعبير عن الذات، وفرض نفوذ المحاجج بشكل لافت للنظر وذلك من خلال ثلاثة أمور وهي:

أ- **سلطة القول،** فهذا النوع من الحجاج يوفر للمحاجج فرصة الهيمنّة القوليّة و الانفراد أمام متلقيه، وهذا يعني أنه يُتاح له قول ما يريد مستخدما استراتيجيّة البرهان الدلالي للفعل و كذلك تقنيّات اللغة والبيّان، بمعنى آخر ((هو صاحب سلطة حجاجيّة وسطوة تعبيرية مهيمنة في العبارة بما يراه السبيل في توصيل رسالته)) [(١)]، وكل ذلك بتمكين الذات و تركيز الهيمنّة السلطويّة التوجيهيّة (أنا) وهنا يرتبط " خطاب السلطة بسلطة الخطاب وكلمات السلطة بسلطة الكلمات "[(٢)]، هذا على سبيل الهيمنة وبسط النفوذ الحجاجي لأنّ " هاجس السلطة إنما يتمثل في تحصيل الشرعيّة التي تضمن لسلطانها الاستقرار والاستمرار "[(٣)] كما تبين هذا في " أرعوني أسماعكم وأصغوا إليّ قلوبكم، يبلغ الوعظ منكم إذ أريد، طمع بالأهواء الأشر، وران على القلوب الكدر وطخطخ الجهل بالنظر، إنّ فيما ترى لمعتبرا لمن اعتبر، أرض موضوعة وسماء مرفوعة وشمس تطلع وتغرب ونجوم تسري فتعزب، يأيّها العقول النافرة والقلوب النائرة أنّى تؤفكون، وعن أي سبيل تعمهون وفي أي حيرة تهيمون وإلى أي غاية توفضون، لو كشفت الأغطيّة عن القلوب وتجلّت الغشاوة عن العيون لصرّح الشك عن اليقين و أفاق من نشوة الجهالّة من استولت عليه الضلالة"[(٤)].

---

(١) الأيديولوجيا و البلاغة، محمد سيبلا، مجلة المناظرة، العدد ٤، ١٩٩١: ٧٢.
(٢) المصدر نفسه: ٧٢.
(٣) البلاغة والأيديولوجيا، بحث في العلاقة الملتبسة بين المعرفة البلاغية و المعرفة الأيديولوجية، مصطفى الغرافي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد١٥٦، خريف ٢٠١١: ١٣٩.
(٤) الآمالي: ٢٧٦/١.

هنا هيمنّ الوعّاظ بحجته من بداية كلامه إذ يعدّ نفسه ولي الأمر في قوله (أرعوني أسماعكم وأصغوا إليّ قلوبكم)، هذه العبارة لها دلالة على مكانته بين قومه وحبهم له وحبه لهم لأنه طلب منهم إصغاء القلب لمعرفته بتأثير هذا العضو على الإنسان مركز الإحساس والمشاعر.

ب- **التعبير المباشر عن قوة الأنا**، وهذا النوع يقوم المحاجج بكل سلطته في بسط نفوذه الحجاجيّة في التعبير عن ذاته والتحدث عنها بكل قوة ونفوذ إذ يركز في تعبيراته على نقض آرائه كي يشيد بصحة قوله، وهنا يتحدث المحاجج من موقع الواثق بنفسه باعتباره يتقمص أثرالمسؤول وفرض صلاحياته وهذا قد يجعله يميل للإطناب أحيانا دلالة على حضوره المكثف لذاته، وتركيزه على سلطة الأنا في وعي من يحاججهم وهي حجة مهيمنّة غرضها تغيير واستبدال ما يدور في حياة من يهيمن عليهم.

وهنا المحاجج يؤسس لهيمنة جديدة إذ يوظف هذا النوع من الحجج من أجل تأسيس شخصيات أو ذوات تتوافر فيها العدل والحب ومشاركة الناس همومها وأحلامها، وكذلك مواجهة التحديّات بكل قوة، وهذا يعني أنّها حجة مهيمنّة ما في حكمتها بالحياة متحديّة الظروف ومحدثة التطوير، وحجة الهيمنّة هنا هي حجة فارضة لمنهجها ومؤسسة للكسب والتقدم كما تجلّى ذلك في خطبة هانئ بن قبيصة الشيباني يحرّض قومه يوم ذي قار مهيمنّا على الموقف " يا معشر بكر، هالك معذور خير من ناج فرور، إنّ الحذر لا ينجي من القدر، وإنّ الصبر من أسباب الظفر، المنيّة ولا الدنيّة، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا بدّ "[1]. تبدو هنا (الأنا) مضمرة ولكنها تتناثر عبر كلمات الخطيب، فالذي يناشد آل بكر ويأمرهم بالقتال من المؤكد ترتفع عنده الأنا بوضوح و إن لم ينطقها بالتصريح وكذلك في خطبة كسرى حينما قدم على النعمان، وافتخر الروم والهند والصين بملوكهم وبلادهم، "فقال كسرى وأخذته عزّة الملك يا نعمان، لقد فكرت في امر العرب" [2].

ج- **سلطة الرمز**، هنا يركز المحاجج على أفعال شخصيات معينة وأحكامها كحجة على صحة ما يقول، وهذا هو أساس الترميز لديه وذلك " بالانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه مثلما ينتقل من العلم إلى الوطن ومن الصليب إلى المسيحيّة "[3]، وأحيانا تكون سلطة الرمز استراتيجيّة في إقامة الحجّة على من يحاجج على

(١) الأمالي: ٩٢/١.
(٢) العقد الفريد: ١٠١.
(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته و تقنياته، عبد الله صولة: ٢١٤.

الأخص لو كانت سلطة الرمز لها بعد سلبي يوحي بما لا يريد الطرف الآخر، وهذا مثلا قد لمسناه في مما جاء وقال الخسّ لابنته هند: أريد شراء فحل لإبلي. قالت: "إن اشتريته فاشتره أسجع الخدين، غائر العينين، أرقب، أحزم أعكى، أكوم، إن عصي غشم، وإن أطيع تجرثم".

لا يعني سؤال الاب أبنته عن صفات فحلٍ يريد شراءه لإبله غبناً للرجل ووصفاً له بجهل تلكم الاوصاف التي يسأل عنها، وإنما هو امتحان العقل ابنته، واستكشاف لطبيتها الأنثوية، ورؤيتها للرجل، وهذا ما لا يمكن اطّراحه من الصفات التي حددتها لهذا الفحل من الابل الذي يزعم أبوها انه يرغب في شراءه لإبله.

لقد وصفت الفحل لابيها بثمان صفات، جاء منها خمس على أفعل التفضيل التي تستدعي المطلقة لما يتمتع بهذه الصفات، وأولها: اسبح الحذين، وهو لين الخد، ونحور العينين وبعدها داخل الرأس ثم تنتقل بالصفات واحدة تلو الأخرى.

فإذا جاء بهذه الصفات للجمل ارتدت بالإيجاب على علاقته بالنوق، فإن عصته الناقة غشمها وغصبها على نفسها، وان اطاعته صبر عليها وقوي على ضرابها وهذا كله دلالة رمزية محاجية اقناعية الى اختيار الزوج.

٢- حجّة النصيحة

هذه الحجّة باعتبارها حجّة قصديتها تعليم القيم والسلوك السليم يقوم المحاجج فيها بكل وعي بتثبيت القيّم الإيجابيّة وادّعاء تمثلها وأحيانا يقوم بتجريد الطرف الآخر من تلك القيّم، وكذلك أحيانا عديدة يكون حريصا على التعدديّة الثقافيّة في إطار التعايش بين فئات مختلفة في العرق والدين والأيديولوجيّة والطبقة إذ يقدم مقاربة تفهميّة لواقع التعدديّة حتى يمكنه التأثير في الآخرين، واستحضار القيّم في الحجاج لم يكن بتثبيت القيّم الإيجابيّة بل محاولة تجريد الطرف الآخر كما تجلى ذلك في رسالة أكثم بن صيفي التميمي إلى النعمان بن خميصة البارقي ناصحا إياه في قوله " قد حلبت الدهر أشطره، فعرفت حلو ومرّه، كل زمان لمن فيه في كل يوم ما يُكره، كل ذي نصرة سيخذل...، إنّ قول الحق لم يدع لي صديقا"[١]، وكذلك روت

(١) مجمع الامثال: ١٤٥/٢.

كتب التراث أنّ مرّة أبا جساس أرسل إلى المهلهل قائلا: " إنّك قد أدركت بثأرك وقتلت جسّاسا، فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف و أصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وأنكأ لعدوهم "(١).

في هذه الرسالة نصيحة مرّة والد جسّاس يطلب من خصمه الصلح خصوصا بعد مقتل القاتل إذ أخذ ثأره والقاتل قُتِل فلِمَ الحرب، فالصلح أجدى لجميع الأطراف.

٣- حجّة الوقائع

هي حجة الواقع الذي تتأسس على معايير عمليّة ومعلومات موثوق فيها يتفق عليها أغلب الناس، ويكون المحاجج مستندا إليها في توثيق وبرهنة ما يقول محققا نسق الصدق إلى أبعد حد لدى ذهن المتلقي من منطلق أنّ الحجاج في إحدى زواياه هو محاولة للخروج بالمستمع من دائرة الشك إلى فضاء اليقين في قضية ما، وعند النظر في النثر القديم نلاحظ أن المحاجج يأتي بأدلة واقعيّة حقيقيّة، وهذا يعني الانفتاح على الحقيقة والواقع ومحاورة الماضي كاستراتيجيّة حجاجيّة في تقويم الطرف الآخر في البعد الزماني، فالحجة الحقيقيّة تخترق الأزمان ويمكنها أن تكون فارقا في تزكية رأي دون غيره كما اتضح ذلك من دهاء العرب وحسن تمرسهم بالمعضلات وقدرتهم الفائقة على حلها من أشهرها رسالة ناشب الأعور العنبري إلى قومه " وكان أسيرا في بني سعد، وقد تجمعت اللهازم لتغير على تميم، فسألهم أن يعطوه رسولا يرسله إلى قومه يوصيهم بحنظلة المرثدي خيرا – وكان حنظلة أسيرا في بني العنبر – فقالوا له: على أن توصيه ونحن حضور، وأتوه بغلام فادّعى الأعور أن الغلام أحمق، وملأ كفه من الرمل وسأله: كم هذا في كفي؟ فقال الغلام: شيء لا يحصى كثرة، ثم أومأ إلى الشمس وقال: ما تلك؟ قال هي الشمس، قال: فاذهب إلى قومي، فأبلغهم عني التحيّة وقل لهم يحسنوا إلى أسيرهم ويكرموه، فإني عند قوم محسنين إليّ مكرمين لي، وقل لهم: يقرروا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي العيساء بآية أكلت معهم حيساً ويرعوا حاجتي في أبيني مالك وأخبرهم أن العوسج قد أورق وأن النساء قد اشتكت، فلما أتاهم الرسول وأبلغهم بذلك، قالوا: ما نعرف هذا الكلام، ولقد جنّ الأعور بعدنا، فقال هذيل بن الأخنس: يا بني العنبر قد بين لكم صاحبكم: أمّا الرمل الذي قبض عليه فإنه يخبركم أنه أتاكم عدد لا يحصى، وأمّا الشمس التي أومأ إليها فإنه يقول: إنّ ذلك أوضح من الشمس، وأمّا جمله الأحمر فهو الصّمان يأمركم أن تعروه، وأمّا ناقته العيساء فهي الدهناء

(١) الكامل: ٤٨٢/١.

يأمركم أن تحترزوا فيها وأما أبناء مالك فإنه يأمركم أن تنذروا بني مالك بن حنظلة ما حذركم، وأن تمسكوا الحلف بينكم وبينهم، وأمّا العوسج الذي أورق فيخبركم أن القوم قد لبسوا السلاح وأمّا تشكي النساء فيخبركم بأنّهنّ عملن شكاء يغزون به، وأراد بالحيس أخلاطا من الناس قد غزوكم "[1].

ثالثاً: تتابع الأسئلة بوصفها آلية حجاجيّة

يعدّ السؤال هو المدشّن للحجاج وهو ليس بالمجازفة الإقناعيّة بل على العكس هو المنشط الرسمي لمجريات الحجاج وذلك بمعرفة أثرتلك الأسئلة عبر عدة أمور منها:

١- مركزية الأسئلة

يعدّ السؤال هو بؤرة الحجاج على الصعيد العلني أو الخفي، لأن المحاجج يدلّي برأيه ويدافع عن حجته منطلقا من مبدأ الإجابة عن السؤال المركزي الذي يريد إثبات صحته إذ أن الاختلاف الفكري بين الذوات المحاججة التي مركزيتها القيمة المهيمنة على السؤال؛ إذ يعد هذا السؤال استراتيجيّة حجاجيّة في فن المواجهة القوليّة التعبيريّة، وكذلك يعدّ أداة فعالة كفيلة بالرد على سؤال الخصم واستجواب استراتيجيّاته.

أنّ السؤال هو مركز الحجاج بوصفه مشكلا يجب معالجته ومن ثمَّ ينخرط في التفاوض حول القضية، ويكون بذلك السؤال انطلاقا للحجاج ومحركا لطبيعة الاستدلال؛ بمعنى آخر إذا فقد الحجاج السؤال فقد الاستدلال والإقناع كما جاء ذلك في المحاورة بين معبد بن زرارة وعمرو بن هند عندما أحبّ معبد بن زرارة أن يعتذر لعمرو بن هند ويستغفره لقومه " فركب إليه بعد يوم أوراه وانتظر خروجه إلى الصيد، فلما رآه داناه واعترضه في الصحراء، يريه أنه قادم من سفر فقال له عمرو: من أين أقبلت أيها الراكب؟ قال: من بلد سماؤه غبراء، وأرضه قشراء وتربه مور وماؤه غور وأهله يتكنفون بالغثاث ويتقرمصون في البراث فالطفل مرموع واليافع مقصوع فلا مسكة لفقير ولا صمتة لصغير ولا حراك لكبير "[2].

إذا كان الحجاج مطارحة فكرية معرفيّة، فإن البنية الحجاجية تتوقف على الإنتاج المستمر للأجوبة التي يتفنن المحاجج في عرضها، وهذا يعني أن السؤال هو الذي يغذي موقف الحجاج إذ يساير التوليد الفكري لمسار السؤال، وكذلك الخصائص المعرفية والاستدلالية للأسئلة تجعلها في قلب التفاعل الحجاجي

(١) الكامل: ٥٦٢/١.
(٢) المصدر نفسه: ٥٥٨.

بما يتمظهر فيها من استفسارات واستفهامات تشغل أطوار الحديث كما رأينا في المحاورة السابقة إذ يقول ابن وهب " ومن الاستفهام ما يكون سؤالا عما لا تعلمه لتعلمه "[١] بوصف تلك الأسئلة أهدافا إقناعيّة.

٢- أبعاد الأسئلة

السؤال في الموقف الحجاجي يمتلك عدة أبعاد باعتباره العنصر المحفِّز والمنشط لمجريات العملية الحجاجيّة ومن هذه الأبعاد:

أ- بُعد التقرير

هذا النوع من الأسئلة ليست أسئلة استعلام أو استخبار لأن إجابتها معروفة مسبقا لدى المحاجج بوصفها أسئلة تقريريّة، والتقرير حسب ابن وهب " يكون سؤالا عما تعلمه ليقر لك به "[٢]، ومثال على ذلك ما جاء في " أخبار بني أسد أن حجرا أبا امرئ القيس رقّ لهم فبعث في إثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهّن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة فقال لبني أسد: يا عبادي ! قالوا: لبيك ربنا، قال: من الملك الأصهب الغلاّب غير المغلّب في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصّخب هذا دمه ينثعب، وهذا غدا أول من يسلب، قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية لأخبرتكم أنه حجر ضاحية فركبوا كل صعب و ذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبَّته و قتلوه "[٣].

قام الكاهن بالسؤال الذي يعرف ويقر بإجابته ولكنه جعلهم يسألوه كي يقول لهم ما يريد وهي إجابة حتميّة تقريريّة، وكذلك من خطباء الأنصار سعد بن الربيع " وهو الذي اعترضت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها: من أنتِ؟ قالت: ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد ابن الربيع "[٤]، وإجابة ابنة سعد بن الربيع هي إجابة تقريرية عامة لمعرفتها بشهرة ومكانة أبيها في قبيلته.

(١) البرهان في وجه القرآن، إسحاق بن وهب: ٩٤.
(٢) المصدر نفسه: ٩٤.
(٣) الآمالي: ١٢٦/١.
(٤) البيان والتبيين، الجاحظ: ٣٨٥/١.

وكذلك يرى الجاحظ هذا النوع التقريري من الأسئلة كما ذكر في كتابه البيان والتبيين إذ قال " كانت خطبة قريش في الجاهلية – يعني حطبة النساء –: باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت "[1]، وهذا يعني الاستسلام للقدر والإجابات فيها واضحة ليس فيها صراحة و مباشرة.

ب–بُعد التجهيز

وتعد الاستفهامات والأسئلة هي وسيلة إقناع الخصم و تحضيره واستدراجه للمحاججة، إذ أنها تعتبر دعوة للحجاج وليس للترفيه بل مسؤوليّة جمّة نابعة من دافع اجتماعي أو مذهبي أو فكري، وهنا يكون السؤال وسيلة لإقحام الخصم في المواجهة، وأكبر مثال على هذا السجع الذي كان يستخدمه الكهان كآليّة إقناع للخصم، وفي حادثة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة حدّث أنّه " اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى رسول الله أنّ ديّة جنينها غرّة: عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها... فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق لا استهل، فمثل ذلك يطّلّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنما هذان من إخوان الكهان، من أجل سجعه الذي سجع "[2].

أنّ بُعد تجهيز الأسئلة عاملا مهما للقدرة على مجاراة الدورة الحجاجيّة (كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق لا استهل) فهنا استفهام يريد إجابة مباشرة لأنه غير منطقي بالنسبة للطرف الآخر.

ج–أثناء الاحتدام

ينطوي السؤال في افتتاح الحجاج على مقصديّة الاختلاف ورصد المسافة بين المتحاجين، ولاشك أن عملية التفاعل الإقناعيّة تزداد ديناميتها مع بروز الأسئلة، والأسئلة تنمو وتبرز في القضايا الخلافيّة، وقصة المرقّش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف ومان من عشقه لها وهو غلام ومحاولته خطبتها من أبيها واعتذار الأب له بحداثة سنه وأنه لم يعرف بعد بشجاعة وما كان من انطلاق المرقّش إلى بعض الملوك ومديحه له وبقائه عنده زمنا، وفي هذه الأثناء أصاب عوفا زمان شديد فأتاه رجل من مراد فأرغبه في المال فزوّجه ابنته على مائة من الإبل ورحل بها إلى أهله، وقال إخوة المرقّش لا تخبروه بخبرها حين

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٤٠٨/١.
(٢) كتاب احكام الاحكام، شرح عمدة الاحكام، ابن دقيق العيد: ٢٣٠/٢.

يرجع، بل قولوا لها إنها ماتت، وذبحوا لذلك كبشا، أكلوا لحمه و دفنوا عظامه، فلما قدم المرقش قالوا له إنها ماتت، ولم يلبث أن عرف الحقيقة بعد أن ظل مدة يعود قبر الكبش ويزوره، وخرج المرقش يطلب أسماء وبعد مغامرات يتعرف على راعي زوجها ويتوسل إليه أن يحدثها عنه، فيقول له: إني لا أستطيع أن أدنو منها و لكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عنزا فتأتيها بلبنها، فقال له مرقش: خذ خاتمي هذا فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه وإنك مصيب بذلك خيرا لم يصبه راعٍ قط إن أنت فعلت ذلك، فأخذ الراعي الخاتم، ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرح الخاتم فيه، فانطلقت الجارية وتركته بين يدي أسماء، فلما سكنت الرغوّة أخذته فشربته وكذلك كانت تصنع، فقرع الخاتم ثنيّتها، فأخذته واستضاءت بالنار، فعرفته فقالت للجارية: ما هذا الخاتم؟ قالت: مالي به علم فأرسلتها إلى مولاها وهو بنجران، فأقبل فزعا، فقال لها: لم دعوتني؟، قالت له: ادع عبدك راعي غنمك، فدعاه، فقالت: سلْه أين وجد هذا الخاتم، قال: وجدته مع رجل في كهف خبَّان، فقال لي: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيرا وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر رمق، فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش فأعجل الساعة في طلبه، فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء وقال: قبل أن يموت:

سـرى ليـلا خيـالٌ مـن سليـمى فـأرّقـني وأصحـابي هجـودُ

فبـتُّ أديـر أمـري كـل حـال و أذكـر أهلـها وهـم بعـيد

سكـنّ ببلـدة وسكنـتُ أخـرى وقطّـعت المـواثق والعهـودُ

فـما بـالي أفـي ويُخـان عهـدي ومـا بالـي أصـاد ولا أصـيدُ

ثم مات فدفن في أرض مراد"[1].

في هذا النوع من الأسئلة احتدم الحجاج في القصة في هذا المقطع (فعرفته فقالت للجارية: ما هذا الخاتم؟ قالت: مالي به علم فأرسلتها إلى مولاها وهو بنجران، فأقبل فزعا، فقال لها: لم دعوتني؟، قالت له: ادع عبدك راعي غنمك، فدعاه، فقالت: سلْه أين وجد هذا الخاتم، قال: وجدته مع رجل في كهف خبَّان، فقال لي: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيرا وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر

(١) الأغاني، الأصفهاني: ١٢٩/٦.

رمق، فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقِّش فأعجل الساعة في طلبه، فركب فرسه وحملها على فرس آخر)

السؤال الحجاجي ١ من الزوجة للجارية = ما هذا الخاتم؟

السؤال الحجاجي ٢ من الزوج للزوجة = لم دعوتني؟

السؤال الحجاجي ٣ من الزوج للزوجة = وما هذا الخاتم؟

فهنا احتدم الجدال بين الزوج والزوجة في الدورة الحجاجيّة بسبب هذا الخاتم بؤرة السؤال.

٣- ذبذبة السؤال ما بين الدفاع والمواجهة

تتحكم الأسئلة في أجوبة الخصم فمنها تكون الإجابة حصريّة محددة فمثلا السؤال: هل أكلت بيضا أم لحما؟ فإجابته محددة، ولكن السؤال: ماذا أكلت اليوم؟ تكون الإجابة لها تأويلات متعددة إذ يقوم المحاجج بتفويض الإجابة لدى الخصم فمثلا هنا قصة الحيّة والفأس التي رواها الضبي في كتابه (أمثال العرب) كأجّل مثال على هذا النوع من الأسئلة إذ " زعموا أنّ أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما، فأجدبت بلادهما وكان قريبا منهما وادٍ فيه حيّة قد حمته من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أني أتيت هذا الوادي المكلئ فرعيت فيه إبلي وأصلحتها، فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته، قال: فوالله لأهبطنَّ فهبط ذلك الوادي فرعا إبله به زمانا، ثم إن الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير ولأطلبنّ الحية فأقتلها أو لأتبعنَّ أخي، فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أني قتلت أخاك، فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم، قال: أفاعلة أنتِ؟ قالت: نعم، قال: فإني أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضيرها وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله ونمت إبله، حتى كان من أحسن الناس حالا ثم إنه ذكر أخاه، فقال كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان؟ فعمد إلى فأس، فأحدّها ثم قعد لها فمرت به، فتبعها، فضربها فأخطأها ودخلت الجحر، فرمى الفأس بالجبل فوقع فوق جحرها فأثّر فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه، ولما رأى ذلك تخوّف شرها وندم، فقال لها: هل

لكِ في أن نتواثق (نتعاهد) ونعود إلى ما كنا عليه، فقالت: كيف أعاهدك؟ وهذا أثر فأسك وأنت فاجر لا تبالي العهد "[1].

هنا تذبذت الأسئلة بين الحيّة و الرجل ما بين دفاع و مواجهة على النحو التالي:

- السؤال: (ألا ترى أن أحدا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته)
- ✓ الإجابة: قال: فوالله لأهبطنَّ فهبط ذلك الوادي فرعا إبله به زمانا، ثم إن الحية لدغته فقتلته.
- النتيجة ن = مواجهة كانت نهايتها لدغة الموت (الحجة الأولى).
- السؤال: فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم؟
- ✓ الإجابة ١: قال: أفاعلة أنتِ؟
- ✓ الإجابة ٢: قالت: نعم
- ✓ الإجابة ٣: قال: فإني أفعل
- النتيجة ن = الأمان من الخيانة والقتل (الحجّة الثانيّة) وهي الدفاع عن النفس.
- السؤال لنفسه: فقال كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان؟
- ✓ الإجابة: العزم على قتل الحية
- النتيجة ن ١: محاولة قتلها و لكن دون إصابة الهدف (الحيّة)
- النتيجة ن٢: الخوف منها و رمي الفأس على الجبل (أداة القتل) الحجة الثالثة وهي الخوف من المواجهة.
- السؤال: فقال لها: هل لكِ في أن نتواثق (نتعاهد) ونعود إلى ما كنا عليه؟
- ✓ الإجابة ١: الرد بسؤال، فقالت: كيف أعاهدك؟
- ✓ الإجابة ٢: هذا أثر فأسك وأنت فاجر لا تبالي العهد.
- النتيجة ن = عدم إعطائه الأمان مرة أخرى (الحجة الأخيرة) لا تُلدغ الحية من جحرها مرتين (تبرير القتل).

(١) أمثال العرب، الضبي: ١٠٦.

رابعاً: المقام والأداء

١ – المقــام بوصفه آليّة إقناع

للمقام مكانة خاصة بوصفه آليّة إقناع في كل تواصل وتفاعل حجاجي من أجل إحراز المنفعة إذ يقول بشر بن المعتمر صاحب الصحيفة المشهورة في البيان والتبيين راويا عنه الجاحظ " والمعنى ليس بشرف أن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال "[١]، وعند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قد تعاقبت العديد من المصطلحات الدالة على هذا الشرط وهي (الموضع – المقام – الحال – الأقدار – المشاكلة – المطابقة) وكلها " فروع من أصل ثابت في تفكيره (الجاحظ) لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي هو فكرة المناسبة والملاءمة "[٢]، وهنا يمكن القول أن المقام عند الجاحظ هو تداوليا إذ يقوم بالدوران حول القول، فمثلا المحاجج محكوم باعتبار خصمه وجمهور المستمعين، وكذلك باعتبار التناغم بين غرضه وانعكاس وبلاغة قوله والسياق الذي يدور في المقام، وهذا يعني أن المحاجج يقتضي من مخاطبه موافقة الحال بمعنى مراعاة المحاجج لمكانة ومقام من يخاطب من الناحية الاجتماعية؛ وكذلك قوله لا يفي كونه آليّة إقناع إذا لم يكن موجها صوب الفئة المخاطبة التي تقتضيها أوضاعهم الخاصة، وذلك بسبب تفاوت واختلاف المكانة والوضعيّة والإدراك والأفهام، وهذا كله يؤثر على المحاجج إذ يجعله يوائم بين طبقات اللغة والتعبير وطبقات أحوال المُخاطَبين.

وهنا ترى الباحثة أن المقام غايته إفهام كل فئة حسب طاقتها واستيعابها والتوجه إليهم على قدر مكانتهم فتكون للمحاجج القدرة على أن يجعل " لكل طبقة كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[٣].

ما سبق كان المبدأ الأوّل الذي مفاده أن هيمنة ونجاح المحاجج مرهونة بوعيّه لطبيعة المخاطَبين وظروفهم ونفسيتهم ومواقفهم إذ يكون قوله مقنعا حاملا في طياته ما ينتظره المخاطَبون منه، أمّا المبدأ

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٨١/١.
(٢) التفكير البلاغي عند العرب، أسسه و تطوره إلى القرن السادس مشروع قراءة، حمادي صمود، منشورات كلية آداب منوبة، تونس ط٢: ٢٠٩.
(٣) البيان و التبيين، الجاحظ: ١٣٨/١.

الثاني حسب ما يرى الجاحظ أنه يجب عدم الفصل لدى المتكلم عدم الفصل بين قصده من الكلام وصورته؛ إذ لكل مقام بناء مناسب وهذا يعني لديه أن البلاغة تنبثق منها عدة بلاغات، والقول يصف ويؤثر حسب كل مقام، بمعنى آخر للإيجاز مقامه وللإطناب مقامه وكذلك الإطالة وغيرها، أي أنّ لكل وجه مقصد مخصوص ملزما المحاجج به في المقام فمثلا تستعمل " الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة.... والمنثور في خطب الحمالة وفي مقامات الصلح وسل السخيمة والقول عند المعاقدة والمعاهدة "(١).

وهذا يعني أن المتلقي يستجيب في حال انسجام القول مع الغرض ولا يكون ذلك إلا بالإقناع وبدون " احترام القصد والغفلة عن علاقة صورة الكلام بوظيفته قد يتجاوز الإخلال بها إلى خلق حالة في السامع معاكسة لما كنا نروم منه "(٢).

ونرى هنا أنّ الجاحظ كان مصرا على رأيه في أنّ مطابقة المقال للمقام هو وسيلة إقناعيّة، وليست مظهرا أسلوبيا بحت غرضه التباهي فقط، فهذا يعود بلا جدوى على غرض المحاجج، وهذا يترجم حرصه على نجاح تلك الاستراتيجية من أجل خدمة الغاية الإقناعيّة، والمقام في الإقناع هو عبارة عن الظروف الخاصة التي ينبثق عنها الفعل والتفاعل الحجاجي، وكذلك هو عنصر مهم في موافقة فعل المحاجج مقام مقتضى الحال، أي أنّ هناك علاقة ترابطيّة برهانيّة بين بنيّة القول الحجاجي والمقام إذ تنبثق منها الحجّة، وكذلك فعل القول بوصفه حدثا حجاجيّا وفق مفهوم الحدث في حالة صدامه أو إصابته أو قبوله أو وصوله الهدف مع الطرف الآخر، ويعدّ استراتيجيّة فاعلة في تغيير معارف المتلقي؛ بمعنى آخر هو أن من داخل المقام يتحدث المحاجج وينطق بما يقول معبرا عن المعنى والقضيّة التي يريد مدافعا عن حجته حتى تحيله إلى شيء ما هو يعدّ هدفه المنشود من البداية، والدراسات الحديثة تتجه نحو ربط النصوص الحجاجيّة بالمقام في الخطاب ولذلك يعدّ المقام عنصرا فعالاً وقويّا بل رئيسيّا في التفاعل الحجاجي إقناعيّا.

وكذلك ترى الباحثة أنّ الفعل الحجاجي هو نشاط مرتبط بالمقام لا فكاك منه ليس في طبيعة القول نفسه بل الخطاب والسياق والمغزى الموجّه للمتلقي، وهو الذي يعمل على قوة الترابط بين الفعل والمقام، وهذا كله يحيلنا إلى المقام بوصفه محورا في البحث، وكل تلك العناصر التي تؤدي إلى عمل المقام بصورة مؤديّة للغرض لا يمكن فصلها عن المقام بتاتا من شدة ترابطها و تفاعلها معه.

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٣٠١/٣.
(٢) التفكير البلاغي حمادي صمود: ٢١٢.

ويرى الناقد بيرلمان أنّ المقام هو البؤرة التي تلتقي فيها عناصر الحجاج من قول وفعل وحقائق علميّة وقرائن بلاغيّة وقيم بأقسامها، وتفاعل تلك العناصر بمكانة الشخصيات التي تقوم وتشارك في هذا المقام، وهذا كله بوصفه أسسا حجاجيّة تُطرح بصيغ مختلفة في المقام، وذلك لأنّ المتلقين تجمعهم الشراكة مع عناصر الحجاج الطرف الأول والآخر في معالم تركيبتهم الشخصية واهتماماتهم وميولهم، فمثلا الشعراء والأدباء ومحبي الأدب والبلاغة كانوا يصرون على حضور سوق عكاظ بوصفه مكانا يثلج صدورهم بما يبحثون عنه، ولكن يظل الأمر متذبذا بين المتلقين حسب طبيعة وتكوين كل متلقٍ ومستمع الثقافي والفكري وإدراكه لما يسمع.

فمثلا في النثر الجاهلي المحاججّة التي جمعت بين الملك كسرى والنعمان بن المنذر في المقام الذي كانت تفوح منه المفاخرة والهجاء، وكذلك يرتكز فيها المتكلم على معايير بيرلمان التي تربط المقام مع الموضوع و الحدث و تتمثل في ":

١- ذكر حقائق فعليّة وأحداث معينّة لا يشك المخاطبون في ثبوتيتها المرجعيّة؛ لكن ذكرها في الخطاب أو النص لابدّ أن يكون له طابع حجاجي.

٢- لن يتوفر الطابع الحجاجي إلا إذا أحدثت ذكر تلك الحقائق صراعا جدليّا مع أحداث أخرى كان المخاطب يتوقع ذكرها، لكن المتكلم رغب عنها لأجل خلف إطار منطقي للحقائق التي اختارها وكذلك لكي تصير فعلا هي الملائمة للمقام "[١].

وهنا يمكن توضيح هذا الترابط بين عناصر المقام بوصفها القرائن النصيّة التي تقدم التفسير والتحليل للمقام من حيث محاور عدة تم تقسيم النص فيها قرائن نصيّة وهي قرائن قولية وقرائن تتعلق بالحجم وقرائن تهتم بالتنظيم من حيث:

١- **الرؤية من خارج المقام** تنقسم على ثلاثة أقسام:

أ- **طبيعة الكلام:** ما هي المحاور المراد الحديث عنها في حضور عناصر المقام بوصفها الأساسيّات؟ وذلك في رد عامر بن الظرب العدواني على خاطب ابنته صعصعة بن معاوية " يا صعصعة، إنك جئت تشتري

(١) مفهوم الحجاج عند بيرلمان: ٨٥.

مني كبدي وأرحم ولدي عندي[1]، فالمحوران هنا الخاطب صعصعة وابنة عامر بن الظرب في مقام الخطبة، فهنا الكلام كان ينم عاطفته الجياشة تجاه ابنته، فالكلام طبيعته الحب الأبوي الفطري.

ب- **حجم المقال في المقام:** ما هي الأساليب المتبعة في النص؟

كما جاء في خطبة أبو طالب للسيدة خديجة " الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم و ذريّة إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا وجعلنا الحكام على الناس، ثم إنّ محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح عليه برّا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا، وإن كان في المال قل فإنمّا المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليّ "[2].

فالكلام يدل على قيمة الخاطب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح عليه برّا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا)

ج- **تنظيم الكلام:** ما الأدوات الدّالة على تنظيم النص؟ فمثلا في خطبة أبو طالب للسيدة خديجة رضي الله عنها السابقة بدأ كلامه بالحمد وذكر مناقب أهل الخاطب ثم ذكر مناقب سيدنا محمد الخاطب وهو المحور الأساسي في الخطبة ثم تطرّق إلى السيدة خديجة العنصر الآخر في الخطبة مستخدما روابط حجاجيّة (ثم – من – لا – إن – إلا).

٢- **حركيّة النص** و تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- **طبيعة الكلام:** هل هناك أدوات معينة تعمل على إبراز وجهة نظر معينة في المقام؟ هنا أبرز أبو طالب أن قلة المال ليس عيبا فيه لأنه زائل وتبقى الأخلاق وهي الأهم (وإن كان في المال قل فإنمّا المال ظل زائل) وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك،

ب- **حجم المقال في المقام:**

- ما آلية توزيع القرائن في المقام؟ عدّد أبو طالب مناقب سيدنا محمد ما بين قرائن تتعلق بقبيلته وأهله وقرائن تتعلق به نفسه.

(١) مجمع الامثال: ٢١٣/١؛ العقد الفريد: ٢٢٣/٣.
(٢) صبح الأعشى: ٢١٣/١ ؛ تهذيب الكامل: ٤/١.

- هل يمكن معرفة الخطوط الدلالية المختلفة الرأي ووجهة النظر؟

- الخط الدلالي الأوّل ووجهة نظره بالنسبة لأهل الخاطب: التباهي والتفاخر بالقبيلة والأهل (الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم وذريّة إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا وجعلنا الحكام على الناس)
- الخط الدلّالي الثاني ووجهة نظره بالنسبة للخاطب نفسه: التباهي و التفاخر بأخلاق الخاطب (لا يوازن به فتى من قريش إلاّ رجح عليه برّا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا).
- الخط الدلالي الثالث بالنسبة للمال: اعده شيء لا أهمية له وليس عيبا يعيبه كما أورد في خطبته وجهة نظره (وإن كان في المال قل فإنمّا المال ظل زائل وعارية مسترجعة)
- الخط الدلالي الرابع ووجهة نظره بالنسبة للمخطوبة: التباهي بالمخطوبة السيدة خديجة (وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك)

ج- **تنظيم الكلام:** كيف تجلّت شكليّات النص من حيث نوع الخط وعلامات الترقيم والرسالة والسلم والرابط الحجاجي في إخراج النص؟

ومثال ذلك من سجع الكهان من خبر طويل رواه الأصفهاني صاحب الأغاني " كان قسيّ بن منبه مقيما باليمن، فضاق عليه موضعه، فأتى إلى الظرب العدواني.. فوجده نائما تحت شجرة فأيقظه، وقال: من أنت؟ قال: أنا الظرب، قال: علي أليّة إن لم أقتلك أو تحلف لي لتزوجّني ابنتك، ففعل وانصرف الظرب، ومشى معه، فلقيه ابنه عامر بن الظرب، فقال: من هذا يا أبت؟ فقص قصته، قال عامر: لله أبوك لقد ثقف أمره فسميّ يومئذ ثقيفا، قل وعُير الظرب بتزويجه قيسا، وقيل: زوجت عبدا فسار إلى الكهان يسألهم، وانتهى إلى شق، وكان أقربهم منه، فلمّا انتهى إليه قال: إنّا قد جئناك في أمر فما هو؟ قال شق: جئتم في قسي وقسي عبد إياد، أبق ليلة الوادي، في وج ذات الأنداد، فوالي سعد اليفاد، ثم لوى بغير ميعاد.. ثم توجهوا إلى سطيح الذئبي.. فقالوا: إنا جئناك في أمر ما؟ قال سطيح: جئتم في قسي وقسي، من ولد ثمود القديم، ولدته أمّه بصحراء تريم، فالتقطه إياد وهو عديم، فاستبعده وهو مليم "[1]، فهنا قد تجلّت علامات الترقيم ما بين الفاصلة والنقطة وعلامة الاستفهام والنقطتين الرأسيتين

(١) الأغاني، الأصفهاني، ٧٥/٤. وج: واد بالطائف، اليفاد: أحد بطون العرب، تريم: موضع.

٣- **الدورة الحجاجيّة:** إلى أي مدى كانت الفرضيات المطروحة مصوغة و ما مدى تناسقها فيما بينها مع النص الكلي؟

قد تجلّت الدورة الحجاجيّة بوضوح في موقف مرثد إذ " كان مرثد الخير بن ينكف قيلا، وكان حدبا على عشيرته محبا لصلاحهم وكان سبيع بن الحارث، وميثم بم مثوب بن ذي رعين تنازعا الشرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حييهما شر، فيتفانى جذماهما، فبعث إليهما مرثد وقال: " إنّ التخبط وامتطاء الهجاج واستحقاب اللجاج سيقفكما على شفا هوّة في توردها بوار الأصيلة وانقطاع الوسيلة، فتلافيا أمركما قبل انتكاث العهد وانحلال العقد وتشتت الألفة، فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح وخالف الرشيد وأصغى إلى التقاطع ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم وكيف كان صيور أمورهم فتلافوا القرحة قبل تفاقم الثأي "(١).

المقام يعطي الضوء الأخضر لانبثاق الرسالة اللّغوية منه والتي هي شديدة الصلة بدورها بعناصره المعنويّة والموضوعيّة والخلافيّة والمكانية، فيكون كل محاجج حاضرا برأيه وواثقا منه مستهدفا الخصم في زعزعة ثقته بنفسه وتأثيره عليه إذ أنّ الحجاج بالمشافهة يساهم في " جعل المشهد الحجاجي حيّا بتعدد الأسئلة وتواتر الاعتراض وتباين الردود والتنافس في تقديم الحجة وتوظيف ملامح الوجه وحركات اليد و إشارات العين في التعبير عن مواقف تواصليّة معينة وعن مواقف حجاجيّة محددة، وبذلك عضد التعبير الإشاري / التعبير البياني / البرهاني في البوح وطلب الإقناع "(٢).

وكذلك كانت خطب الجاهلية – دون عناصر النثر الأخرى– حجاجيتها ترتفع وتيرتها وتزداد في مواضع وأماكن محددة حسب مكانة الخطيب مثل أكثم بن صيفي وقس بن ساعدة الإيادي " فكانوا يخطبون على رواحلهم في الأسواق العظام والمجامع الكبار "، وقد ارتدوا العمائم على رؤوسهم وأثناء خطبهم كانوا " يمسكون العصيّ والمخاصر والقضبان والقنا والقسي راكبين أو واقفين على مرتفع من الأرض، وأشار إلى ذلك لبيد إذ يقول:

(١) الآمالي: ٩٢/١.
(٢) استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي و فرنسوا هولاند،، أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، فرنسا، مايو / ٢٠١٣: ٤٧.

مـــــا إنْ أهـــاب إذا السرادقُ عمـّهُ قـــــــرع القِسِيِّ وأُرعـــــشَ الرّعـــديدُ " [١]

أنّ دقة الموقف تقتضي رصانة ومجهود ذاتي تستدعي " موافقة أفعال القول لمقتضى الحال "[٢].

هذا غير مستغرب في شبه الجزيرة العربية التي اتصف أهلها بالبلاغة وفصاحة القول؛ إذ كان هذا المجتمع يوفر للخطباء والمتحاجين أماكن مشهورة مثل سوق عكاظ بوصفه يشجع على التفاعل والتواصل ويفتح المجال للخطاب الحجاجي والإقناعي وهذا ما تأسست عليه تلك الأماكن إذ كان المقام الأهم في التبادل الحجاجي ونقل وجهات النظر والتأثير على الآخرين من هذا المقام الفعّال، وكذلك آليّات الإقناع السمعيّة و البصريّة تساعد في تفعيل الحجاج وتوسيعه وتأثيره على المستمعين.

٢ – الأداء

الحجاج بين طرفين أو أكثر يعدّ ساحة سيمولوجيّة مكثفة تتفاعل فيها البلاغة اللفظيّة مع التعبيرية الحركيّة والصوتيّة من أجل توصيل الرسالة وبلوغ الهدف المنشود حاملة في طياتها دلالات متعددة، إذ يقوم المتلقي بتأويلها حسب إدراكه ومرجعيّاته في تأويل ما يسمع ويرى عبر استراتيجيّات الحجاج التي يستخدمها المحاجج في تأثره عليه ومن هذه الاستراتيجيات:

أ- المشهد المكاني

كانت الأماكن المرتفعة التي يعتليها الخطيب وكذلك الأسواق المشهورة مثل سوق عكاظ وأيضا مجلس شيخ القبيلة كلها مشاهد تؤثر على المستمعين من حيث تأثير المكان عليهم بوصفها تعمل على التفاعل بين الأطراف وكذلك على جديّة الهدف المتوخى تحقيقه عبر آليّة الجدال والإقناع " والرصانة والجد والاضطلاع بالمسؤوليات الكبيرة ومواراة الانفعال"[٣]، وكلها دلالات تستقطبها تلك الأماكن لما تقتضيها من وقار وهيبة ودقة في اختيار العبارات واتخاذ القرارات، وهنا تكون الرؤية البصريّة سندا للمحاجج وحجة للمستمع الهدف كما تظهره خطب الزواج في العصر الجاهلي التي تعتبر شكل من أشكال رقي العرب وعاداتهم الإنسانيّة الجميلة، ومضمونها أن يعلن الخطيب بوصفه كبير عائلته محاسن ذلك الخاطب كي

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ٣٣؛ البيان والتبين، الجاحظ: ٧/٣.
(٢) آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان، هاجر مدقن، مجلة الأثر، مجلة الآداب و اللغات، العدد ٥، جامعة قاصدي مرياح، آذار، / مارس ٢٠٠٦: ١٩٢.
(٣) مسالك المعنى، سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٦: ٦٤.

يظفر بالقبول من أهل البنت، ويقف بعد ذلك خطيب آخر من أهل البنت المخطوبة يتكلم ويكون ردا لبقا يليق بالمستمعين ويترجم أخلاقهم، ومن أشهر الخطب خُطبة أبي طالب في خِطبة السيدة خديجة رضي الله عنها لمحمد صلى الله عليه وسلم التي ذكرناها خلال البحث.

بأن لرد أهل المخطوبة الذي جوهره القبول وإطراء الخطيب البليغ للخاطب والمخطوبة الذي يحمل بين طياته نصح الأب وتوديعها وتحميل الخاطب مسؤوليتها بعد أبيها، وقد تجلّى ذلك في قول عامر بن الظرب العدواني في الردّ على خاطب ابنته صعصعة بن معاوية " يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدي، وأرحم ولدي عندي، منعتك أو بعتك، النكاح خير من الأيمة، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أب، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك، أفر من السر إلى العلانيّة، أنصح ابنا و أودع ضعيفا قويا "[1].

ب- المشهد الحركي

هناك العديد من الإشارات غير لفظيّة لكنها تكون ذات دلالات لغويّة يقوم المحاجج باستحضارها متى عزّت عليه اللغة كلماتها ولم تمده بالوصف الذي يريد، فهنا تنبثق عن جسده حركات جسديّة مثل هز الكتف والإيماءة و طأطأة الرأس ورفع الحواجب وتوزيع النظرات واستقامة الهيئة حتى يؤيد بها ما ينطق به بتلك الإشارات معززا حديثه، ويتجلّى هذا في النثر القديم كثيرا عند الخطباء إذ كان كل خطيب يثري المشهد الحركي بإشارات دالة من حين لآخر، وقد ردّ الجاحظ على عن عادة خطباء العرب من اتخاذهم العصي والمخاصر مبينا فوائد العصا قائلا " إنّ حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة، وذلك شيء خاص في خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم، حتى إنهم ليذهبون في حوائجهم، والمخاصر بأيديهم إلفا لها وتوقعا لبعض ما يوجب حملها والإشارة بها"[2].

وفي الحجاج يحاول النقاد صياغة استراتيجيّات إجماليّة تربط بين تلك التعبيرات والفعل الحجاجي لكن هذا لا يعني الإحاطة بكل الحركات السيمولوجيّة ودلالاتها، ومن السنن المتبعة في الحجاج كاستراتيجيّة مميزة في الأسواق والأنديّة والمواسم أنّ النثّار كانوا " يتسنمون الرواحل ليراهم القاصي والداني، ويلوثون

(١) مجمع الأمثال: ٢١١/١؛ البيان والتبين: ٣٧/٢.
(٢) البيان و التبيين، الجاحظ: ١١٧/٣.

على رؤوسهم العمائم فتزيدهم وقارا ويشيرون في أثناء النطق بالمخاصر والعصيّ والقسيّ، فتبلغهم هذه الإشارات الموزونة مواطن التأثير في نفوس القوم "[1].

ج- المشهد الصوتي

المشهد الصوتي عامل مهم للمحاجج في التفاعل الحجاجي مع المستمعين إذ يستعرض فنه القولي بطريقته الخاصة في تلفظ الكلمات وتذبذب الصوت بين العلوّ والانخفاض واستدعاء العبارات والنطق بها، وكل ذلك يُحسب في المؤثرات الصوتيّة الملازمة للتعبير اللفظي في عرض الحجّة مما يترك انطباعا أوليّا عن حالة المحاجج الفكريّة والنفسيّة مساهمة في رد فعل المتلقي.

وممّا يمتدح في المحاجج أن يكون " جهوري الصوت، شديد العارضة، قويّ الحجّة، كثير الريق، حاضر البديهة، حسن الالتفات، قويّ الشخصيّة، قادرا على إقناع الناس بما يرى أنه الحق، وربما لجأ الخطيب إلى اصطناع الجهارة في الصوت، واصطناع السعة في الشدق، والتلاعب بالصوت تضخيما وتفخيما وتوقيعا وتنغيما حتى يسحر السامعين بالصوت قبل أن يقنعهم بالحجّة "[2].

ومما قد أُخذ على الخطيب قديما " البهر والارتعاش، والعيّ والحصر والتلجلج والخوف من لقاء الناس ومس الذقن والسبال والشوارب، وكأنهم رأوا أنّ في ذلك شططا وإسرافا في الحركات المعبرة أو دليلا على إنطاق الجوارح بما يعجز اللسان عن النطق به "[3]، وكذلك كان يؤخذ عليهم ويمدح فيهم كما يرى الجاحظ أنه قال " وكانوا يمدحون في الخطيب ثبات الجنون وحضور البديهة وقلة التلفت وكثرة الريق وجهارة الصوت وقوته، وكانوا يعيبون فيه التنحنح والارتعاش والحصرَ والتعثر في الكلام، يقول النمر بن تولب:

أعـــــذْني ربِّ مـــن حصـــرٍ وعـــيٍّ ومـــــــن نفـــــسٍ أعالجُـــها عـــلاجا

ويقول أبو العيال الهذلي:

ولا حصـــــــــرٌ بخُـــطبـــــته إذا مـــــــا عـــــــزَّتِ الخُطَـــبُ "[4]

(١) الأدب الجاهلي، غازي طليمات: ٥٤٧.
(٢) ينظر: البيان والتبين، الجاحظ: ١١٧/١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥/١.
(٤) المصدر نفسه: ٣/١.

عند التمعن في النثر القديم نجد أنّ المشهد الصوتي قد عايش الحدث الحجاجي عاكسا قدرة المحاجج في التفاعل الحواري بينه وبين الطرف الآخر، وكذلك ضبط النفس وإقناع الخصم بوجهة نظره، وأحيانا يجري تحليل النبرة الصوتية ودلالاتها عند المتحاجين ومدى تعبيرها عن ذات المحاجج وتأثيرها الفعلي في المستمع المفترض.

إن المشهد الصوتي باعتباره خادما للفعل الحجاجي، وبالتالي مؤداه أن صوت الخطيب على امتداد لحظات القول قد كان يغلب عليهم الرصانة، نراه لا يتعجل النتائج ولا يهتم بالاستفزاز بل يرد الحجّة بالحجة، بمعنى آخر يرتفع صوت الأنا الفاعلة والقادرة على تحمل مسؤوليّة الإقناع (أنا) يقولها بلهجة عالية النبرة مرات متعددة توحي بشخصيتها القياديّة المتأهبة للحدس الحجاجي ومستعدة لتحمل المسؤولية سواء بصورة مباشرة أو ضمن عبارات مضمرة تنبثق عنها قوته الحجاجيّة وتمسكه برأيه وانفراده بالرأي السليم مثل خطبة الوعّاظ المأمون الحارثي الذي خطب في قومه قائلا:" أرعوني أسماعكم، وأصغوا إليّ قلوبكم، يبلغ الوعظ منكم إذ أريد..."(١).

وهنا يتوجب عليه النطق بالصوت الجهوري العالي المسموع يحمل في طياته الثقة بالنفس، وذلك على وتيرة السرعة والترتيب بصوت مرتفع وجمل متتالية، إذ لا يبدو عليه الارتباك والتوتر دلالة على ثقته برسالته اللغويّة وقدرته الفائقة على شد المستمع إلى فحوى المشهد الصوتي إليه مما يضفي على حجاجه من بدايته إلى النهاية إيقاعا موسيقيّا خاصا يغري من حوله لمتابعته.

وكثيرا ما كانوا " يتزيدون في جهارة الصوت وينتحلون سعة الأشداق وهدل الشفاه، ومن أجل ذلك قال الرسول صلوات الله عليه: إيايّ والتشادق، وقال: أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيقهون "(٢)، وقد كانت الخطابة لديهم مزدهرة في العصر الجاهلي تلبية للاحتياجات الاجتماعيّة والسياسيّة في المجتمع إذ " قد حذروا طويلا من شدة وقع اللسان، وقالوا إن جرح اللسان كجرح اليد وإنه عضب وقاطع كالسيف، يقول طرفة:

بِحُســـــام سيفـــك أو لســانك وال كَلِـــمُ الأصـــيلُ كـــأرْغَب الكـــلْمِ"(٣).

(١) الآمالي: ٢٧٦/١.
(٢) البيان والتبيين، الجاحظ: ١٣/١.
(٣) ديوان طرفة بن العبد: ٧٨.

وعند قراءة قصار الفقرات كما رواها الجاحظ يشعر القارئ أنهم كانوا " يبتغون التجويد في كلامهم، تارة بما يصوغونه فيه من سجع وتارة أخرى بما يخرجونه فيه من استعارات وأخيلة، ودائما يعنون ببهاء اللفظ وقوته ونصاعته، كما يعنون بوضوح الحجّة "[1].

د- التكرار

يعدّ التكرار لازمة بيانيّة يعمل الناثر على تكرارها سواء كانت بالقصد أو بالاعتباط؛ وهو ظاهرة لغوية دلاليّة في العبارات المنطوقة، ويراد بها غالبا التأكيد أو النفي إذ تعمل على شد انتباه المتلقي إلى أمر ما، وكذلك إبراز هذا الأمر، ووجود حضور الضمائر بصورة ملحوظة في النثر القديم إذ تتكرر في عدة صيغ كأنها تركز قولا وفعلا حول شيء ما، والتكرار يراد به الإخبار بقدرة الناثر خطيبا أو قاصا على ما يقتضيه الواقع من واجبات إذ يقترن ضمير المتكلم أو الضمير المخاطب في أكثر من مكان بذكر أفعال خاصة بهم (مثال: أريد)، تنبثق منها قوة الإرادة وشدة العزم والسعي لإقناع الطرف الأخر رغبة في تغيير حجته.

وكذلك يُلاحظ تكرار بعض الألفاظ بأكثر من كلمة في الجملة الواحدة؛ وهنا نكون نحن إزاء تكرار يقصد لفت الانتباه إلى مضمون هذه الكلمات من أجل تغيير واقع حضاري أو واقع مجتمعي أو شحن الهمم والنفوس بقيم معينة نحو الأفضل.

أن التكرار هو تكرار مقصود في الحدس الحجاجي، يترقب فيه المحاجج كشف نوايا الخصم وإقامة الحجة عليه، والتأسيس لذاته عبرة تقييد المتلقي، وتوظيف التكرار في أكثر من مكان له دلالات كثيرة لخدمة الغرض الحجاجي باعتبار أن المراد منه هو التأثير على الآخر كما لاحظنا في قصة حجر آكل المرار " فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم"[2].

وكذلك خطبة قس بن ساعدة الإيادي وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: " رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعُوا، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت "[3]، وكذلك نص تكهن سلمة بن المُغَفَّل، حينما حذرهم غزو بني تميم قال: " إنكم تسيرون أعقاباً، وتغزون أحباباً، سعداً ورباباً، وتردون مياهاً جباباً، فتلقون عليها ضراباً، وتكون غنيمتكم تراباً،

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ١٠٩/١.
(٢) الكامل، ذكر ايام العرب في الجاهلية: ٤٥٩/١.
(٣) تاريخ الكامل، ابن اثير: ٢٢٧/١؛ الأغاني: ٧٠/١٥.

فأطيعوا أمري، ولا تغزوا تميماً" لكنهم خالفوه، وقاتلوا بني تميم، فهزموهم هزيمة نكراء، وقال فيه الجاحظ " ولإياد خصلة ليست لأحد من العرب، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي رواه لقريش وللعرب وهو الذي عجّب من حسنه وأظهر من تصويبه وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال "(١).

هـ- المباشرة في الأسلوب

الأسلوب المباشر يكون فيه الخطاب الحجاجي واضحا وصريحا المقصود منه الهدف /الموضوع/ المتلقي من غير توريّة أو تمويه أو تلميح، والمباشرة هنا في الغالب تكون في المنجز اللغوّي إذ يسعى كل ناثر لتفصيل ما يريد معلنا مصداقيته أمام المخاطب؛ في المباشرة يكون أعلى درجات الخطاب الحجاجي المعبر عن الانحياز الذاتي لقضية ما، وكذلك الرد على موقف أو قضيّة أخرى يحاججه بها الخصم إذ هذا النهج في الفعل الحجاجي يعرّي المتلقي ويُعلي من قيمة الأنا الفاعلة للمتكلم إذ تعمل على السعي لتوجيه رؤية المستمع حول الهدف المنشود، وقد تجلّى التكرار في الخطب الجاهليّة وكذلك الوصايّا والامثال مثل ذلك، لمثل" أياك أعني واسمعي يا جراة وقصة هذا المثل هي ان سهل بن مالك الفزاري خرج يُريدُ النعمان، فَمَرَّ ببعضِ أحياءِ طَيء، فَسألَ عَن سيد الحي، فقيل له: حارثة بن لأم، فأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه، فقالت له أختُه: انْزِلْ في الرَّحْب والسَّعَة، فنزل فأكرمته ولاطفته، ثم خرجت مِن خِبائها فرأى أجْمَلَ أهل دهرها وأكمَلَهم، وكانت عَقِيلَةَ قومِها وسيدةُ نسائها، فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يَدْرِي كيف يُرسِلُ إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بِفناء الخِباء يوماً وهي تَسمعُ كلامَه، فجعل يُنشد ويقول:

يَا أُختَ خَيْرِ البَدوِ وَالحَضارَة كَيفَ تَرَينَ في فَتى فَزارَة

أصـــبَحَ يَهوَى حُرَّةً مِعطـارَة إيَّاكِ أعني و اسمَعي يا جارَة

فَلمّا سَمِعَتْ قَولَه عَرَفت أنه إياها يَعني، فقالت: ما هذا بِقَوْلِ ذي عقلٍ أريبٍ، ولا رأيٍ مصيب، ولا أنف نجيب، فأقِمْ ما أقَمْتَ مُكرَّما ثم ارْتَحِلْ متى شئت مُسلّماً.

(١) البيان والتبيين، الجاحظ: ٥٢/١.

فاستَحيا الفتى وقال: ما أردتُ مُنكَرا وا سوأتاه، قالت: صدقتَ، فكأنها استَحيَتْ مِن تَسرُّعِها إلى تُهمَتِه، فارتحل،"[1].

وهنا تلاحظ الباحثة اعتماد النثّار للمباشرة الأسلوبيّة معتمدة التكرار مع المستقبِل النهائي؛ ولعل أهم الخصائص التي تمثلت في تراوح اللغة في التكرار دلاليّا وبلاغيّا عملت على استحضار الخصائص بلغة الخطاب الحجاجي ما بين النفي والإثبات، وكذلك ما بين الطمأنة والتخويف والجمع والاستثناء.

(١) مجمع الامثال، الميداني: ٨١/١.

المبحث الثالث: قصديّة الحجاج

الحجاج هو واقع تواصلي بين أطراف ذات أفق خاص يجمعهم أطر معينة، وهذا يعني أن الحجاج ليس خطابا بريئا بل هو رسالة لغويّة تحمل في طياتها مقاصد عديدة من أهمها هو تفاعل الأطراف فيما بينها، وكذلك استمالة المتلقين والاستجابة لرؤية ونفسية المستمع من خلال الصبر عليه وتفهم انتظاره، وستقوم الباحثة هنا على تفصيل القول في ذلك على النحو التالي:

أولاً: تفاعل الأطراف

ما الحجاج إلا مقام تواصلي تفاعلي يجمع بين طرفين أو أكثر بغض النظر بوصفه " عملا لغويا وفعلا حجاجيا لذاته "[١]، إذ تختلف تلك الأطراف في مسائل عديدة، وهنا يقصد المحاجج إثارة الطرف الآخر المقابل له ويستدرجه من أجل إيقاعه في الخطأ، وهذا أمر مقصود غايته بلبلة أفكار الآخر وإقامة الحجة عليه ثم إشهاد المستمعين إليهم كما كان يحدث في خطب ومناظرات سوق عكاظ مثلا، وبهذا استراتيجيّة الحجاج لا تتوقف على تفاعل المتحاجين فقط بل تتقصد إثارة ردود المستمعين للحدث الحجاجي، وهنا يتضح أنّ شد انتباه المستمع بوصفه شاهدا للحجاج ومداعبة خياله والنقر على أحاسيسه وإيهامه بتحقيق ما يجول في نفسه هي استراتيجيّة حجاجيّة تستقصد نفسيّة المستمع مستمدة قواها من علم النفس الاجتماعي واللغوّي؛ إذ أن اختيار العبارات اللفظيّة الملائمة المؤثرة حسب طبيعة الحدث ورصد الحجة وعرض محتواها ترتكز على رؤية خاصة برغبة الخصم والمستمعين / الهدف واحتياجاتهم وانتظاراتهم في مقام الحال.

نجد هنا ان الخطباء والكهان في نثر ما قبل الإسلام في عرض البراهين واستقطاب كنوز اللغة والفصاحة والبلاغة وتوضيح المقصود من أجل ملائمته للواقع الحجاجي وأشواق المتلقين من أجل تعميق التفاعل مع طرف ضد طرف آخر وذلك تبعا لما يراه المستمع من بساطة واستراتيجيّة وإقناع طرف دون الآخر؛ وبالمقابل لما يرى من فشل وتقصير الطرف الآخر / المتلقي في البرهنة والإقناع والتحليل، وهنا يكون الحدث التفاعلي مقصد واستراتيجية هامة يبتغيه الحجاج، وهناك أمثلة عدة في نثر ما قبل الإسلام منها حديث سعد بن مالك بن ضبيعة وقد وفد على النعمان الأكبر " فسأله النعمان عن أرضه، هل أصابها

(١) استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية، أنور الجمعاوي: ٦٣.

غيث يحمد أثره أو يروي شجره؟ فقال سعد: أمّا المطر فغزير، وأمّا الورق فشكير، وأمّا النافذة فساهرة وأمّا الحازرة فشبعى نائمة وأما الرمثاء فقد امتلأت مساربها وابتلت جنائبها فقال له النعمان: إنك لَقَوَّال، وإن شئت أتيتك بما تَعْيا عن جوابه، قال: نعم، فأمر وَصيفاً له أن يَلْطِمَهُ، فلطَمه لَطْمة، فقال: ما جواب هذه؟ قال: سَفِيه مأمور، قال: الْطِمْه أخرى، فلطمه، قال: ما جوابُ هذه؟ قال: لو أَخِذ بالأولى لم يعد للأخرى، وإنما أراد النعمان أن يتعدَّى سعد في المنطق فيقتله، قال: الطمه ثالثة، فلطمه، قال: ما جواب هذه؟ قال: رَبٌّ يؤدب عبده، قال: الْطِمْه أخرى، فلطمه، قال: ما جواب هذه؟ قال: مَلَكْتَ فأسْجِحْ [1].

ثانياً: تقدير موقف المستمعين

من مقاصد الحجاج هو تقدير وتفهم موقف ورغبات وطموحات وحاجيّات وهواجس المستمعين التي يعيشها المستمعين؛ وهنا يروم المحاجج تمثلها والتعبير عن علمه بأهميتها والتفاعل معها وتحقيق ما يبتغي، فالمحاجج في هذا المقام يعدّ نفسه منفتحا على هموم الناس وأحلامهم والاطلاع على قدراتهم وإمكانياتهم بوصفه منتميا إلى واقعهم وتحدياته إذ " الاستجابة لأفق انتظار المتقبل تتجاوز مجرد إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد مع هذا الجمهور فكرا ووجدانا "[٢].

ولذلك يحرص المحاجج على الظهور في موقع قريب من الخصم والمستمعين إذ يجب عليه العلم بأحوالهم وأجواء حياتهم الماضية والحاضرة من أجل خدمتهم، وغرس النسق الإيجابي في نفسية المتقبل مستبطنا الوعي الذاتي من أجل إرسال رسالة إيجابيّة لتحفيز الهمم والبعد النفسي التربوي؛ كما تجلّى ذلك في وصية الحارث بن كعب إلى بنيه وقد حضرته الوفاة، وفي هذه الوصيّة يقول:" يا بنيَّ عليكم بهذا المال، فاطلبوه أجمل الطلب، ثم اصرفوه في أجمل مذهب، فصلوا به الأرحام واصطنعوا به الأقوام واجعلوه جنة لأغراضكم، تحسن في الناس قالتكم "[٣].

(١) مجمع الامثال: ٣٧/١.
(٢) الكامل: ابن الاثير: ٦/٢؛ وينظر للزيادة الفكرة في تغير موقف المستمعين، هي عند وفود العرب على كسرى وهو حاول ان يقلل من شأنهم ورد النعمان بن المنذر وتغير موقف كسرى لصالح العرب، ينظر: جمهرة خطب العرب: ٥٠/١-٦٤.
(٣) الاغاني: ١٧٨/٩.

وتجد الباحثة هنا أن الوصية من رجل شعر بدنو الأجل وغايته النصح والإرشاد والترغيب في التزام الخلق الحسن والتخلق به والمشي في الطريق السليم، وتلك الوصيّة هي حصيلة الخبرة في حياته ورأيه وانطباعاته عن البشر، فهي توجيه تربوي يتعلم فيها الصغير من الكبير الذي جرّب في الدنيا كثيرا.

ثالثاً: نحت رؤية المتلقي والعمل على تطويرها

عند قراءة نثر ما قبل الإسلام اتضح من خلال الحدث الحجاجي أنّ المحاجج يكون أمام أمرين لا ثالث لهما:

١- **الأمر الأول** بوصف المحاجج مدركا وعارفا واقع المتلقي فهو يرى نحت رؤيته الحجاجيّة ثم العمل على تطويرها كما تجلّى ذلك في خطبة أكثم بن صيفي بين يدي كسرى وتعد هذه الخطبة من اصعب الخطب في ذلك العصر، ويعد قائلها من أشهر الخطباء، وتستمد هذه الخطبة قيمتها من كونها القيت امام كسرى ملك الفرس حين قال:

"إن أفضل الأشياء أعاليها.

وأعلى الرجال ملوكها.

وأفضل الملوك أعمّها نفعاً.

وخير الأزمنة أخصبها.

وأفضل الخطباء أصدقها.

الصدق منجاة.

والكذب مهواة.

والشر لجاجة،

والحزم مركب صعب.

والعجز مركب وطيء.

آفة الرأي الهوى.

والعجز مفتاح الفقر.

وخير الأمور الصبر.

حسن الظن ورطة.

وسوء الظن عصمة.

إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي.

من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء.

شرّ البلاد بلاد لا أمير بها.

شرّ الملوك من خافه البريء.

المرء يعجز لا المَحالة.

أفضل الأولاد البرَرَة.

خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة.

أحقّ الجنود بالنصر من حسُنت سريرته.

يكفيك من الزاد ما بلّغك المحلَّ.

حسبُك من شرٍ سماعه.

الصمت حُكْمٌ وقليل فاعله.

البلاغة الإيجاز.

من شدّد نفّر.

ومن تراخى تألّف.

فتعجب كسرى من أكثم، ثم قال:

– ويحك يا أكثم، ما أحكمك وأوثق كلامك، لولا وضعُك كلامك في غير موضعه.

قال أكثم:

– الصدق يُنبئ عنك، لا الوعيد.

قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى.

قال أكثم: رُبّ قولٍ أنفذُ من صَول "[1]

هذا الجمال يدركه الطرف الأول (عصام) وتعمل على نحت رأيها بأقصى ما تستطيع لتوصيل هذا الرأي إلى الطرف الآخر (الملك) لأنه هو بدوره سيعمل على تطوير هذا الجمال إذا وصل إليه بحكم قوة الملك وعدله واختياره للاعوان، وهذا استطاع اكثم ان يظهر العرب بصورة ناصعة باستناده الى الاقوال الحكيمة التي تنطبق على العرب.

٢- **الأمر الثاني** هو تجاهل ما يعلم عن واقع المتلقي وقصد التقدم في رصد ما يريد متجاهلا أي أطر لماضي المتلقي كما تجلّى ذلك في الرسائل والعهود في التراث المخطوطة منها والمنطوقة ومن أشهرها الحلف الذي عقده عبد المطلب بن هاشم مع خزاعة " باسمك اللهم، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر والمواساة ما بلّ بحر صوفة، حلفا جامعا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأصاغر والشاهد على الغائب، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدّا وظلام الليل مدّا، يزيده طلوع الشمس شدّا وظلام الليل مدّا "[2].

ونجد أنّ في التحالف يتجاهل أي خصومات سابقة ويعمل على فتح صفحة جديدة بين الأطراف متجاهلا الماضي، ويتضح كذلك أن خصائص العهود لا تختلف عن الخصائص الأخرى في النثر الجاهلي مثل الوصية والخطبة والمثل؛ فهي قصيرة و المقدمة أقصر و يتجلّى فيها السجع والإيقاع الصوتي والصور البلاغيّة واللغة الفصيحة الواضحة.

وهنا في كلا الأمرين يستثمر المحاجج استراتيجيّات الحجاج وآليّات الإقناع حسب ما يرى لتحويل ما يريد من حيز الإمكان إلى الإنجاز، وهذا يتطلب منه التركيز على ذات المتلقي ورؤيته لتسهيل التأثير عليه مستدعيا العبارات البلاغيّة المجازيّة والأنساق الأخلاقيّة والبراهين الواقعيّة من أجل الخروج بالمتلقي والمستمع من الشك لليقين وكذلك الانحياز لرأيه، وهنا يكون أثراللغة دورا فعالا إذ يستدرج المتلقي ويعمل

(١) العقد الفريد: ١٠٦/١؛ جمهرة خطب العرب، احمد زكي صفوت: ٥٦/١.
(٢) انساب الأشراف، تأليف احمد بن يحيى جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تح: محمد محمد تامر، دار العلمية، بيروت ، لبنان: ٤٦؛ اعيان الشيعة، محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، ٢٧٤/١؛ تاريخ بعلبك، د. حسن عباس نصر الله، مؤسسة الوفاء، ط ١: ٨١٥/٤.

على تبديل رؤيته وقناعاته وتصوراته للواقع وفتح ذهنه على أمور ومعطيّات الطرف الآخر إذ يمكن أن يصبح نصيرا.

المبحث الرابع: الحجاج في نثر ما قبل الإسلام تطبيقيا

لقد تنوعت صور الحجاج في النثر القديم إذ استخدم الناثر صور متعددة وأساليب قوليّة وعمليّة لبلوغ الحجّة هدفها، وهنا سوف تتطرق الباحثة على سبيل المثال لا الحصر بأخذ عينة من كل نوع كمثال تطبيقي إذ أن " الإقناع في اللغة لا يعد شيئا يضاف إليها متضمنا في نظامها الداخلي، فكان من بين قضاياه مسألة العلاقة بين الظاهر و الضمني "[١].

أولاً: الخطبة

كان للخطبة مكانة مميزة في النثر القديم " والخطيب حجة مقنعة في الاستدلال الخطبي بأخلاقها وعنصر الثقة فيها، وهي عوامل تمنح الخطاب قوته ومصداقيته، لذلك اشترط أرسطو في القائل شروط الفطنة والفضيلة و التلطف للسامعين "[٢]، هذا بالنسبة للخطيب، أمّا للسامع أو المتلقي فهنا لابد من التهيئة النفسية والاجتماعية للسامعين من أجل " استدراجهم و تحقيق انقيادهم واقتناعهم بما يطرحه الخطيب، وهكذا أولى أرسطو أهمية خاصة للمقول إليهم، فالقول لا أهمية له إذا لم يكن رهانه توريط السامع "[٣].

أمّا بالنسبة للعنصر الثالث في دائرة الخطابة فهو القول، إذ أن الإقناع هنا يجب أن يكون مبنيا على الأدلة القادرة على تثبيت أو تغيير المعتقدات حجاجيا، وذلك لأن الإقناع كما أكدّ أرسطو " يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة "[٤].

ويرى الجاحظ أنّ " الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعر صار الخطيب أعظم قدرا من الشاعر "[٥]، وللخطبة خصائص متعددة من أهمها:

١- **القصر:** فإذا قست ما روي من خطب العصر الجاهلي بما روي من خطب العصرين الإسلامي والأموي أدركت هذه الظاهرة، وهي عندنا حجة لإثبات الصحة، لا دليل على الشك فيها، لأنّ الحفظة نقلوا ما بقي في الذهن ولم يتزيدوا، ولو أرادوا الانتحال لأطالوا.

(١) الحوار و منهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، دار افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤: ٧٤.
(٢) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار عودة، بيروت، ١٩٨٧: ١٠٤.
(٣) الحجاج عند أرسطو هشام الريفي: ٢٩.
(٤) فن الخطابة، أرسطو طاليس: ٣١.
(٥) البيان و التبيين، الجاحظ: ٦٥/١.

٢- **غياب المنهج:** لا تجد في خطب العصر الجاهلي منهجا واضح القسمات، وخطوات مرعيّة يلتزمها الخطيب، فمن الخطباء من كان يهجم على غرضه بلا تمهيد، ويختم كلامه بلا خاتمة تلخص رأيه، ومنهم من يبدأ بالعبارة المألوفة (أمّا بعد) ومنهم من يجري على لسانه بالفكرة الأولى التي يقذفها الخاطر غير مفتتح بهذه العبارة أو بعبارة أخرى يلتزمها الخطباء.

٣- **الاستشهاد بالشعر:** لما كان الشعر أهم الفنون الأدبيّة في العصر الجاهلي فإنّ الخطيب كان يتوكأ على الشعر، ويناقل بينه وبين النثر، فمرة يجعل الشعر حشوا في خطبته، ومرة يجعله خاتمة لها.

٤- **قصر الجملة:** عني الخطباء بإيقاع الكلام، وأتقنوا تقسيمه إلى جمل موزونة في أغلب الأحيان.

٥- **الصنعة:** لا يخلو كلام الخطباء من سجع وازدواج وتوازن لأن هذه الظواهر تعين الخطيب على التأثير في القلوب والأسماع

٦- **بساطة الأفكار:** أفكار الخطباء مجموعة من معانٍ مقطعة، وأفكار واضحة يعوزها الفكر العميق، وهذه الظاهرة حَجّة كافية لترجيح الصحة على الشك في نسبة الخطب إلى أصحابها [١].

☒ **المثال التطبيقي**

ونذكر هنا على سبيل المثال **خطبة نفيل بن عبد العزّي حين تنافر إليه عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه و سلم و حرب بن أميّة، خاطب نفيل حربا فقال:**" يا أبا عمرو، أتنافر رجلا هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة وأقل منك ملامة، وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل صفدا، وأطول منك مذودا، وإنّي لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جد المريرة، جليل العشيرة، ولكنك نافرت منفرا "[٢].

بدأ الخطيب نفيل خطبته تبعا للسلم الحجاجي بأسلوب النداء لشد انتباه المستمع (يا أبا عمرو) ثم أتبع كلامه بعرض حججّه عن الطرف الأول (عبد المطلب بن هاشم) حسب الآتي:

(١) تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، نقله الى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط ١: ١٢٨/١.
(٢) الكامل لابن الاثير: ٦/٢.

- الحجّة الأولى أ = طول القامة (أتنافر رجلا هو أطول منك قامة) + (أتنافر رجلا) يقصد الطرف الأول (عبد المطلب بن هاشم / س) + استعماله للكاف المخاطبة الموجه للطرف الثاني (حرب بن أميّة / ص)
- الحجّة الثانيّة ب = عِظَم الهمّة (وأعظم منك هامة) + استعمال (من + الكاف المخاطبة) بالإضافة إلى حرف الواو (الرابط الحجاجي)
- الحجّة الثالثة ج + الرابعة د + الخامسة هـ = تحمل نفس التكرار في الأسلوب اسم التفضيل + حرف الجر بالإضافة إلى كاف المخاطبة و الرابط الحجاجي حرف الواو؛ فمثلا ج (و أوسم منك وسامة و أقل منك ملامة)، د (و أقل منك ملامة و أكثر منك ولدا)، هـ (و أجزل صفدا، و أطول منك مذودا)

✓ النتيجة ن ١ = أ + ب + ج + د + هـ = مناقب عبد المطلب بن هاشم.

ثم أتبع كلامه بعرض حججّه عن الطرف الثاني (حرب بن أميّة)

- الحجة الأولى أ + الثانيّة ب + الثالثة ج + الرابعة د = (و إنك لبعيد الغضب / أ، رفيع الصوت في العرب / ب ، جد المريرة / ج، جليل العشيرة / د)، فهنا استخدم الخطيب الرابط الحجاجي (حرف الواو) + الصيغة الصرفيّة على وزن فعيل (رفيع / بعيد / جليل).

✓ النتيجة ن٢ = (أ / الحلم) + (ب / رقة و رفعة الصوت) + (ج / مروءة عالية) + (د/ حسن العشرة) مناقب حرب بن أميّة.

وكذلك أغلق الخطيب الحوار بالإعلاء من سطوته في الحكم من خلال السياق و هيمنته على مجرى الحدث الحجاجي من مقامه من خلال التباهي بنفسه (و إنّي لأقول هذا) فيها الأنا الفاعلة و المهابة.

✓ النتيجة النهائية ن = النتيجة ن١ (مناقب عبد المطلب بن هاشم) أكبر من النتيجة ن٢ (مناقب حرب بن أمية) من إذ العدد، بالإضافة لاستعمال أسلوب الاستدراك (لكنك نافرت منفرا) بمعنى آخر يقول نفيل: رغم مناقب حرب إلا أن المنافرة وُجدت لعبد المطلب بن هاشم.

إذن **الفائز** في الدورة الحجاجيّة حسب المنطق و السلم الحجاجي و تبعا لحكم الخطيب (الطرف المحايّد / الثالث) = عبد المطلب بن هاشم.

ثانياً: القصة

كان للعرب قصصهم التي شغفوا بها وتناقلوها إذ كانوا يسردون تلك القصص في الأسمار والمواسم والأسواق المشهورة، وقصصهم قد غلب عليها الخرافة والأسطورة التي عرفوها عن طريق مجاورتهم للفرس وأهل تدمر أو عن طريق التجارة المتبادلة، وقال بروكلّمان عن قصصهم " لم يكن الشاعر وحده هو الذي تهفو له النفوس وتسمو إليه الأعين في الجاهليّة، بل كان القاص يقوم مقاما هاما إلى جانب الشاعر في سمر الليل بين مضارب الخيام لقبائل البدو المتنقلة، وفي مجالس أهل القرى والحضر، وليس هناك بطبيعة الحال تسجيلات معاصرة لهذه الأقاصيص "(١).

❖ **مصادر أهمية القصة**

١- القصة بوصفها ذات طابع إنساني إذ عرفها غير العرب في زمانهم؛ فلماذا لا يعرفها العرب؟!

٢- تراث العصر الجاهلي الذي لا خلاف في صحة ما وردنا و الذي انبثق عنه الكثير من القصص الحروب و الخرافات و الرحلات و الزواج و غيرها.

٣- أغلب القصاصين أدركوا الإسلام ومنهم تميم الداري والنضر بن الحارث.

٤- قد تضعف الرواية المحفوظة في الصدور ثقة القارئ في انتماء النصوص كلها إلى الجاهليّة الأولى، لكنها لا تضعف انتماء القصة كاملة إلى العصر الجاهلي المتأخر، لأن طائفة كبيرة من هذه القصص تتصل بأيام العرب و أنسابهم.... قال الجاحظ: فالعلماء الذين اتسعوا في علم العرب حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثّقات فيما بيننا، و هم الذين نقلوا إلينا، وسواء علينا جعلوه كلاما و حديثا منثورا، أم جعلوه رجزا أو قصيدا موزونا.

٥- إن عصر التأليف في هذا اللون من الأدب هو عصر التأليف في الألوان الأخرى وهو وإن تأخر بضع سنين فتأخره لا يشكك في صحة التراث القصصي (٢).

أنواع القصة

تفرعت القصة في كل مجالات الحياة في العصر الجاهلي المتأخر و قد تنوعت و منها **الأوابد** التي ذكرها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى أوابد العرب وفسر معناها و كل واحدة منها قد نُسجت حولها

(١) ينظر: الادب الجاهلي: غازي طليمات: ٥٦٢.
(٢) المصدر نفسه: ٥٦٤.

قصة وتداولوها الناس فيما بينهم وظنوها أبديّة فسموها (أوابد العرب) [١] وكذلك نسجت حول الملوك في الجزيرة العربية قصص عديدة منها قصة حجر الملقب آكل المرار مع زياد بن الهبولة الغساني، وكذلك الأساطير والخرافات التي بنوها من أوهامهم و خيالهم و إن كان فيها شيئ من الواقع.

سمات القصة

١- القدم: القصة كما يرى بعض الباحثون سبقت الشعر، لأنها لا تحتاج إلى جهد فني أو فكري.

٢- تعبيرها عن الهموم العربية: استطاعت القصة العربية القديمة أن تكشف عن طباع العرب وأفكارهم وأهوائهم وأن تريح أعصابهم من التوتر وأن تستوعب ما فيها من هموم وأوهام....وأن تروي ظمأهم إلى المعرفة وشوقهم إلى اكتشاف المجهول.

٣- اختارت القصة القديمة شخصيات مرموقة جعلتها رموزا للفضائل فالسموءل يمثل الوفاء، وعنترة يصور أعلى درجات الشجاعة، وحاتم غاية الكرم.

٤- بساطة البنيّة الفنيّة: توافر للقصة العربية ما توافر لغيرها من القصص الإنسانيّة من عناصر فنيّة، لكن هذه العناصر من أحداث وسرد وبيئة وهدف وشخصيات غير ناضجة، فالحبكة يعوزها الترابط المحكم والشخصيّة على ما فيها من مثالية ومبالغة بسيطة ذات صفة واحدة لا تعقيد فيها، ويمكن أن توصف شخصيّة نمطيّة والأحداث لا تلتزم الوقائعيّة، والبيئة لا ترسم المكان والزمان في بعض الأحيان ولا يتم التفاعل بينها وبين الأحداث والشخصيات [٢].

مثال تطبيقي

حسب زعم العرب على لسان البهائم أنّ " أرنب التقطت ثمرة، فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضّب، فقالت الأرنب: يا أبا الحسل، فقال الضّب: سميعا دعوتِ: قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكّمتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت ثمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حرٌّ انتصف، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيتِ "[٣].

(١) صبح الأعشى، القلقسندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٢: ٣٩٨/١.
(٢) ينظر: الادب الجاهلي، غازي طليمات : ٥٧١.
(٣) حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ٢١/١.

(الطرف الأول / الأرنب) (الطرف الثاني / الثعلب) (الطرف الثالث / الضّب)

فقالت الأرنب: يا أبا الحسل، فقال الضّب: سميعا دعوتِ: قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلا حكّمتما، قالت: فاخرج إلينا، قال: في بيته يؤتى الحكم، قالت: إني وجدت ثمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال: لنفسه بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال: حرٌّ انتصف، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيتِ.

- **الطرف الأوّل / ح ١:** يا أبا الحسل = (يا أبا الحسل) كان قديما يعتز الشخص بندائه باستعمال أبي فلان، و استخدم الناثر أسلوب النداء للتنبيه.
- **الطرف الثالث / ح ١:** سميعا دعوتِ ، استخدم الناثر هنا الأسلوب المباشر + صيغة المبالغة (فعيل / سميع) دلالة على حسن الإنصات و تقبل موقف المستمع.
- **الطرف الأوّل / ح ٢:** أتيناك لنختصم إليك، عرض فحوى الغرض الحجاجي (طلب العدل) إذ هو رمز الحاكم العادل + استعمال الفعل والكاف المخاطبة مع لام التعليل لسبب الزيارة (لنختصم) (عامل حجاجي) + حرف الجر بالإضافة لكاف المخاطبة (رابط حجاجي)
- **الطرف الثالث / ح ٢:** عادلا حكّمتما، استخدم الناثر هنا أيضا صيغة المبالغة (فاعلا / عادلا) + الفعل بالإضافة إلى ما بأسلوب مباشر في الرد دلالة على بأسع في العدل الذي يرجوه المحاجج.
- **الطرف الأوّل / ح ٣:** فاخرج إلينا، استخدم الناثر هنا أسلوب الأمر (اخرج) + حرف الجر بالإضافة إلى (نا) دلالة على كثرة المظلومين (العامل الحجاجي) فلم يقل (إليّ) + استعماله الرابط الحجاجي (الفاء).
- **الطرف الثالث / ح ٣:** في بيته يؤتى الحكم، استخدم شبه الجملة في بداية الجملة لأهمية الخبر، وهذه أيقونة تدل على شدة علو مقامه (في بيته يؤتى الحكم) فهو المكان الذي يشهد المظلومين فيه العدل و قول الحق، وكذلك دلالة على علو شأن المقام في الحجاج.
- **الطرف الأول / ح ٤:** قالت إني وجدت ثمرة، تؤكد هنا أنها هي من وجدت الثمرة باستعمال أداة التوكيد (إن) و ياء المتكلم + تاء الفاعل (وجدتُ) (العامل الحجاجي)

- – **الطرف الثالث / ح ٤:** حلوة فكليها، استعمال فعل الأمر (كلِّي) + الهاء العائدة على الثمرة + التعبير عن الثمرة بأنها حلوة
- **الطرف الأوّل / ح ٥:** فاختلسها الثعلب، استخدم الناثر الرابط الحجاجي (الفاء) + الفعل الماضي + الهاء العائدة على الثمرة + ذكر اسم الخصم (الثعلب).
- **الطرف الثالث / ح ٥:** لنفسه بغى الخير، استعمال شبه الجملة في الرد دلالة لأهمية الكلام + الفعل الماضي + الفاعل مستتر، فهنا تشابك قولي يرد فيه الطرف الثالث على الأول إذ أنه استطاع الحصول على ما يريد (قوة الطرف الثاني) في (الحدث الحجاجي).
- **الطرف الأوّل / ح ٦:** فلطمته، ردّ الطرف الأوّل بالرابط الحجاجي (الفاء) + الفعل + تاء الفاعل + الهاء العائدة على الخصم (العامل الحجاجي).
- **الطرف الثالث / ح ٦:** بحقك أخذتِ، من باب العدل، وهو إقرار من القاضي بأنها محقة فيما فعلت باستعمال (الفعل الماضي + تاء المخاطبة) + الكاف المخاطبة (بحقك).
- **الطرف الأول / ح ٧:** فلطمني، استخدم الناثر هنا (الرابط الحجاجي / الفاء) + الفعل (لطم) + نون الوقاية + ياء المتكلم، هذا الرد على قوة الخصم وأخذ حقه على الفور وكذلك على ضعفها في أنها سمحت له بلطمها كما لطمته.
- **الطرف الثالث / ح ٧:** حر انتصف، هي لطمته و هو لطمها هكذا يأخذ كل ذي حق حقه.
- **الطرف الأول / ح٨:** فاقضِ بيننا، استعمال الرابط الحجاجي (الفاء) + فعل الأمر (اقضِ) + الظرف (بين + نا)، وهنا أنهت حالة الاحتدام في القول بينها و بين القاضي بأن طلبت منه القضاء بينهم.
- **الطرف الثالث / ح ٨:** قد قضيتِ، أنهى القاضي المحاورة بينهما بأنّها أصدرت الحكم من تلقاء نفسها، ولا مجال لقضائه لأنّ الثمرة قد أكلها ولا يمكن تعويضها، وكذلك لطمته ثم لطمها ولا مجال لأي جدال آخر، فالحق أخذ مجراه.

وهنا في هذه المحاورة القصصيّة عدة ملاحظات منها أنّ الضّب نظر للأرنب نظرة طبقيّة على أنه أعلى شأنا منها إذ أنه لم يخرج من مقامه من أجلها وتركها واقفة على الباب تحاوره دلالة على قلة شأنها

وضعفها، فالمقام هنا غير متكافئ، الثاني هو غياب الطرف الثاني (مستتر / الثعلب) دلالة على قوته، ومعرفة الضّب بقدره لأنه لم يطلب منه الحضور أمامه بجوار الأرنب.

- ✓ النتيجة ن = يبقى الحال على ما هو عليه، ليس هناك موضوع للقضاء فيه، فهي فقدت حقها في الثمرة لأنه أكلها، و كذلك لطمته و لطمها، و هنا دعوة للتسليم بالقدر، و هذه محاورة قصصيّة رمزية دارت في إطار دورة حجاجيّة لّغويّا و فكريّا و بلاغيا تجسد الواقع البشري في الحياة.

ثالثاً: المثل

شاع المثل في الحياة العربية قبل الإسلام إذ كانوا يستخدمونه لتفعيل أقوالهم في وصاياهم وخطبهم، وقال الجاحظ عنه:" كان الرجل من العرب يقف الموقف، فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لماما لما فيها من المرفق و الانتفاع "[1]، و قد أُلفت كتب عديدة في هذا المجال وأهمها و أقدمها كتاب (الأمثال) للمفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٠هـ) و فيه مجموعة من الحكايات والقصص التاريخية والأساطير التي تنتهي بعبارة يقولها بطل الحكاية أو من يعارضه فيها فتصير مثلا، وكذلك كتاب (مجمع الأمثال للميداني) و (المستقصى في الأمثال للزمخشري).

١- أنواع المثل

لم تثلج صدور النقاد أي تقسيمات واضحة للمثل حسب الفكرة والصور، ولكن المستشرق زلهايم وجد أربعة أنواع في أمثال العرب وهي:

أ- **المثل التصويري:** وهو التعبير غير المباشر عن تجربة بلفظ موجز، وتشبيه حسن كقول العرب: (نعم كلب في بؤس أهله [2]) وقولهم (لا يجتمع السيفان في غمد [3]) وقولهم: (قد بيّن الصبح لذي عينين [4]) ومن الواضح أن المثل الأول يجعل اللئيم النهاز كلبا والثاني يشبه البطلين بسيفين، والثالث يقرن الحق بالصبح.

ب-**التعبير المثلي:** وهذا النوع لا يعرض أخبارا معينة عن طريق حالة بعينها ولكنه يبرز أحوال الحياة المتكررة والعلاقات الإنسانيّة في صورة يمكن أن تكون جزءا من جملة، ومن أمثلته (سكت ألفا ونطق خلفا [5]) و

(١) البيان و التبيين، الجاحظ: ٣/ ٤٧.
(٢) مجمع الامثال: ٣٣٦/١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣٠/١.
(٤) المصدر نفسه: ٤٨٧/١.
(٥) المصدر نفسه: ٣٣٠/١.

(جاء تضب لثته [1]) وهذا النوع يثري التعبير ويوضحه، ومن هذا النوع ما جاء في صدره لفظ على وزن أفعل مثل: أظلم من حية، أبصر من غراب، وما وقع فيه شيء من ألفاظ الإتباع مثل: جاؤوا قضّهم بقضيضهم، ولا يخلو هذا النوع من التشبيه أو المبالغة فيه كتشبيه البصير بالغراب، والمتشابهين بأسنان الحمار في قولهم: (سواسية كأسنان الحمار).

ج- **المثل الحكمي:** وهو تعبير موجز شديد الإيجاز، يصوغ الحكمة بلفظ مجرد، ويتضمن قيمة من القيم أو يدعو إلى مبدأ من المبادئ كقول العرب: (السر أمانة) و (العدة عطيّة) وكقولهم: انصر أخاك ظالما أو مظلوما.

د- **العبارة التقليدية المتداولة:** والعرب تكثر من استعمال هذا النوع في الدعاء والخطاب والتحيّة ويتضمن عبارات يصقلها الاستعمال وتتلقفها الألسنة كقولهم: (بلغ الله بك أكلأ العمر) و (لا أرقأ الله دمعته) و (رماه بأقحاف رأسه) "[2].

٢- مميزات المثل

اقتضت الحياة العربية أن تشيع فيها الأمثال تبعا للمواقف والقصص وساعدها على ذلك طبيعة اللغة العربيّة ومنها:

أ- **مكثفة في المعنى وموجزة في القول:** يعدّ الإيجاز ظاهرة أساسيّة في اللغة العربية إذ يتجلّى بوضوح في الأمثال إذ كان مكثفا في المعنى وكلماته قليلة.

ب-**التصوير:** تتعدد الاستعارات والتشبيهات والكنايات في الأمثال إذ بلغت الغاية في الجمال والرقة ومنها قول العرب (إياك أن يضرب لسانك عنقك [3]) و (إنه لأجبن من صافر [4]) والصافر هو الطائر الصغير الذي يصفر.

(١) مجمع الامثال: ١٧١/١.
(٢) المصدر نفسه: ٣٢٩/١.
(٣) المصدر نفسه: ٥٣/١.
(٤) المصدر نفسه: ١٨٤/١.

ج- **الإيقاع:** زيّن العرب أمثالهم بتوقيعات صوتية تيسر تداولها، تفتح لها القلوب والأسماع كالسجع والتوازن والإتباع، وربما توافر لبعضها الوزن الشعري العروضي إمّا لورودها في قصائد ومقطعات، وإما لأنّ الحس الرهيف الذي شارك في صوغها أطلقها موزونة مثل (العشيّة تهيج الآبيّة [1]) (المنيّة ولا الدنيّة[2]).

٣- أهمية المثل

ويكمن إعجاب النقاد القدامى و المحدثين بالأمثال العربيّة بسبب:

أ- **بلاغتها:** تعددت أقوال الأدباء فيها على سبيل المثال لا الحصر، فقد قال عنها الفارابي عنها أنها من أبلغ الحكمة، وعبد الله بن المقفع أنها آنق للسمع من أضرب الكلام الأخرى ، وقال عنها النظام أنها نهاية البلاغة.

ب-**سيرورتها:** شاعت الأمثال فيما يكتب الناس ويتحدثون، واتخذ بعضها حُججا وبراهيناً، قال ابن عبد ربه إنها أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها حتى قيل: أسير من مثل.

ج-**تعبيرها عن الأمة العربية:** كانت الأمثال خلاصات تجارب، فقد حفلت بكثير من ثقافة العرب وقيمهم وخلقهم وواكبت تطورهم.

د- **صلتها بالقصة:** يبالغ بعض المعجبين بالأمثال، فيذهب إلى أنها جذورا للقصة العربية في العصر الجاهلي لارتباط أكثرها بأحداث وشخوص و تجارب "[3].

مثال تطبيقي

قال الشرقي بن القطامي " كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شَنّ، فقال: والله لأطوفنّ حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شنّ: أين تريد؟ فقال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شن، فرافقه فلمّا أخذا في مسيرهما، قال له شنّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟ فسكت عنه شنّ، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد، فقال له شنّ: أترى هذا الزرع أُكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل، ترى نبتا مستحصدا، فتقول: أتراه أكل أم لا؟ فسكت عنه: حتى إذا دخلا القرية لقيتهما

(١) جمهرة الامثال: ١٥٠/١.
(٢) العقد الفريد: ١١١/٦.
(٣) ينظر: الادب الجاهلي، غازي طليمات و عرفان الأشقر: ٥٥٣.

جنازة، فقال شنّ: أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك، ترى الجنازة فتسأل عنها: أميّت صاحبها أم حيّ؟ فسكت عنه شن، وأراد مفارقته، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه و كانت للرجل ابنة يُقال لها طبقة، فلمّا دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياها وشكا إليه جهله وحدّثها بحديثه فقالت: يا أبه، ما هذا بجاهل أمّا قوله أتحملني أم أحملك فأراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، أما قوله: أترى هذا الزرع أُكل أم لا فإنما أراد: أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، أما قوله في الجنازة فأراد: هل ترك عقبا يحيا بها ذكره أم لا، فخرج الرجل فقعد مع شنّ: فحادثه ساعة، ثم قال له: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم، ففسّره فقال شنّ، ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟ قال: ابنة لي، فخطبها إليه، فزوجه إياها و حملها إلى أهله فلمّا رأوهما قالوا: وافق شنّ طبقة فذهبت مثلا "[1].

(وافق شن طبقة)

- **الطرف الأول (شن) ح١:** أين تريد؟ كان هذا السؤال المركزي في مناسبة المثل بدأ بالاستفهام عن المكان، فالمقام هنا هو المكان (الصحراء) الذي يجمع شن مع والد طبقة ودار بينهما الجدال.
- **الطرف الثاني (والد طبقة) ح ١:** موضع كذا، يريد القرية التي يقصد لها شن، هنا حدد والد طبقة المكان الذي يقصده شن ووالدها وهو نفس القرية.
- **الطرف الأول ح٢:** أتحملني أم أحملك؟ سؤال تخييري استخدم فيه ياء المتكلم + كاف المخاطبة باستعمال الرابط الحجاجي (أم) واستراتيجية السؤال.
- **الطرف الثاني ح ٢:** يا جاهل أنا راكب و أنت راكب، فكيف أحملك أو تحملني؟، استخدم الناثر أسلوب النداء و لكنه من باب التنبيه لجهله أيقونة الغباء لديه، فهو يعيد عليه عرض الحجة يتكلم عن نفسه أنه راكب وشن راكب فكيف يطلب منه أن يحمل أحدهما الآخر سؤال الغرض منه استنكار ما يقول (العامل الحجاجي) ، مستخدما الرابط الحجاجي (الفاء – أو – حرف الواو)، فالحجّة هنا هي حجة واقعيّة يتكلمن من منطلق منطقي بحت.

(١) مجمع الامثال: ٣٥٩/٢.

- **الطرف الأوّل ح ٣:** أترى هذا الزرع أُكل أم لا؟ تتتابع الأسئلة هنا التي ينتظر منه إجابة شافيّة مستخدما الرابط الحجاجي (أم – لا) و همزة الاستفهام في (أترى) بوصفها استراتيجية حجاجيّة.
- **الطرف الثاني ح٣::** يا جاهل، ترى نبتا مستحصدا، فتقول: أتراه أكل أم لا؟

أيضا هنا قام بإعادة أسلوب النداء الأول (يا جاهل) ويكمل مناظرته بكل تفاعل مع شن يحاول تفهم موقفه وإمكانيّة تطويرها مستخدما الرابط الحجاجي (الفاء – أم)، وكذلك أسلوب الاستفهام الذي غرضه إنكار ما يقول.

- **الطرف الأول ح ٤:** أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟

ما زالت الأسئلة تتوالى بنفس الأسلوب مستخدما همزة الاستفهام و الرابط الحجاجي (أم)

- **الطرف الثاني ح ٤:** ما رأيت أجهل منك، ترى الجنازة فتسأل عنها: أميّت صاحبها أم حيّ؟

هنا استخدم الرابط الحجاجي (ما – أم) فهو استخدم أسلوب النفي الذي غرضه تثبيت جهله + حرف الجر + كاف المخاطبة، ويعيد السؤال مرة أخرى بهمزة استفهام غرضها الاستنكار، ما زال يتناوب معه في الحوار و يتشابك مستعينا في حجته من حجة شن.

- **الطرف الثالث (طبقة) ح ٥:** يا أبه، ما هذا بجاهل أمّا قوله أتحملني أم أحملك فأراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، أما قوله: أترى هذا الزرع أُكل أم لا فإنما أراد: أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، أما قوله في الجنازة فأراد: هل ترك عقبا يحيا بها ذكره أم لا.

أيضا هنا استخدم الناثر أسلوب نداء، ثم أتبعت كلامها بنفي الجهل عنه و قد بدأت بتفسير حججه كل واحدة على حدى مستخدمة الروابط الحجاجيّة و أقواها في عرض ما تقول (أمّا – أم – الفاء – إنما – حتى)، ففي الرد الأوّل استخدمت نفس أسلوبه همزة الاستفهام والرابط الحجاجي بالإضافة إلى مقصدية كلامه و هو المؤانسة حتى نهاية الطريق، وفي الرد الثاني والثالث فهو نفس المقصدية والأسلوب و الاستراتيجية كآليات إقناع والدها.

- **الطرف الثاني ح ٦:** أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟

هذا السؤال يبين بوضوح تفهم موقف المتلقي ومقصدية محاججته مستخدما بالإضافة للعامل الحجاجي الرابط الحجاجي (ما – أن) + ياء المتكلم

- **الطرف الأول ح ٦:** ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟

أيضا هنا الرابط الحجاجي (ما – من – الفاء)، فهو استخدم أسلوب النفي + كاف المخاطبة، ثم أتبعها بالفاء + ياء المتكلم و السؤال عن مصدر تفسير القول الحجاجي

- **الطرف الثاني ح٧:** ابنة لي، فالإجابة هنا واضحة عرّف فيها شن أنها ابنته + حرف الجر و ياء المتكلم، و قام بإجابة موجزة.

الناثر هنا في مناسبة هذا المثل تسلق السلم الحجاجي من بدايته موضع ثم الذي يليه حتى بلغ في النهاية الغاية من الحجاج، و هو العثور على امرأة تبادله ثقافته الفكرية و العقلية و الرؤية الاجتماعية في الحياة، و قد استخدم الناثر هنا سلطة الرمز.

✓ النتيجة ن = زواج شن من طبقة

رابعاً: الوصيّة

الوصية تنتمي لفصيلة الأدب التربوي؛ عرفها القدامى وتناقلوها الرواة مثل وصية لقمان ووصية الأم لابنتها المشهورة في التراث، وتعد الوصية توجيها تربويّا في المقام الأول لأنها نابعة من قلب يريد الخير والحب والسلام لمن حوله، وتتميز الوصيّة بالأسلوب البلاغي المسجع والجمل القصيرة المتوازنة واعتماد الإنشاء ما بين الأمر والنهي والنداء.

مثال تطبيقي

أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل في أدب تركت ذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل...أي بنيّة إنك فارقت الجو منه خرجتِ، وخلفت العش فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه إياك عليك رقيبا ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا، يا بنيّة احملي عني عشر خصال تكن لك دخرا وذكرا..الصحبة له بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعاهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك علي قبيح، ولا يشتم منك إلا طيب الريح "[1].

هذه الوصية هي توجيه تربوي من الأم تعلمها الحياة ، و توضح لها مظاهر التغيير الذي يطرأ على حياتها بخروجها من بيت أبيها، وبدأت بالكلام الطيب منها من باب تذويب المسافة بينها وبين ابنتها (أي

(١) مجمع الامثال: ٢/٢٦٢-٢٦٣.

بنيّة)، فهي تعمل على تهيئتها نفسيا قبل الكلام معها بأسلوب نداء محبب للبنتّ ، فمن هنا تبدأ أول مواضع السلم الحجاجي:

أ- المقدمة غرضها هو النصح والإرشاد (إن الوصيّة لو تركت لفضل في أدب تركت ذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل) فهذه مقدمة تحاول شد انتباه البنت بأداة التوكيد (إن) و أتبعتها بأسلوب شرط مستخدمة الرابط الحجاجي (لو – لكن) + التكرار (تركت) و الأسلوب البلاغي (غافل – عاقل) + كاف المخاطبة.

ب- أسلوب النداء للمرة الثانية (أي بنيّة) مستخدمة أسلوب التوكيد (إن) + كاف المخاطبة (إنكِ)، وكذلك الأسلوب البلاغي تشبيه تمثيلي (فارقتِ الجو منه خرجتِ وخلفت العش فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه و قرين لم تأليفه)، فهي تعلمها أنها مقبلة على حياة مجهولة المعالم لا تعرف شيئا عن هذا الشريك الذي يشاركها الحياة و بهذا الزواج أصبحت ملكه وصاحب حق الرقابة عليها مستخدمة الرابط الحجاجي (الفاء – لم – الواو) + كاف المخاطبة في أكثر من كلمة في العبارة.

ج- تبدأ الآن في استعمال أسلوب الأمر مع ابنتها والرابط الحجاجي / الفاء (فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا) مشروط حتمية ضعفه معها بحتمية ضعفها له و معه،

د- تعمل هنا على شد انتباهها مرة أخرى بأسلوب النداء المحبب لقلب البنت (يا بنيّة) ثم تتبعها بأسلوب أمر توجز فيه الغرض من الحجاج (احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا) و تبدأ بسرد نصائحها (الأولى / الصحبة له بالقناعة) ، (الثانيّة / المعاشرة بحسن السمع والطاعة)، (الثالثة / التعاهد لموقع عينيه) ، (الرابعة / التفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك علي قبيح، ولا يشتم منك إلا طيب الريح)....إلخ.

✓ النتيجة ن = ح أ + ح ب + ح ج + ح د = استقرار و سعادة عظمى في الحياة مشروطة باتباع ما جاء في الوصية.

خامساً: سجع الكهّان

الكهان هم طائفة يدّعون معرفة الغيب؛ وكان كل كاهن أو كاهنة يدعي أنّ له تابعا من الجن يأتيه الخبر السريع ويستطلع ما وراء الغيب، وكان العربي الجاهلي بدوره يذهب إليه وعلى الأخص في المعضلات طالبا نصيحته والكشف له عن أمور غيبيّة، " وقد يستبق الكاهن قومه فيتنبأ لهم بما سيقع، فيحذرهم كارثة تهددهم أو غزوا يدبر لهم، وحكم الكاهن في أغلب الأحوال كان مقبولا لا يُرد، وقضاؤه كان نافذا لا ينقض، فإذا شاعت للكاهن شهرة وأثر عن تنبئه الصدق في بعض المواقف اتسع نفوذه وجاز حدود القبيلة التي ينتمي إليها "[١].

وكذلك كان أغلبهم يخدمون الأصنام والأوثان بمعنى آخر لهم قداسة دينيّة وكانوا " يستشيرونهم و يصدرون عن آرائهم في كثير من شئونهم كوفاء زوجة أو قتل رجل أو نحر ناقة "[٢]، ومن أشهرهم سطيح الذئبي وعوف بن ربيعة الأسدي والمأمور الحارثي وشق بن مصعب الأنماري، وأكثر أقوالهم مسجوعة وتمتاز بغرابة اللغة أحيانا، وتكثر فيها حلف الأيمان بما فيها من مظاهر القوة الظاهرة والمستورة في الكون والنجوم والكواكب، وقال الجاحظ أنّ " أكهن العرب وأسجعهم سَلِمة بن أبي حيّة وهو عزّي سَلِمة "[٣]، وهذا سَلِمة الذي قال:" والأرض والسماء والعقُاب والصقعاء، واقعة ببقعاء، لقد نفّر المجد بني العشراء للمجد والسناء "[٤].

وهناك مجموعة من الكاهنات بجانب الكهان ربما كنَّ " في الأصل من النساء اللائي يهبن أنفسهن للآلهة ومعابدها، ومن أشهرهن الشعثاء[٥] وكاهنة ذي الخَلَصَة، الكاهنة السعدية[٦] والزرقاء بنت زهير[٧] والغيطلة القرشية[٨] وزبراء كاهنة بني رئام، ويروى أنها أنذرتهم غارة عليهم فقالت: واللوح الخافق والليل

(١) الادب الجاهلي، غازي طليمات و عرفان الأشقر: ٥٥٧.
(٢) الأغاني، الأصفهاني: ١١/ ١١٨.
(٣) البيان والتبيين، الجاحظ: ٣٥٨/١.
(٤) البيان والتبين: ٢٩٠، الصقعاء: الشمس، بقعاء: ماء أو موضع، نفر: حكم بالغلبة، بنو العشراء: عشيرة من فزارة، السناء: الرفعة.
(٥) مجمع الأمثال، الميداني: ٩١/١.
(٦) المصدر نفسه: ٥٤/٢.
(٧) الأغاني، الأصفهاني: ٨١/١٣.
(٨) سيرة ابن هشام: ٢٢١/١.

الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدو ختلا، ويحرق أنيابا عصلا، وإن صخر الطود لينذر ثكلا، لا تجدون عنه معلا "[1].

وسواء الكهان أو الكاهنات كانوا يتلفظون الألفاظ الغامضة من أجل تأويل كلامهم من قِبَل المستمعين، وكذلك أدخلوا الرموز في كلامهم وقليلا ما كانوا يصرحون أو يوضحون بل " كانوا لا يحبون أن يصوروا في وضوح المعنى، ويتخذوا له أشباحا واضحة من اللفظ تدل عليه، لأن ذلك يتعارض مع تنبئهم الذي يقوم على الإبهام والوهم واختيار الألفاظ التي تخدع السامع وجوها من الخدع، ومن ثم كان من أهم ما يميز أسجاعهم عدم وضوح الدلالة وأن يكثر فيها الاختلاف والتأويل "[2].

مثال تطبيقي

في أخبار بني أسد أن حجرا أبا امرئ القيس رقّ لهم، " فبعث في إثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكّهن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة، فقال لبني أسد: يا عبادي ! قالوا لبيك ربنا، قال: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه ينثعب، وهذا غدا أول من يُسلب، قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية، فركبوا كل صعب وذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قبته وقتلوه "[3].

– ح١– هنا يتجلى الاستبداد القولي في هيمنة الكاهن في أقواله مستخدما (يا عبادي) مدعيا الألوهية ومعرفة الغيب بأسلوب النداء + يا المتكلم، ردهم (لبيك ربنا) باستعمال كاف المخاطبة + نا الفاعلين، ثم عرض عليهم السؤال المركزي في المحاججة (من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه ينثعب، وهذا غدا أول من يُسلب) استخدم هنا كاف التشبيه + لا النافية والرابط الحجاجي (من) + الهاء الضمير العائد على الإبل

(١) لأمالي: ١٢٦/١.
(٢) العصر الجاهلي، شوقي ضيف: ٤٢٣.
(٣) الأغاني، الأصفهاني: ٨٤/٩.

– ح٢– استخدم هنا الرابط الحجاجي (لولا – أن – حتى – الفاء – ما) + كاف مخاطبة الجمع متسلقا السلم الحجاجي في اللعب بنفسية المستمعين لإدراكه قيمة كلامه عندهم، كذلك كلامه موزون و مسجّع (الغلاب – المغلب – جاشية – ضاحيّة).

(لولا أن تجيش نفس جاشية لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية، فركبوا كل صعب و ذلول فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حُجر فهجموا على قبته و قتلوه)

** النتيجة ن = صدق كلامه ومقتل حُجر.

سادساً: الرسائل والعهود

الرسائل و العهود هي أرقى فنون التواصل الإنساني – كانت ومازالت – وقد تعددت أطر هذا النوع من الفن النثري قديما – وإن قلّ ما وصلنا منه – و الذي يميزه قلة الكلمات مع تكثيف في المعنى، ومن أشهرها صحيفة المتلمس ورسالة المنذر الأكبر إلى أنو شروان ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه، و كذلك رسالة بعثها النعمان إلى كسرى ينصح له فيها بالاعتماد على زيد بن عدي، وتمتاز هذه الرسائل و العهود بالجملة القصيرة واللفظ الواضح وعدم وجود غرابة في اللفظ والزهد في المقدمة وبيان الغرض دون تمهيد وإن كان تمهيد فيكون بذكر اسم الله.

مثال تطبيقي

١– صحيفة المتلمس تتميز بشدة الإيجاز حتى أنها تشبه برقيات العصر الحديث و فحواها يأمر فيها ملك الحيرة عامله في البحرين أن يقتل المتلمس و نصّها: باسمك اللّهم، من عمرو بن هند إلى المكعبر، أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليّه وادفنه حيّا.

– **الطرف الأول** المحاجج / عمرو بن هند) (**الطرف الثاني** / مكعبر) (**الطرف الثالث** الرسول / المتلمس)

– **الغاية والهدف** من الرسالة هو القتل

– **الحجّة الأولى و الوحيدة من الطرف الأول ح** = بدأ المرسل رسالته بذكر اسم الله و كانت عادة عندهم قبل الإسلام (باسمك اللهم) استخدم فيها الاسم + كاف المخاطبة، وبكل وضوح جاء بعبارة نقيّة صافيّة وواضحة الشكل و المحتوى (من عمرو بن هند إلى المكعبر) مستخدما (من – إلى)، ثم الرابط

الحجاجي (أمّا بعد) كي يشد تركيزه على العبارة التالية و الغرض من الرسالة بجملة شرط مستخدما أداة الشرط مع الرابط (الفاء + إذا) و فعل الشرط (أتاك كتابي) والرابط الحجاجي + جواب الشرط فعل أمر (الفاء + اقطع يديه و رجليه) و المعطوف عليه و هو الغاية العظمى من الرسالة حرف العطف الواو + الفعل (وادفنه) و الشاهد هنا دفنه حيّا، و هذا دلالة على حرصه على موته

- **النتيجة ن = قتل المتلمس المشروط بالتعذيب،** هذه حجّة هيمنة و سيطرة من المرسل على المستقبل و التباهي أن الأمر صدر من الجهة العليا و لا مجال للمتلقي / المستقبل الرفض أو القبول لأنه من جهة أعلى منه (من الملك) و ما عليه إلا التنفيذ.

سابعاً: الوصف

الوصف هو فن تعبيري ذاتي يعبر عن فكر الإنسان وأحاسيسه، ويعنى بالجمال والرقي، والمحاورة فن مميز تبث في ألفاظ الحياة إذ تحول الفكر المجرد إلى مشهد متحرك، والقدرة على الوصف والمحاورة من قِبَل الأدباء هي المعيار في التفاضل بينهم، وقد وصف العرب القدامى الطبيعة والمرأة في أبهى لوحة إذ يتسمون بالبراعة وملكة التصوير والصور الحسيّة والخيال الواضح والسجع.

مثال تطبيقي

من أجمل ما رسم ووصف العرب صورة رسمتها عصام الكندية لربة الجمال في عصرها أم إياس بنت عوف بن محلم، رسمت هذه الصورة للحارث بن عمرو ملك كندة حينما سألها عنها، قالت عصام: " رأيتُ جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها شعر كأذناب الخيل، إن أرسلته خلته سلاسل وإن مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل، وحاجبين كأنهما خطّا بقلم أو سوّدا بحمم، تقوسا على مثل عين الظبية العبهرة، بينهما أنف كحدّ السيف المصقول حفت به وجنتان كالأرجوان، في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم، لذيذ المبسم، فيه ثنايا غرّ ذات أشر، تقلب فيه لسانا بفصاحة وبيان بعقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي دونه شفتان حمّاوان، تحلبان ريقا كالشهد، ذلك في رقبة بيضاء كالغضة، ركبت في صدر كصدر تمثال دميّة، وعضدان مدمجان، يتصل بهما ذراعان، ليس فيهما عظم يمس، ولا عرق يجس، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما، لين عصبهما، يعقد إن شئت منها الأنامل، نشأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين، يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن كيّ القباطي المدمجة، خلف ذلك ظهر الجدول، ينتهي ذلك إلى خصر لولا رحمة

الله لانبتر، لها كفل يقعدها إذا قامت ويقيمها إذا قعدت، كأنه دعص الرمل، لبّدّه سقوط الطل، تحملها فخذان لفاوان، كأنهما قفلتا على نضد جمان، تحتهما ساقان حدلتان كالبردتين شيبتا بشعر أسود، كأنه حلق الزرد، يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان ما فوقهما "[1].

(**الطرف الأول الواصفة** / عصام الكندية) (**الطرف الثاني الموصوف** / أم إياس بنت عوف بن محلم) (**الطرف الثالث** / ملك كندة الحارث بن عمرو)

ح١: بدأت الواصفة كلامه بالفعل الماضي رأى + تاء الفاعل (رأيتُ) و هذا تجسيد للقوة البصرية و حاستها في الوصف، فالبصر ليس كالسمع، وهذا إقرار منها بوصفها الحقيقي الواقعي.

ح٢: بدأت عصام بوصف وجهها وصفته بالصفاء و اللمعان لم تشوبه أية شائبة، و استخدمت الاسلوب البلاغي التشبيه المشبه (الجبهة) + كاف التشبيه + المشبه به (المرآة المصقولة)

ح٣: وصفت هنا شعرها لأنّ زينة المرأة شعرها و شبهته بأذناب الخيل، أسلوب تشبيه المشبه (شعر) + كاف التشبيه + المشبه به (أذناب الخيل)، و هذا سيمولوجيّة دلالية على شدة الطول و نعومته و انسيابه على ظهرها مثل السلاسل مستخدما الرابط الحجاجي (حرف الواو – إن) (إن أرسلته خلته سلاسل و إن مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل).

.ح٤: ووصفت الحاجبان كأنهما من صنع رسام محترف بقلم أسود مثل القوس لا خطأ فيها مثل حواجب الظبية و جاءت بدليل من الحياة الصحراوية بأسلوب تشبيه المشبه (حاجبين) + كاف التشبيه (كأنهما) + المشبه به (خطا بقلم أو سوّدا بحمم) + الرابط الحجاجي (أو) + حالة شكلهما مثل القوس (تقوسا) + أداة التشبيه (مثل) + المشبه به (عين الظبية العبهرة)، أسلوب بلاغي دال على شدة حسنها و جمالها.

ح٥: شبهت عصام الكندية الأنف (المشبه) + كاف التشبيه + المشبه به (كحد السيف المصقول) و هذا يدل على عدم اعوجاجه بأسلوب بلاغي.

ح٦: الوجنتان (المشبه) + أداة التشبيه (ك) + المشبه به (الأرجوان) + وجه الشبه) شدة الحمرة الوردية الطبيعية (كالأرجوان).

(١) مجمع الامثال: ٢/٢٦٢-٢٦٣.

ح٧: وجهها (المشبه) + أداة التشبيه (ك) + المشبه به (الجمان) دليل البياض الناصع الطبيعي + وجه الشبه (شدة البياض).

ح٨: الفم (المشبه) + أداة التشبيه (ك) + المشبه به (الخاتم) + وجه الشبه (الصغر و جمال الابتسامة) (لذيذ المبسم فيه ثنايا غر ذات أشر).

ح٩: اللسان شبهته بالخطيب الفصيح صاحب العقل الوافر و الجواب الحاضر، المشبه (اللسان) + المشبه به وهو الخطيب (محذوف و جاءت بشيء من لوازمه / الفصاحة والبيان و العقل الراجح) + وجه الشبه (سلامة اللغة و الفصاحة و العقل المستنير) وهذه استعارة مكنية (أسلوب بلاغي)

ح١٠: الشفاه (المشبه) + أداة التشبيه (ك) + المشبه به (الشهد) + وجه الشبه (الحمرة + حلاوة الريق) (حمّاوان + تحلبان ريقا كالشهد).

ح١١: لون الرقبة (المشبه) + أداة التشبيه (الكاف) + المشبه به (الغصن الطري) + وجه الشبه (البياض الناصع و الطراوة) (بيضاء كالغضة) أسلوب تشبيه بلاغي.

ح١٢: الصدر (المشبه) + أداة التشبيه (الكاف) + المشبه به (تمثال دميّة) + وجه الشبه (الاعتدال والارتفاع) أسلوب تشبيه بلاغي.

ح١٣: تشبيه المشبه (عضدان) + المشبه به (مدمجان) + وجه الشبه (الدمج والتناسق + اتصالهما بالذراعين (يتصل بهما ذراعان) + العامل الحجاجي (ليس فيهما عظم يمس، و لا عرق يجس) + الرابط الحجاجي (ليس – لا)، أسلوب بلاغي بليغ و استخدمت الواصفة استراتيجيات و آليات الإقناع ما بين البلاغة و الروابط و العوامل الحجاجيّة للتأثير على المتلقي.

ح١٤: وصفت الكفّان بالدقة و الرقة و اللين (دقيق قصبهما، لين عصبهما).

ح١٥: الثديّان (المشبه) + أداة التشبيه (الكاف) + المشبه به (الرمانة) + وجه الشبه (اعتدال الحجم ونضارة الشباب و عدم الترهل و الشد) + الرابط / على (حرف جر) + الضمير العائد على الصدر (يخرقان عليها ثيابها).

ح١٦: ظهرها معتدل مثل جداول المياه في انسيابها لا انحناءات فيه (خلف ذلك ظهر الجدول)

ح١٧: خصرها رقيق و دقيق (خصر لولا رحمة الله لانبتر) + الرابط الحجاجي (لولا) و العامل الحجاجي (رحمة الله لانبتر) دلالة سيمولوجيّة على رقته و دقته.

ح١٨: الفخذان ملفوفة (فخذان لفاوان) فهي طريّة و ملفوفة.

ح١٩: الساقان (المشبه) + أداة التشبيه (الكاف) + المشبه به (البردتين) + وجه الشبه (الطراوة و اللمعان و الرقة) أسلوب تشبيه بلاغي.

ح٢٠: القدمان (المشبه) + أداة الشبه (الكاف) + المشبه به (حذو اللسان) + وجه الشبه (الصغر والدقة والرقة) أسلوب تشبيه بلاغي.

– في هذا الوصف بدأت عصام حججها بالتأثير على الملك في استدراجه ليعيرها الانتباه باستعمالها حاسة البصر ثم بدأت تتسلق السلم الحجاجي في الوصف موضعا موضعا، بدأت بالوجه ثم الجزء الأعلى من الجسم ثم الجزء الأسف حتى القدم، فكانت مثل الرسام الفنان الماهر الذي يتقن صنعته.

– استخدمت الأساليب البلاغية ما بين التشبيه و الاستعارة كآليّات إقناع.

– استخدمت الروابط و العوامل الحجاجية لدعم الحجّة.

– حسن التقسيم كان عاملا مهما في وصفها

✓ النتيجة ن = ح١+ ح٢+ ح٣+ ح٤+ ح٥+ح٦+ ح٧+ ح٨+ح٩+ح١٠+ ح١١+ ح١٢+ ح١٣+ ح١٤+ ح١٥+ ح١٦+ ح١٧+ ح١٨+ ح١٩+ح٢٠ = جمال أخّاذ و ساحر كأنها حوريّة تمشي على الأرض لا تشوبها أية شائبة جسديّة أو عقليّة = الزواج.

الخاتمة

الخاتمة

عندما شاء الله لي وضع قدمي على أوّل لبنة في رحلتي البحثيّة وجدتُ روحي العلميّة تتجه نحو نصوص نثر ما قبل الإسلام لما لها من قدر و مكانة في ذائقتي الأدبيّة ، وعندما خضتُ تلك الرحلة وأوشكتُ على الوصول للهدف ورصد خلاصة البحث شعرت قدر انتمائي وتقديري لهذه النصوص التي تحمل في طياتها الحجاج الذي ورد ذكره في كتاب الله بعد ذلك ، وكذلك شعرتُ بأنّ غربتي عنهم لن تطول وسأحاول زيارتهم في أبحاث أخرى تفيد أصحاب الشأن النقدي بإذن الله.

وهنا سوف أرصد في نقاط محددة أهم ما توصلتُ إليه خلال رحلة البحث :

١- تغلغل الروابط والعوامل الحجاجيّة في بنية اللغة عند نثّار عصر ما قبل الإسلام حيث عملت على توجيه الخطاب توجيها يتناسب مع الدورة الحجاجيّة من أجل التأثير على الطرف الآخر.

٢- إدراك الناثر الجاهلي بفطرته السليمة وثقافته الخاصة أهمية الروابط والعوامل التي تربط بين الحجج وتبرز القوة المنجزة للبنيّة الحجاجيّة في الخطاب الحجاجي.

٣- الحجاج اللّغوي الموجود في النثر القديم يعدّ مطبوعاً من مركزيّة وأصالة اللغة العربيّة ، وارتكز في بنائه حجاجيّا على آليات واستراتيجيّات أبرزت متانة مقاماته.

٤- اهتمام الناثر القديم بالروابط والعوامل الحجاجيّة أدّى إلى تفعيل البنيّة الخطابيّة والمقاميّة للعبارة.

٥- عمل الخطاب الحجاجي وبلاغة الصور الحجاجيّة على توجيه الطاقة الحجاجيّة الإقناعيّة في النصوص النثرية القديمة في البناء المقامي والأدائي ، وتطوير مجريات الأحداث فيها في إطار المؤشرات اللغويّة.

٦- اهتمّ الناثر القديم بالمؤشرات اللغويّة لما لها من أثر في قوة الخطاب وفاعليّة الإنجاز على المتلقي.

٧- الإقناع ركيزة أساسية من ركائز الحجاج بوصفها العنصر المباشر في التأثير على المتلقين وتغيير وجهة النظر والرؤيّة الفكريّة والأيديولوجيّة لديهم.

٨- الإطار البلاغي لهذا الحجاج يعتمد على محور الحوار كآليّة إقناعيّة حجاجيّة.

٩- البلاغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالإقناع في الدورة الحجاجيّة.

١٠- اتسمّت نصوص نثر ما قبل الإسلام بالمعتقدات السياسيّة والفرديّة والاجتماعيّة في ذلك الوقت ودافعت عنها بمؤشرات لُغويّة وخطابيّة حجاجيّا.

١١- تتسم البلاغة بالحيويّة والوضوح على وفق النصوص الحجاجيّة وذلك تبعا لاتصالها بالمعارف الأخرى مثل النحو والمنطق والفلسفة.

١٢- شكلّت حركيّة الحوار حافزا قويا لبلورة النص الحجاجي وبلوغ الهدف ، وكذلك جسّد الحجاج الدليل الحي على اقتناع الثقافة القديمة العربية بالحوار والاختلاف والمواقف والتصورات ليس مع ذاتها فقط بل مع الحضارات المجاورة.

١٣- مصداقيّة المحاجج هي الداعم الرئيسي والمحفز الرسمي للتفكير بالهدف وغرض المحاجّة كما تجلّى ذلك في وصية الأم لابنتها والرسائل والعهود.

١٤- عندما لا يكون الغرض من الحجاج مهما عند المستمع يميل للتفكير بمضمون الرسالة أكثر من المرسل مثلما تجلّي هذا في قصة الأرنب والثعلب.

١٥- كلما زاد اهتمام المحاجج بالمضمون الحجاجّي ، زاد تفكيره به وقلّ تأثيره في إقناع الطرف الآخر مثلما تجلّى ذلك في رسالة مرّة إلى المهلهل.

١٦- الحجاج في التراث القديم كان انعكاسا للتفاعل الثقافي والانفتاح مع الآخرين حيث حاججت تلك النصوص وأقنعت من خالفها واقتبست ممن استطاع إقناعها ، بمعنى آخر كان الحجاج رد فعل للتفاعل العقلي وعاملا منتجا للقيم والأفكار.

١٧- الخطاب الحجاجي اتسمّ بقواعد وآداب على الأطراف احترامها وتقدير المسافة بينهما مثل خطبة الملك كسرى مع النعمان بن المنذر.

١٨- الادّعاء والاعتراض والدفاع عن صواب كلٍّ شخصٍ عن رأيه كان يقيدهم بالالتزام بآداب الحجاج خصوصا في مقامات علميّة أو سياسيّة.

١٩- حركيّة الحوار وتوزيعها للضمائر وأدوار وتناوب الكلام وتوسيع الحوار واحترام المسافة ما بين التذويب والإغلاق كلها كانت آليّات إقناعيّة مؤثرة في الخطاب الحجاجي بما فيها من دلالة على التفاعل الحجاجي بين الأطراف.

٢٠- تمظهر النفي ما بين الاعتراض وإثبات الهدف المنشود مع الطرف الآخر جعل له سلطة في خدمة الهدف بوصفه استراتيجيّة حجاج قويّة.

٢١- استعمل المحاجج التشغيل الحجاجي تتابع الأسئلة بوصفها أدوات واستراتيجيّات لإيقاع الخصم أو استدراجه أو مجاراته للتأثير عليه.

٢٢- المرسل يكون مقنعا وفعالا بصورة مجديّة وناجحا في طرح حججه وبراهينه وأدلته تبعا لمصداقيته العاليّة.

٢٣- كلما زادت درجة اهتمام المحاجج بالموضوع زادت نسبة الحجج لديه كما تبين هذا من حكم الخطيب نفيل بين عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أميّة

وهنا أسأل الله أن أكون قد وفقت في أداء مهمتي العلميّة البحثيّة إزاء قمة من قمم الأدب العربي ، وأتمنى أن يكون بحثي فاتحا لأبحاث أخرى حول هذا الجانب من الأدب ، وأخيرا فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي و آخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

المصادر والمراجع

- الأبصار في ممالك الأمصار: ابن فضل الله العمري، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدارسات الأسلوبية: مازن الوعر، مجلة عالم (الفكر)، مجلد ٢٢، الكويت، العدد ٣ و٤ يناير / مارس، أبريل / يونيو، ١٩٩٤م.
- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدارسات الأسلوبية، مازن الوعر، مجلة عالم (الفكر)، مجلد ٢٢، الكويت، العدد ٣ و٤ يناير / مارس، أبريل / يونيو، ١٩٩٤م.
- الاتساع اللغوي بين القديم والحديث: عطية نايف الغول، دار البيروني، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.
- الاتساع في العربية: عواطف ياسين علي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، الطبعة الاولى، مجلد ١، د.ت.
- احكام الاحكام، شرح عمدة الاحكام، ابن دقيق العيد.
- اخبار النساء، أشهر اخبار النساء في التاريخ العربي، (د.ط)، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).
- الأدب الجاهلي قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه: غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الإرشاد، حمص، الطبعة الاولى، ١٩٩٢م.
- الادب الجاهلي: د. طه حسين، طبع بالقاهرة، مطبعة فاروق (محمد عبد الرحمن محمد)، ط ٣، ١٩٣٣م.
- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرحيم محمود، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م.
- أساليب بلاغية/ الفصاحة والبلاغة: أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الاولى، ١٩٨٠م.

- استراتيجيّات الحجاج في المناظرة السياسية مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرنسوا هولاند: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فرنسا، ٢٠١٣م.
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية): عبد الوهاب بن ظاهر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤م.
- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، محمد عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، الطبعة الاولى، ٢٠٠٤م.
- الاستعارات التي نحيا بها، جورج لايكوف ومارك جونسون: تر: عبد المجيد جحفة.
- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة .
- الأسلوب وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث\، نور الدين السد، الطبعة الاولى، دار هومة للطباعة، الجزائر، ٢٠١٠م.
- الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب)، فرحان بدري الحربي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٣م.
- الاشارة الى الايجاز في بعض انواع المجاز: العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، المطبعة العامرة، ١٤٣٩هـ.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: العز بن عبدالسلام، المطبعة العامرة، ١٤٣٩/١١/٥هـ.
- إشكاليات القراءة واليات التأويل: نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٨م.
- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- الأغاني، ابي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ، بيروت، د.ت.
- الأمالي في لغة العرب: ابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٩٦٧م، ٣٥٦هـ)،، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مجلد ١، ١٩٧٥م.
- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ، ٢٠٠٤م.

- أمثال العرب: المفضل بن محمد الضبي، تحقيق وتعليق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- الامثال، ابو عبيده القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، تح: أ.د عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الاولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- الانزياح في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: عباس رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م.
- الانزياح في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الطبعة الاولى، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة.
- انساب الأشراف، احمد بن يحيى جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تح: محمد محمد تامر، دار العلمية، بيروت ، لبنان، (د.ت)
- الايضاح في العلوم والبلاغة: الخطيب القزويني جلال الدين، تحقيق: لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بالازهر، مصر.
- الأيمان، ابن تيمية، المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.
- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٥٧م.
- البرهان في وجوه البيان: ابن وهب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ط، د.ت.
- بلاغة الإقناع في المناظرة: عبد اللطيف عادل، منشورات الضفاف، الرباط، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.
- البلاغة الجديدة بين التخييل والتأويل: محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٥م.
- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، افريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٩م.
- البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيمائي لتحليل النص: هنريش بليث، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد العمري، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ١٩٨٩م.
- البلاغة والمدخل لدراسة الصور البيانة: فرانسواز مورو، ترجمة: محمد الوالي وعائشة جرير، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، المغرب، الطبعة الاولى، ١٩٨٩م.

- البناء الفني في شعر الهذليين، دراسة تحليلية: إياد عبد المجيد إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ٢٠٠٠م.
- البيان في روائع القرآن: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧ ، ١٩٩٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، مجلد٦، ١٨٨٨م.
- تاج العروس، الزبيدي، م٦، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، نقله الى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط الاولى.
- تاريخ بعلبك، د. حسن عباس نصر الله، مؤسسة الوفاء، الطبعة الاولى.
- تاريخ نظريات الحجاج: فيليب بروتون وجبيل جوتييه، ترجمة، محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، الطبعة الاولى، ٢٠١١م.
- تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.
- تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م.
- التعريفات: الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الحكم القاضي، دار الكتاب المصري اللبناني، ١٩٩٠م.
- تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشّري، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة مصر، القاهرة، ٢٠١٠م.
- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني جلال الدين، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، مصر.
- التواصل والحجاج: عبد الرحمن طه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منتديات سور الأزبكية، الرباط، ٢٠٠٨م.

- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي، كاهنة دصمون، دراسة في ضوء النظرية التداولية.
- جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تحقيق: أحمد عبد السلام ومحمد سعيد أبو هاجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، مجلد ٢، ١٩٨٨م.
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي المصري ابن دريد، مكتبة المثنى، بغداد، الطبعة الاولى، ١٣٥١هـ.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد ذكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
- جمهرة نسب قريش وأخبارها، القريشي الزبيدي، تح: عباس هاني الجراح.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، تحقيق: محمد التنوفي، الطبعة الاولى، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: احمد بن ابراهيم بن مصطفى (ت ١٣٦٢ هـ)، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٩م.
- الحجاج عند أرسطو: هشام الريفي ، إشراف: حمادي صمود – جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية – تونس – كلية الآداب منوبة – فريق البحث في البلاغة و الحجاج – سلسلة آداب – مج ٣٩– ١٩٩٨م.
- الحجاج في الامتاع والمؤنسة لأبي حيان التوحيدي، حسين بلوطة، دار النشر جامعة الحاج الخضر باتنة، الطبعة الاولى، ١٤٢٩هـ.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة: محمد سالم محمد الأمين، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٨م.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.
- الحجاج في شعر النقائض، مكي شامة، دراسة تحليلية.

- الحجاج في كتاب المثل السائر لابن اثير. عيمة يعمرائن، اشراف: عمر الخير.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم حافظ إسماعيل علوي، مدارس واعلام.
- حجاجية الصورة في الخطاب السياسي لدى الإمام علي رضي الله عنه: كمال الزماني، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الاولى، ٢٠١٢م.
- حوار حول الحجاج: أبو بكر العزّاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الاولى، ٢٠١٠م.
- الحوار و منهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، دار افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤م.
- حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري (ت ٨٠٨هـ)، دار البشائر، بيروت، طبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة: الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القادر جرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الاولى.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القادر جرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٩١م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى: طبعة دار الكتب، القاهرة، د.ت.
- ديوان طرفة بن العبد.
- ديوان لبيد بن ربيعة.
- سياسة فرنسا في عهد هولاند بين الاستمرارية والتغيير: عبد النور بن عنتر، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، ٧آيار / مايو، ٢٠١٢م.
- سيرة ابن هشام، ابي محمد عبد الملك بن هشام (١٨٣هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- شرح المفصل: ابن يعيش (موفق الدين)، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

- الصاحبي في فقه اللغة: الرازي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.
- صبح الاعشى في صناعة الإنشا: أبو العباس القلقسندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)
- صحيح مسلم، ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.
- الصناعيين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري تح: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيد، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- صور العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، د. محمد توفيق ابو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان: ١٩٩٩م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: جابر عصفور، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣.
- الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها.
- العالم ومأزقه/ منطق الصدام ولغة التداول: علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢م.
- العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أب والفداء عبد الله القاضي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٨.
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، الحسن بن رشيق القيرواني أبو علي (٤٥٦هـ او ٤٦٣هـ)، تح: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الاولى، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
- عندما نتواصل نتغير/ مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية: عز الدين الناجح، مكتبة علاء الدين، تونس، الطبعة الاولى، ٢٠١١م.

- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٤هـ، ٧٨٩م)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية، د.ت.
- الفصل في الملل والاهواء والنحل، ابي محمد بن علي بن احمد ابن حوم (٤٥٦هـ). دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، (د.ت)
- فن الخطابة: أرسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيّة حجاجيّة لتحليل الخطابات: محمد مشبال، كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الاولى، ٢٠١٧م.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا: محمد العمري، دار الثقافة والنشر للتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ١٩٨٦.
- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، تقديم: محمد صلاح الدين، الناشر مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١.
- القاموس الموسوعي للتداولية: وريبول موشلر، دار سيتاترا، تونس، الطبعة الثانية، ٢٠١٠.
- القراءة الثقافية: محمد عبد المطلب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.
- قراءة جديدة للبلاغة القديمة: رولان بارت، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، الفنك للغة العربية، المغرب، الطبعة الاولى، ١٩٩٤م.
- القرائن النحوية: تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، مجلد ١، ٢٠٠٩م.
- قمر الأقمار لنور الأنوار في شرح المنار: محمد عبد الحليم اللكنوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٥م.
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٥٨م.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشّري، تحقيق: يوسف الحمّادي، مكتبة م ر، القاهرة، ٢٠١٠م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٥٢هـ -١٩٣٣م.
- اللسان والميزان: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ١٩٩٨م.
- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، الشركة الجديدة، دار الثقافة، المغرب، د.ت.
- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الاولى، ٢٠٠٦م.
- المجاز والتمثيل في العصور الوسطى: جابر عصفور وآخرون، دار قرطبة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
- مجمع الأمثال: أبا الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسأبو ري (الميداني)، المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية المقدسة، تركيا، (١٣٤٤هـ - ١٩٨٧م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٢.
- مسالك المعنى: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ٢٠٠٦م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، مكتبة لبنان، القاهرة، ٢٠١٠م.
- معجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى/ احمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار الدعوة، تركيا، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: هشام الدين مازن المبارك المصري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: هشام الدين مازن المبارك، الطبعة الاولى، مجلد٢، ١٩٦٤.

- مفتاح العلوم: يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٨٣م.
- المفصل: علي جواد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م.
- مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٥م.
- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير عندما نواصل نغيّر، أفريقيا الشرق، المغرب.
- مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، مجلد ٢، ١٩٧٩م.
- مقدمة ابن خلدون (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر: ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الاولى، ج٢، ٢٠٠٤م.
- المناظرة في الأدب العربي الإسلامي: حسين الصديق، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٤م.
- المنتقى في أمثال العرب، سليمان بن صالح الخراشي، الطبعة الاولى، ٢٠٠٧م.
- المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، تحقيق: طه عبد الرؤوف، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠١٨م.
- موسوعة النحو والصرف والأعراب: إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٨م.
- النص والخطاب والاتصال: محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م.
- النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، دار عودة، بيروت، ١٩٨٧م.
- النقد الأدبي عند اليونان: بدوي طبانة، مكتبة الأنجل والمصرية، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٦٧م.
- نقد الحقيقة: علي حرب، مركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.

- النّكت في اعجاز القرآن الكريم: علي بن عسيى بن علي بن عبدالله أبو الحسن الروماني المعتزلي (ت ٣٨٦ هـ)، تحقيق: محمد خلف الله/ محمد زعلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- وسائل الاقناع في خطبة طارق بن زياد، سليمة محفوظي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج الخضر، باتنة/ كلية الآداب واللغات، ٢٠١١م.
- الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية: أحمد المتوكل، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٣م.

الرسائل والاطاريح

- الاتساع في العربية: عواطف ياسين علي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢م.
- آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديد المفاهيم النظرية: سعد بولنوار، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٢م.
- تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث: مها محمود ابراهيم العتوم، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٤م.
- الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً: إيمان درنوني رسالة ماجستير، جامعة الحاج خضر، إشراف: الجودي مرداسي، ٢٠١٣م.
- الروابط الحجاجية في شعر أبي طيب المتنبي مقاربة تداولية: خديجة بوخشرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، ٢٠١٠م.

المجلات والدوريات

- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدارسات الأسلوبية: مازن الوعر، مجلة عالم (الفكر)، مجلد ٢٢، الكويت، العدد ٣ و٤ يناير / مارس، أبريل / يونيو، ١٩٩٤م.
- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدارسات الأسلوبية، مازن الوعر، مجلة عالم (الفكر)، مجلد ٢٢، الكويت، العدد ٣ و٤ يناير / مارس، أبريل / يونيو، ١٩٩٤م.
- الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله: رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد ٢، ديسمبر ٢٠١١م.
- الاستعارة عند المتكلمين: أحمد أبو زيد، مجلة المناظرة، ع٤، ١٩٩١م.
- آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان و نظرية البرهان: هاجر مدقن، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، العدد ٥، جامعة قاصدي مرياح، آذار، / مارس ٢٠٠٦م
- الأمثال العربية القديمة، عفيف عبد الرحمن، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.
- الأيديولوجيا والبلاغة: محمد سيبلا، مجلة المناظرة، العدد ٤، ١٩٩١م.
- البلاغة الحجاجية: جميل حمداوي، مجلة المثقف، قضايا وآراء، العدد ٤٩٤٠، الأحد ٣/١٥/ ٢٠٢٠م.
- البلاغة الحجاجية: جميل حمداوي، مجلة المثقف، قضايا وآراء، العدد ٤٩٤٠، الأحد ٣/١٥/ ٢٠٢٠م.
- البلاغة الحجاجية، جميل حمداوي، مجلة المثقف، قضايا وآراء، العدد ٤٩٤٠، الأحد ٣/١٥/ ٢٠٢٠م.
- بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني، الخطاب في العصر الأموي أنموذجاً، د. عبد الرحمن رجا الله السلمي، مجلة الأثر، العدد ٢٩.
- بلاغة الخطاب والنص: صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.
- البلاغة والأيديولوجيا: مصطفى الغرافي، بحث في العلاقة الملتبسة بين المعرفة البلاغية والمعرفة الأيديولوجية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٥٦، خريف ٢٠١١م.
- البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا: بول ريكور، ترجمة: مصطفى النحّال، مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد ١٦، فبراير، ١٩٩٩م.

- تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان: شعبان أمقران، المجلة التعليمية، إشراف: حفيظة رواينية، مجلد ٥، العدد ١٥، سبتمبر ٢٠١٨م.
- تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان: شعبان أمقران، المجلة التعليمية، إشراف: حفيظة رواينية، مجلد ٥، العدد ١٥، سبتمبر ٢٠١٨م.
- حجاج الخطاب أ والخطاب الحجاجي: جميل حمداوي، صحيفة المثقف، العدد ٤٩٣٤، الاثنين ٢٠٢٠/٣/٩م.
- الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري: حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، مجلد ٣٠، الكويت، سبتمبر ٢٠٠١م.
- الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري: أبو بكر العزاوي، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد ٧، ١٩٩٢م.
- حجاجية المجاز والاستعارة، حسن المودن، (مقال) ضمن مؤلف الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، اعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي.
- شرح آداب البحث: طاش كبرى زاده، مجلة (المناظرة)، السنة الثانية، العدد ٣، ١٤١٠هـ / يونيو ١٩٩٠م.
- في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيّة حجاجيّة لتحليل الخطابات: محمد مشبال، كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٧م.
- المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي: محمد العمري، مجلة (دراسات سيمائية أدبية لسانية)، العدد ٥، خريف / شتاء ١٩٩١م.
- المنهج وأدب الحوار في مناظرة السيرافي ومتى: محمد حسن عبدالله، مجلة البيان الكويتية، العدد ٣٦٨، الكويت، مارس ٢٠٠١م.
- نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسط والى اليوم: شكري المبخوت، إشراف: حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، سلسلة آداب، مجلد ٣٩، ١٩٩٨م.

- وصايا النساء والهداء (الزواج) في العصر الجاهلي دراسة تحليلية: جمانة محمد نايف الدليمي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، جامعة الموصل، كلية العلوم الاسلامية، المجلد ٣، العدد ٢٥٦، ٢٠٠٩م.

شبكات الأنترنت

- الاقناع، القوة المفقودة، أحمد عبد المحسن العساف، مقال على شبكة الانترنت
www.saad .net/aldawah/٢٢١.htm

Abstract

In this research, I dealt with the proof in pre-Islam prose through persuasion used by the prose writers in attesting their proof and point of view by clarifying the manifestations and consequences of the proof in that era through their use of language aesthetics, rhetoric and expressive styles. Moreover, I adopted kinds of speech, wills, proverbs, rhymed prose and stories as prose texts that representing proof at that time.

In this regard, I relied on the analytical approach to clarify those texts where persuasion flows through its means. Accordingly, the research has been divided into a preamble in which proof is identified in idiomatic language in the same time prose has boon described in the pre-Islamic era together with the most important ancient critics who criticized proof in that period.

In the first chapter, I talked about the proven rhetoric and linguistic indicators were reflected in the proto-texts. The second chapter was about the eloquence of the proved images in these texts. The third chapter highlighted the most important means of persuasion and the proof strategies that concerned in prose.,

In the conclusion, I talked, at several points, about the most important results that I monitored throughout the research, by which I explained how linguistically, the prose writers used persuasion and rhetorical methods of proof.

Key words: the proof - prose texts in the pre-Islamic era - rhetorical and linguistic means of persuasion.

Republic Of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
College of Literature / Department of Arabic Language

The Proof in pre – Islam Prose
A Study in the Means of Persuasion

Athesis Submitted

BY

Asma'a Muhamad Sahib Mueala

To the Council of the College of Education University of Al-Qadisiya in partial fulfilment of the requirements for the degree of Doctoral of Arabic Philosophy and its Literature

Supervised by

Prof. Dr. Yasir Ali Abd Alkhalidy

٢٠٢٠ A . D

١٤٤١ A. H